العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الفكر والإبداع

شهر محرم
شهر صفر
شهر ربيع الأول
شهر ربيع الآخر
شهر جمادى الأولى
شهر جمادى الآخرة

Al-Sada

Cgltgral Qgavterly Jogrnal For Hegira Events

Issged by the al _abbas holey shrine Department of Intellectgal and
Cgltgral Affairs Division of thogght and creativity

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشراف العام
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
عباس صباح مرشد
حيدر الدفاعي
محمد يوسف

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

المشاركون
السيد ضياء الخباز
أ.د. جعفر محمّد أيّوب
أ.م.د. أحمد عليوي صاحب
إبراهيم صالح الشريفيّ
أ.م.د. خديجة حيدر نوري
أ.م.د. فاطمة عبد الأمير راضي السلامي
أ.م. د- حيدر زوين
الباحث: عبد الكريم الربيعي

التصميم و الإخراج
كرار عامر الصافي
التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة:

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على الرّسول الأعظم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين وبعد...

للحياة النّاجحة شروط وضوابط وقوانين، ومن أراد تحقيق النّجاح فيها لا بُدَّ من تقنين حياته ضمن تلك الشروط، ومصدر هذه الشروط القرآن الكريم والعترة الطاهرة ﷺ؛ فهي من عالم الإيمان ومن عالم الوحي، وكلَّما كانت الحياة تُصاغ على أساسٍ وحيوي فإنّها حياة ناجحة، وأمَّا إذا صِيغت على أساسٍ وضعيّ يضعه الخلق فإنّها حياة غير ناجحة؛ لأنَّ الأمور التي نُفكِّر بها قد تكون خاطئة، وقد يكون فيها اشتباه وخطأ وسهو؛ بينما إذا كانت الحياة مصاغة على أساسٍ وحيويّ فإنّها ناجحة وغير قابلة للخطأ؛ و ذلك لعصمة الوحي من الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن نغيّر نمط الحياة إلّا إذا عرفنا الشّروط والأُسس التي على وفقها يمكن أن نسير ونُصمّم تصميماً جديداً لهذه الحياة؛ وشروط الحياة النَّاجحة يمكن حصرها ضمن أربعة أركان؛ أوّلها الصّفاء الرّوحي؛ ومتى ما كان الإنسان نظيفاً طاهراً متعالياً في روحه اقترب شيئاً فشيئاً إلى الفلاح والصَّلاح، وثانيها العلم المثمر المستمد من القرآن الكريم والعترة الطَّاهرة ﷺ؛ لأنَّ بعض العلوم غير مُثمرة وغير مُفيدة ولا تُزيد صاحبها من الله تعالى إلّا بُعداً؛ وفي الوقت نفسه هناك علوم تَزيد صاحبها من الله سبحانه اقتراباً ودنوًّا معنويّاً؛ وأمّا الشّرط الثّالث السّهولة واليسر في الحياة، وكلَّما كانت الحياة سهلة ويسيرة كلَّما كانت ناجحة، ورابع تلك الأركان التّخلّص والتَّغلّب على المشاكل، والخروج منها، وهذه الأركان الأربعة بعضها متداخل مع البعض الآخر، وبعضها مؤثّر في البعض الآخر، وبعضها مقدّمة للبعض الآخر.

أمّا كيف يرقى الإنسان إلى هذه الأمور الأربعة، وكيف نحقّق هذه الشّروط الأربعة التي هي قوام الحياة النَّاجح؟

إنّ سبيل الحصول على الصَّفاء الرّوحي تقوى الله تعالى؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَمَن يَتَّقِ**

الله يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (سورة الطلاق/ الآية: ٥)؛ لأنَّ الذُّنوب والمعاصي تُعكّر الصَّفاء الدَّاخلي؛ فالذّنوب تربك الإنسان وتُعكّر الحياة، وتحطّم الحياة النَّاجحة عن طريق دخول الظّلمات والحجب على قلب الإنسان، وإذا رفعت هذه التّبعات عاش الإنسان حالة من الصّفاء الرّوحي، وأمّا سبيل الحصول على العلم؛ فإنّ الله تعالى يقول: **﴿وَاتَّقُوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله﴾** (سورة البقرة/ الآية: ٢٨٢)، أمّا كيف أحصل على الحياة السّهلة اليسيرة البعيدة عن التّعقيد؛ فكذلك قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾**(سورة الطلاق/ الآية:٣) فالحياة تصبح يسيرة سهلة مع التّقوى؛ ثمّ أنَّ طريق التّخلّص من المشكلات ما قاله تعالى: **﴿وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾**(سورة الطلاق/ الآية: ٣).

إنَّ التقوى تُضفي على قلب الإنسان صفاءً وعلماً ويسراً وخروجاً من المشكلات، وحينما نتكلّم عن التّقوى ليس المطلوب من الإنسان أن يصبح منعزلاً وبعيداً عن الحياة، وإنّما التّقوى أن يعرف الإنسان وظيفته الشَّرعيّة، والمسؤوليات الشّرعية الملقاة على عاتقه، ومن ثمّ العمل على تطبيق هذه الوظيفة الشَّرعيّة؛ وبعبارة أخرى معنى التقوى أنّك تُدرك ماذا يريد الله تعالى منك، وتعمل على وفق هذا الإدراك الصَّحيح.

إذن على الإنسان أن يفهم التقوى على أساس أنّها طاعة للوظيفة الشَّرعية التي أرادها الله عزّ وجلّ منه؛ ولطالما شدّد الرَّسول الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على موضوع التّقوى والورع حتّى أنّهم كانوا يذكرون لأتباعهم ألّا يكون في بلد من هو أورع منه؛ فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: « لَيسَ مِنّا ـ ولا كَرامَةَ ـ مَن كانَ في مِصر فيهِ مِائَةُ ألف وكانَ في ذلِكَ المِصرِ أحَدٌ أورَعَ مِنهُ»(الكافي: ٢ / ٧٨)، وعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام قَالَ:« كَثِيراً مَا كُنْتُ أَسْمَعُ أَبِي يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ لَا تَتَحَدَّثُ الْمُخَدَّرَاتُ بِوَرَعِهِ فِي خُدُورِهِنَّ وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا مَنْ هُوَ فِي قَرْيَةٍ فِيهَا عَشَرَةُ آلَافِ رَجُلٍ فِيهِمْ مِنْ خَلْقِ الله أَوْرَعُ مِنْهُ»(الكافي/ ٢ / ٧٩)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: « إِنَّا لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ لِجَمِيعِ أَمْرِنَا مُتَّبِعاً مُرِيداً. أَلَا وإِنَّ مِن اتِّبَاعِ أَمْرِنَا وإِرَادَتِه الْوَرَعَ، فَتَزَيَّنُوا به يَرْحَمْكُمُ الله»(الكافي/ ٢ / ٧٨).

وعلى ذلك ينبغي لأتباع أهل البيت عليهم السلام أن يتمثّل الورع فإنّه نظام العبادة، والطَّريق إلى السّعادة.

إنَّ الحصول على الورع بقسميه الفكري والعملي لا يكون إلّا بالرّجوع إلى القرآن الكريم وروايات وسلوك المعصومين عليهم السلام؛ قال الله تبارك وتعالى:**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** (سورة الأنفال/ الآية: ٢٤). ومن هنا فإنَّ مجلّة الصَّدى تسعى دائماً لنشر ما يحقّق هذا الهدف، ومن الله تعالى العون والتّوفيق والتّسديد، والحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على الرسول الأعظم محمّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

المحتوى

شهر محرم

الإمام الحسين عليه السلام في عيون الإنسانية ١١
مواجهة المصاعب - الإمام السجاد عليه السلام أنموذجاً - ٢٩
من مقامات العباس عليه السلام ٤٧
شخصية الإمام الحسين عليه السلام في انتقاء أنصاره دراسة في السِّمات القيادية ٥٥

شهر صفر

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ما بعد الصلح إلى الاستشهاد ٧٣
علامات المؤمن ٨٧
إضاءات حول الرِّسالة الذَّهبية للإمام الرّضا عليه السلام ٩٥

شهر ربيع الأول

الإمام العسكري عليه السلام أسير السّجون ١٠٧
أخلاق النّبي الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله قبل البعثة والرِّعاية الإلهيّة ١١٥
من خصائص مدرسة الإمام الصَّادق عليه السلام ١٤١

شهر ربيع الآخر

معارف عن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ١٥٣

شهر جمادى الأولى

قراءة في الخطب الفاطمية والزَّينبية عليهما السلام - دراسة في ضوء أنساق التّداول التّعبيري- ١٦٥
مقامات السيدة الزَّهراء عليها السلام ومحوريتها في الرَّبط بين منزلتي النّبوّة والإمامة -دراسة في الرّوايات-... ١٩١

شهر جمادى الآخرة

الدّور الإعلامي لسيّدات البيت النبوي في النَّهضة الحسينية (أمّ البنين عليها السلام أنموذجاً) ٢٠٩

القصيدة

إلى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ٢٣٣

شهر محرم

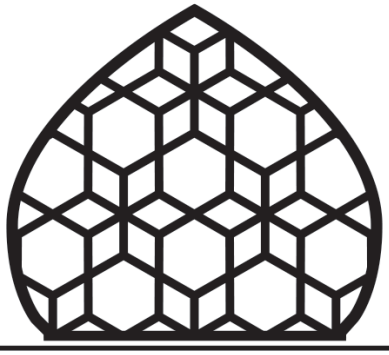

- الإمام الحسين عليه السلام في عيون الإنسانية
- مواجهة المصاعب- الإمام السجاد عليه السلام أنموذجاً-
- من مقامات العباس عليه السلام
- شخصية الإمام الحسين عليه السلام في انتقاء أنصاره -دراسة في السمات القيادية-

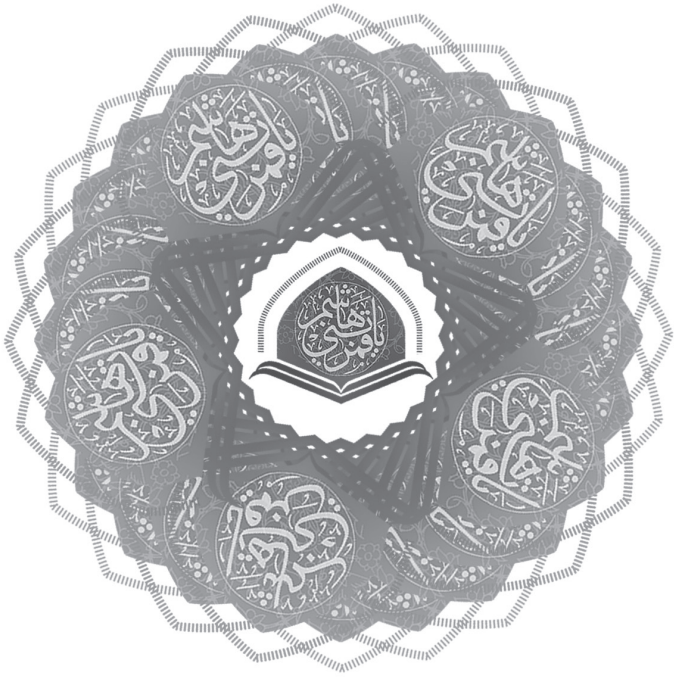

الإمام الحسين عليه السلام في عيون الإنسانية

أ.م.د. خديجة حيدر نوري

مقدمة

الإمام الحسين عليه السلام من أبرز من خلدتهم الإنسانية في جميع مراحل تاريخها، ومن أروع من ظهر على صفحات التاريخ من العظماء والمصلحين الذين ساهموا في بناء الفكر الإنساني، وتكوين الحضارة الاجتماعية، وبلورة القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض (القرشي، ٢٠١١، ص١٥).

إنّ الإمام الحسين عليه السلام مِن أَلْمَع القادة المصلحين الذين حقّقوا المعجزات على مسرح الحياة، وقادوا المسيرة الإنسانية نحو أهدافها، ودفعوا بها الى إيجاد مجتمع متوازن تتحقق فيه الفرص المتكافئة التي ينعم فيها الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم (القرشي، ٢٠١١، ص١٥).

لقد فرقت نهضة الحسين عليه السلام بين دعوة الحق والباطل وميّزت أحد الفريقين عن الآخر حتَّى قيل: إنَّ الإسلام بدؤه محمدي وبقاؤه حسيني، وزينب عليها السلام هي صرخة أكملت مسيرة الجهاد والمحافظة على الدين (آل قطيط، ٢٠٠٧ ص ٤٤). ولذلك لم يجد أئمّة الهدى الأطهار وسيلة لنشر أمرهم في الإصلاح ونفوذ كلمتهم في إحياء شرع جدّهم الأقدس إلّا لفت الأنظار إلى هذه النّهضة الكريمة؛ لما اشتملت عليه من فجائع تفطّر الصّخر وتذوب الفؤاد. فأخذوا يحثّون الأمّة على تأييد هذه النَّهضة، ويُبيّنون للناس ما لاقاه شهيد الإصلاح من القسوة والاضطهاد، وإعلام الأمّة بما حدث في تلك المشاهدة الدَّموية من مظلومية الحسين وأهل بيته لأنَّهم صلوات الله عليهم علموا إنَّ في إظهار مظلوميته مجلبة للعواطف واسترقاقًا للأفئدة (المقرم وآخرون، ٢٠٠٧، ص١٠٣).

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام من أكثر المصلحين جهاداً وتضحية، فقد انطلق إلى ساحات الجهاد مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه مضحّياً بنفسه وبهم، ليقيم حكم القرآن وعدالة السماء الهادفة الى تدمير الجور وإزالة الاستبداد وإقامة حكم عادل يجد فيه الإنسان أمنه وكرامته (القرشي، ٢٠١١، ص١٥)، فلمّا خرج من مكة عليه السلام قال لعبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير عندما أشارا عليه بالإمساك (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمر وأنا ماضٍ فيه) (التوستري، ٢٠١١، س٢٢٠). فكانت حياة الإمام الحسين عليه السلام في جميع العصور والأجيال رمزاً للعدل، ورمزاً لجميع القيم الإنسانية (القرشي، ٢٠١١، ص ١٥).

فأغلب حياة المصلحين الذين وهبوا حياتهم لأممهم وشعوبهم تبقى مشعّة وتعطي نتاجها للناس ولكن في فترة خاصة ومحّددة من الزمن لم تلبث أن تتلاشى وتزول . أمّا حياة الإمام الحسين ﷺ فقد شقّت أجواء التاريخ وهي تحمل النّور والهدى لجميع الناس، كما تحمل شارات الموت والدَّمار للمخرّبين والظَّالمين في جميع الأجيال. لقد تفاعلت حياة الإمام الحسين ﷺ مع أرواح الناس وامتزجت بعواطفهم ومشاعرهم وهي تتدفّق بالعزّة والكرامة وتدفع المجتمع الى ساحات النّضال لتحقيق أهدافه وتقرير مصيره . إنّها مدرسة الأجيال الكبرى التي تفيض بالخير والعطاء على الناس جميعاً متّفقين ومختلفين تدفعهم إلى الإيمان بالله وتعمل على توجيههم الوجهة الصَّالحة كما تعمل على تهذيب الضَّمائر وتنمية الوعي(القرشي، ٢٠١١، ص١٦) . ولهذا يرى أنطوان بارا أنَّ الإمام الحسين ﷺ ليس حكراً على الشّيعة أو المسلمين بل هو للعالم أجمع فهو ضمير الأديان، ويعدُّ التّشيع (أعلى درجات الحب الإلهي)، ومن هنا فإنَّه يعتقد بأنَّ كلَّ شخصٍ في هذا العالم مهما كانت ديانته فإنَّه يمكن أن يكون شيعيًّا لعظمة الاقتداء بأهل البيت ﷺ (آل قطيط، ٢٠٠٧، ص٣٨)، ويقول لو كان الحسين ﷺ منَّا فلأقمنا له في كلّ أرضٍ بيرقاً، لأنَّه ليس مرحلة فحسب بل هو مسيرة حرّيّة الإنسان، وهو مبدأ أزلي والكثير من المسلمين لم يكتشفوا بعد سرّ امتداد ثورة الإمام الحسين ﷺ وتأثيرها في النّفوس (آل قطيط، ٢٠٠٧، ص٤٧)، ويرى أنَّ الذّكرى السنوية لملحمة كربلاء لا ينبغي أن تمر مروراً عادياً، صحيح إنّ الممارسات الحسينية جعلت كلّ العالم يسمع عن الإمام الحسين ﷺ وقصّته ﷺ ولكنه يعتقد أنَّ هناك تقصيرًا كبيرًا من جانب المفكّرين الإسلاميّين؛ لأنَّهم لم يستوعبوا الرّسالة ولم يتمثلوها جيّداً، فعليهم أن يوصلوا هذه الثورة وصوتها إلى مختلف البقاع، فهناك أناس لا تستطيع عقولهم القاصرة تمثل هذه الثورة بشكلٍ صحيح . كما يعتقد أنَّ الغرب كلّه سيتبع الإمام الحسين إذا ما أحاط بثورته وعرف معانيها السّامية النبيلة (آل قطيط، ٢٠٠٧، ص٤٩-٥٠) . فهو يرى أنَّ غاندي مصلح تأثر بشخصية المصلح الأكبر الحسين بن علي ﷺ، وقد انتهج منهجية اللاعنف، واستطاع توظيف المظلومية في الانتصار على الاستعمار البريطاني، تماماً كما فعل الإمام الحسين ﷺ عندما وظّف مظلوميته على مرّ التاريخ للحفاظ على العقيدة والدّين والمبادئ (آل قطيط، ٢٠٠٧، س٤٥).

إنّ ثورة الإمام الحسين ﷺ استأثرت باهتمام العديد من رجال السّياسة ورجال العلم والأدب والشعر في جميع أنحاء العالم؛ لما في هذه الثورة من مبادئ ثوريّة صِرفة؛ الأمر الذي جعل العديد من هؤلاء يتحدّثون ويحثّون أشياعهم على الاقتداء بهذه الثورة ومبادئها وبتضحية رجالها، إضافة الى أنَّ العشرات بل الملايين من الكُتَّاب والمؤرّخين البارزين سواء العرب منهم أو غيرهم من المسلمين وغير المسلمين ومن العديد من دول العالم كتبوا وألّفوا كُتباً عديدة عن هذه الثّورة وقائدها الخالد (آل قطيط، ٢٠٠٧، ص١٤١). على سبيل المثال فقد كتب الكاتب اللبناني ميخائيل

نعيمة عن شخصيّة الإمام الحسين ﷺ (لقد خاض الحسين معركة الحق والكرامة ضد الباطل المتمثل بيزيد بن معاوية وزمرته الفاسدة التي استهترت وضربت عرض الحائط بكلّ الأخلاق العربية) (آل قطيط، ٢٠٠٧، ص١٤٢).

أمّا الكاتب المصري الكبير عباس محمود العقاد يقول في كتابه (أبو الشهداء) عن الحسين ومرقده ما نصّه (حرمه يزوره المسلمون، للعبرة والذّكرى...، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة... ولكنّها لو أعطيت حقّها من التّنويه والتَّخليد، لحقّ لها أن تصبح مزاراً لكلّ آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظًّا من الفضيلة؛ ... لأنَّنا لانذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين ﷺ فيها... فكلّ صفة من تلك الصّفات العلوية التي بها الإنسان إنسان وبغيرها لا يحسب غير ضرب من الحيوان السّائم ... فهي مقرونة في الذَّاكرة بأيّام الحسين رضي الله عنه في تلك البقعة الجرداء ....) (آل قطيط، ٢٠٠٧، ص١٤٧).

وقد كتب الشاعر اللبناني بولس سلامة عن السّاعة الرّهيبة لواقعة الطَّف قائلاً:

يا ضياء الغروب في كربلاء ... دونك الشمس في الغروب ضياءَا

كيف باتت والكوكب الضخم يهوي ... مثلما تسقط الجبال انكفاءَا

أدمع الطف والفرات وغاضت ... زقزقات في ايكةٍ غيناءَا

(سلامة، ٢٠٠٩، ص٢٤٢).

إنَّ حياة ريحانة الرّسول ومُثُله ستبقى حيّة وخالدة الى الأبد؛ لأنَّها استهدفت القضايا المصيرية لجميع الشعوب، إنّ الإمام الحسين ﷺ لم ينشد في ثورته الخالدة أي مطمعٍ سياسيٍّ أو نفعٍ مادّيّ وإنَّما استهدف المصلحة الاجتماعية وعنى بأمر الناس جميعاً، ليوفّر لهم العدل السياسي والعدل الاجتماعي (القرشي، ٢٠١١، ص١٦).

الإمام الحسين ﷺ في عيون المشاهير (من غير العرب)

لقد استلهم عديد من رجال العلم والأدب والسياسة والشعر الكثير من ثورة الإمام الحسين ﷺ لما لهذه الثورة من مبادئ وعِبر ثورية؛ الأمر الذي جعل العديد من هؤلاء يكتبون الكثير عن هذه الثورة ليحثوا أشياعهم على الاقتداء بها، وليكن الإمام الحسين أنموذجاً لكلّ البشرية يتضمّن كافّة الرّموز السّامية. يقتدي به كلّ الباحثين عن الحقّ على وجه الأرض.

هذه اقتباسات لبعض الكتّاب الغربيين والمستشرقين نذكر منها:

أوّلاً- الحسين في عيون الإنسانية (معلماً):

- الكاتب الانكليزي جارلس ديكنز

Charles Dickens(1812-1870)English novelist of Victorian period

"If Hussain fought to quench his worldly desires، then I don't understand why his sister، wives and children accompanied him . It stands to reason therefore، that he sacrificed purely for Islam"(www. Sibtayn.com).

إذا كان الحسين قد حارب ليشبع غرائزه الدّنيوية، فإنّي لا أفهم لماذا رافقته أخته وزوجاته وأطفاله، لذلك من البديهي أن نستنتج أنّه قد ضحّى من أجل الإسلام تماماً.

-المؤرخ الاسكتلندي ثوماس كارليل

Thomas Carlyle(1795-1881)Scottish historian and essayist

"The best lesson which we get from the tragedy of Karbala is that Hussain and his companions were rigid believers in God. They illustrated that the numerical superiority does not count when it comes to the truth and falsehood. The victory of Hussain، despite his minority، marvels me) "www. Sibtayn.com.(

أفضل درس نتعلّمه من تراجيديا كربلاء هو أنّ الحسين ورفاقه كانوا مؤمنين بالله بثبات. لقد أوضحوا أنَّ التّفوّق العددي لا وزن له عند المواجهة بين الحقّ والباطل . إنّ انتصار الحسين رغم أقلّيّة فئة الحسين قد أدهشني.

-الفيلسوف والشاعر والمفكر السياسي محمد إقبال

Muhamad Iqbal(1873-1938)philosopher، poet، and political Thinker

Imam Hussain uprooted despotism forever till the Day of Resurrection. He watered" the dry garden of freedom with the surging wave of his blood، and indeed he awakened the sleeping Muslim nation. If Imam Hussain had aimed at acquiring a worldly empire، he would not have travelled the way he did (from Medina to Karbala). Hussain weltered in blood and dust for the sake of truth. Verily he، therefore، became the bed-rock(foundation) .(of the Muslim creed; La ilaha illa Allah (There is no god but Allah). (www. Sibtayn . com

لقد اجتثّ الإمام الحسين الطغيان والاستبداد الى الأبد، الى يوم البعث، وسقى حديقة الحرّيّة اليابسة بموجة من دمه المتدفّق، وهو بالتأكيد قد أيقظ الأمّة الإسلامية من نومها . إذا كان هدف الحسين هو الحصول على إمبراطورية عالمية، فإنّه لم يكن يرحل بالطّريقة التي رحل فيها من (المدينة الى كربلاء). لقد

تمرّغ الحسين بالدم والتراب من أجل الحق، يقيناً قد أصبح الحسين صخر الأديم لعقيدة الإسلام: (لا إله إلا الله).

-باندت جواهيرلال نهرو

Pandit Jawahalal Nehru

"Imam Hussain's sacrifice is for all groups and communities، an example of the path of righteousness" (smma59 wordpress.com).

إنّ تضحية الإمام الحسين كانت من أجل كلّ الشعوب والمجتمعات، وهي مثال للصراط المستقيم.

-الكاتب إنطوان بارا

Antoine Bara (Lebanese writer)

"No battle in the modern and past history of mankind has earned more sympathy and admiration as well as provided more lessons than the martyrdom of Hussain in the battle of Karbala". (Hussain in Christian Ideology) (smma59.wordpress.com).

لا توجد معركة في تاريخ البشرية الحديث والقديم قد أحرزت تعاطفاً وإعجاباً وأعطتنا دروساً أكثر من شهادة الحسين في معركة كربلاء.

-الرئيس محمد علي جناح

Muhammad Ali Jinnah (1st President of Pakistan)

The world is unable to present an example finer and brighter than the personality of Imam Hussain .He was the embodiment of love، valor and personification of sacrifice and devotion. Every Muslim، in particular، must learn a lesson from his life and should seek guidance from him" (www.facebook.com).

العالم غير قادر على تقديم أنموذج أفضل وألمع من شخصية الإمام الحسين. لقد كان تجسيداً للحب والبسالة وتمثيلاً للتضحية والإخلاص. كلّ مسلم على وجه الخصوص عليه أن يتعلّم درساً من حياة الحسين وأن يلتمس الهداية منه.

-قائد الثورة الهندية ومحاميها غاندي

Mahata Gandhi(1869-1948)lawyer، leader، of the uprising in India

In a statement published in " Young India" 1924

"I wanted to know the best of the life of one who holds today an undisputed sway over the hearts of millions of mankind….I became more than ever convinced that it was not the sword that won a place for Islam in those days in the scheme of life. It was the rigid simplicity، the utter self-effacement of Hussain the scrupulous regard، his absolute trust

in God and in his own mission to save Islam. These and not the sword carried everything before them and surmounted every obstacle".

(www.Sibtayn.com).

في إفادة له نشرت في (الهند الفتية) عام ١٩٢٤م

أريد أن أعرف الأفضل عن حياة الشخص الذي يحمل اليوم هيمنةً لا جدال فيها على قلوب ملايين الناس. لقد أصبحت مقتنعاً أكثر من أيّ وقت بأنَّه ليس السّيف الذي حقّق مكانة للإسلام في تلك الأيّام ولكن الذي حقّقها هو البساطة المتناهية، ومحو الذَّات المطلق للحسين، التقدير المخلص للعهود، حب الحسين لرفاقه وأتباعه، جرأته وشجاعته، إقدامه، ثقته المطلقة بالله، بعثته الخاصّة لإنقاذ الإسلام.

دكتور رابندرا ناث طاغور

Dr. Rabindra Nath Tagore

(What Hussain Taught)

The world of things in which
we live misses its equilibrium when its
communication with the world of love is
lost. Then we have to pay with our soul
for objects which are immensely cheap.
And this can only happen when the prison
Walls of things threaten us with being
Final in themselves. Then it gives rise to
Terrible fights، jealousies and coercions، to
a scramble for space and opportunities،
for these are limited. We become painfully
aware of the evil of this and try all
measures of adjustment within the
narrow bonds of a mutilated truth. This
leads to failure.

Only he helps us who
Proves by his life that we have a soul
Whose dwelling in the kingdom of love،
And things lose the tyranny of fictitious
Price when we come to our spiritual
Freedom. (www.Shia-azadari .com).

كتب مقطوعة نثرية بعنوان (ماذا علّمنا الحسين)

يفتقد عالم الأشياء الذي نعيش فيه توازنه عندما يفتقد اتصاله مع عالم الحب . حينها علينا أن نُقدّم أرواحنا في سبيل أشياء رخيصة للغاية. وهذا يحدث عندما تهدّدنا أسوار سجن الأشياء بأنّها ستكون الملاذ الأخير في داخلنا. وقتها ستسبب لنا هذه الأشياء صراعات رهيبة وحسدًا وإكراهًا وإجبارًا لنندفع نحو حيّزٍ فسيحٍ ونحو فرص أخرى؛ لأنَّ هذه الأشياء مقيّدة. إنَّنا سنصبح مدركين للعنة ذلك ونقوم بتجريب كلّ مقاييس المواءمة ضمن الرّوابط الضّيّقة للحقيقة المشوّهة . وهذه ستؤدّي بنا الى الفشل.

فقط هو (الحسين) الذي بحياته ساعدنا على إثبات أنَّنا نمتلك الرّوح التي تقيم في مملكة الحب، وأنَّ الأشياء تفقد الاستبداد البخس عندما نصل الى حرّيّتنا المقدّسة.

ثانياً: الحسين ﷺ في عيون الإنسانية (ثائراً):

-رئيس أركان الجيش البنغالي روبرت أوسبورن

Robert Durey Osborn(1835-1889)Magor of the Bengal Staff Corps

“Hussain had a child named Abdallah، only a year old. He had accompanied his father in this terrible march. Touched by its cries، he took the infant in his arms and wept. At that instant، a shaft’s from the hostile ranks pierced the child’s ear، and it expired in his father’s arms. Hussain placed the little corpse upon the ground. ‘We come from God، and we return to Him; ‘O Lord، give me strength to bear these misfortunes’…Faint with thirst، and exhausted with wounds، he fought with desperate courage، slaying several of his antagonists. At last he was cut down from behind; at the same instance a lance was thrust through his back and bore him to the ground; as the dealer of this last blow withdrew his weapon، the ill-fated son of Ali rolled over a corpse. The head was severed from the trunk; the trunk was trampled under the hoofs of the victors’ horses; and the next morning the women and a surviving infant son were carried away to Kufa. The bodies of Hussain and his followers were left unburied on the spot where they fell. For three days they remained exposed to the sun and the night dews، the vultures and the prowling animals of the waste; but then the inhabitants of a neighboring village، struck with horror that the body of a grandson of the prophet should be the shamefully abandoned to the uncle beasts of the field، dared the anger of Obaidallah، and interred the body of the martyr and those of his heroic friends”.

(Delaware، 1976، pp.126-7)

الحسين له طفل اسمه عبد الله، عمره سنة واحدة. رافق والده في تلك المسيرة الرّهيبة.لقد تأثّر الإمام الحسين ﷺ ببكاء طفله فأخذه بين يديه وبكى. في تلك اللحظة سهم من صفوف الأعداء اخترق نحر الطفل وقضى نحبه في يد والده. وضع الحسين ﷺ جثّة الطّفل فوق الأرض وقال (إنّنا نأتي من الله ونعود إليه، لقد بكى: ياإلهي، أعطني القوة لأحتمل كلَّ هذه البلايا... أغمي عليه من العطش، أنهك من الجراح، وحارب بشجاعة مستميتة، قتل العديد من خصومه. في النهاية أطيح به من الخلف وفي تلك اللحظة طعن برمح في ظهره دفعه نحو الأرض، عندما ... جثا فوق جثّة الحسين بن علي وفصل رأسه عن الجسد. الجسد قد سحق تحت حوافر خيول المنتصرين . في صباح اليوم التالي أخذت النساء والابن الصغير الباقي على قيد الحياة الى الكوفة. إن أجساد الحسين وأتباعه تركت دون أن تدفن على الموضع حيث سقطوا قتلى لمدّة ثلاثة أيّام ظلوا معرّضين للشمس وندى الليل، والى نسور وحيوانات الصحراء التي تجول خلسة، ولكن سكان القرية المجاورة اكتشفوا مذهولين أنَّ جسد حفيد الرسول قد ترك بصورة مخزية لحيوانات الصحراء البخسة. لقد تحدوا غضب عبيد الله ودفنوا جسد الشهيد وأجساد أصحابه الأبطال.

–أستاذ دراسات الشرق الاوسط في جامعة نيويورك – بيتر جيكواسكي

Peter J. Chelkowski-professor of Middle Eastern Studies، New York University

" Hussain accepted and set out from Mecca with his family and an entourage of about seventy followers. But on the plain of Karbala they were caught in an ambush set by the ….caliph، Yazid. Though defeat was certain، Hussain refused to pay homage to him. Surrounded by a great enemy force، Hussain and his company existed without water for ten days in the burning desert of Karbala. Finally Hussain، the adults and some male children of his family and his companions were cut to bits by the arrows and swords of Yazid's army; his women and remaining children were taken as captives to Yazid in Damascus. The renowned historian Abu Reyhan al-Biruni states;".....then fire was set to their camp and the bodies were trampled by the hoofs of the horses; nobody in the history of the human kind has seen such atrocities".

(Chelkowski، 1979، p.2).

لقد قبل الحسين الدعوة وانطلق من مكة مع عائلته وحاشية فيها سبعون تابعا . ولكن على أرض كربلاء وقعوا في كمين نصبه لهم الخليفة يزيد. رغم أنّ الهزيمة كانت حتمية، فقد رفض الحسين أن يبايعه. فأحاطت به قوى العدو الضخمة، وبقي الحسين ورفاقه بدون ماء لمدة عشرة أيام في صحراء كربلاء الملتهبة. في النهاية قُطِّع الحسين والرجال وبعض الاطفال الذكور في عائلته الى أجزاء بسهام جيش يزيد وسيوفه. نساؤه والأطفال الباقون أخذوا أسارى الى يزيد في دمشق. ذكر المؤرخ ذائع

الصيت أبو ريحان البيروني(... لقد أبرمت النار خيمهم وسحقت حوافر الخيل أجسادهم. لم يشهد أحد في تاريخ البشرية مثل هذه الوحشية).

– سايمون أوكليه –أستاذ الأدب العربي في جامعة كامبرج

Simon Ockley(1678-1720)Professor of Arabic at the university of Cambridge

"Then Hussain mounted his horse، and took the Koran and laid it before him، and coming up to the people، invited them to the performances of their duty: adding، 'O God، thou art my confidence in every trouble، and my hope in all adversity..... He next reminded them of his Excellency، the nobility of his birth، the greatness of his power، and his high descent، and said، 'Consider with yourselves whether or not such a man as I am is not better than you; I who am the son of your prophet's daughter، besides whom there is no other upon the face of the earth. Ali was my father; Jaafar and Hamza، the chief of the martyrs، were both my uncles; and the apostle of God، upon whom be peace، said both of me and my brother، that we were the chief of the youth of paradise. If you will believe me، what I say is true، for by God، I never told a lie in earnest since I had my understanding; for God hates a lie. If you do not believe me، ask the companions of the apostle of God [here he named them]، and they will tell you the same. Let me go back to what I have. They asked، 'What hindered him from being ruled by the rest of his relations'. He answered، 'God forbid that I should set my hand to the resignation of my right after a slavish manner. I have recourse to God from every tyrant that doth not believe in the day of account".

(Ockley، 1894، pp.404-5).

امتطى الحسين حصانه وأخذ معه القرآن، أتى الى الناس ودعاهم الى أداء واجبهم: وأضاف قوله: إلهي أنت ثقتي في كلّ شدة ورجائي في كلّ المحن... ذكّرهم بعد ذلك بامتيازه وشرف ولادته، وعظمة قوته، ونسبه العريق، وقال (تأملوا مع أنفسكم فيما إذا كان رجل مثلي أفضل منكم أم لا. أنا ابن بنت نبيكم، الذي لايوجد مثله على سطح الأرض. علي كان والدي، جعفر وحمزة سيدا الشهداء كانا أعمامي، وقد قال رسول الله ﷺ : كلانا أنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة. إذا كنتم تؤمنون بي، فما أقوله هو الحق نسبة الى الله، أنا لم أكذب حقاً ما دام لي إدراكي الخاص؛ لأنَّ الله يكره الكذب. وإذا لم تصدّقوني إسألوا أصحاب رسول الله (وهنا يُسمّيهم) وإنَّهم سوف يخبرونكم الشيء ذاته. دعوني أعود الى الماضي فقد تسألوني (ما الذي منعه أن يكون محكوماً من قبل بقيّة أقربائه) أجاب (لاسمح الله أن أكرّس يدي لتكتب التنازل عن حقوقي بأسلوب خانع. تعهّدت الى الله أن أقضي على كلّ الظالمين الذين لايؤمنون بيوم الحساب).

الدكتور شيلدراك **Dr. K. Sheldrake**

"Hussain marched with his little company not to glory، not to power or wealth، but to a supreme sacrifice and every member of that gallant band، were not only ready to fight but to kill. Denied even water for the children، they remained parched under a burning sun، amid scoring sands yet no one faltered for a moment and bravely forced the greatest odds without flinching" (www.Shia-azadari.com).

لقد سار الحسين مع جماعته القليلة ليس من أجل المجد والثروة، ولكن من أجل التَّضحية الأسمى . وكلّ فرد في هذه الجماعة الشجاعة، رجالاً ونساءً، عرف أنَّ الأعداء كانوا شرسين، ولم يكونوا مستعدّين للقتال فقط ولكن للقتل أيضاً. لقد منعوا الماء عن الأطفال أيضاً وبقوا ضمأى تحت الشّمس الملتهبة وسط الرّمال الحارّة. مع ذلك لم يتردّد أيّ أحدٍ للحظة بأن يواجه بشجاعة النّزاع الكبير دون إحجام.

-الخواجة موندن جستي

Khwaja Moinuddin Chisti says:

He gave his head، but did not put his hand into the hands of Yazid.
Verily، Hussain is the foundation of la ilaha illa Allah.
Hussian is lord and the lord of lords. Hussain himself is Islam
And the shield of Islam. Though he gave his head (for Islam)
But never pledged Yazid. Truly Hussain is the founder of
"There is no Deity except Allah"
It's Hussain the Prince، it's Hussain the king،
He is Faith، and Faith's Defender most daring،
He preferred death to Yazid's allegiance
With his blood، Islam has verily been living. (www.Shia-azadari.com).

لقد منح الحسين رأسه إلى يزيد ولكنه لم يضع يَده في يدهِ.

حقًّا إنّ الحسين هو قاعدة لا إله إلا الله، الحسين هو سيّد وهو سيّد الأسياد.

الحسين هو الإسلام وهو درع الإسلام. رغم أنَّه منح رأسه (للإسلام) ولكنه لم يُبايع يزيد . الحسين حقاً هو مؤسّس لا إله إلا الله. الحسين هو الأمير، الحسين هو الملك هو العقيدة وهو المدافع عن العقيدة.

لقد فضّل الموت على الولاء ليزيد.

بدمه بقي الإسلام ينبض بالحياة.

-جيمس كورن مؤلف كتاب تاريخ الصين

James Corne (Author of History of China)

"Hussain and his companions faced eight kinds of enemies. On the four sides the army of Yazid was their enemy which was ceaselessly raining arrows; the fifth foe was the sun of Arabia that was scorching the bodies; the sixth foe was the desert of Karbala the sands of which were scorching like a heated furnace; the seventh and eighth foes were the overpowering hunger and the unbearable thirst. Thus on those who fought with thousands of infidels in such condition has ended bravado; on such a people no gallant (hero) can ever have pre-eminence " (www.facebook.com).

لقد واجه الحسين ورفاقه ثمانية أنواع من الأعداء. الأربعة الأولى كانوا جيش يزيد الذي أمطر السهام بشكلٍ غير منقطع، العدو الخامس كان شمس الجزيرة العربية اللافحة للأبدان، العدو السادس كان صحراء كربلاء التي كانت رمالها حارقة مثل الفرن الحامي، العدو السابع والثامن كانا الجوع القاهر والعطش الذي لايحتمل. لهذا هؤلاء الذين حاربوا مع الآلاف الكفار في مثل هذه الظروف ماتوا متظاهرين بالشّجاعة. بين مثل هؤلاء الناس لايوجد بطل باسل رفيع الشّأن.

ثالثاً : الحسين في عيون الإنسانية (مظلوماً):

-العالم المستشرق الهنكاري المشهورأكناز كولدزهير

Ignaz Goldziher(1850-1921)Famous Hungarian orientalist scholar

"Ever since the black day of Karbala، the history of this family ….. has been a continuous series of sufferings and persecutions. These are narrated in poetry and prose، in a richly cultivated literature of martyrologies-a Shi'i speciality- and from the theme of Shi'I gatherings in the first third of the month Muharram، whose tenth day (ashura) is kept as the anniversary of the tragedy at Karbala. Scenes of that tragedy are also presented on this day of commemoration in dramatic form (ta'ziya).'Our feat days are assemblies of mourning. 'So concludes a poem by a prince of Shi'I disposition recalling the many mihan of the Prophet's family. Weeping and lamentation over the evils and persecutions suffered by the 'Alid family، and morning for its martyrs: these are things from which loyal supporters of the cause cannot cease.

(Goldziher، 1981، p.179).

منذ اليوم الأسود في كربلاء، وتاريخ هذه العائلة كان سلسلة مستمرة من المعاناة والاضطهادات. وقد روي في شعر ونثر أدب الشهادة الثري بالثقافة – وصفت خصوصية الشيعة، وشكّل نبرة تجمعات الشيعة في الثّلث الأوّل من شهر محرم الحرام الذين بقي يومهم العاشر من محرم (عاشوراء) ذكرى سنوية لمأساة كربلاء. مشاهد هذه المأساة تقدّم أيضاً في هذا اليوم من إحياء الذّكرى بشكلٍ دراميّ (تعزية). (احتفالاتنا

هي تجمعات حداد). وهكذا تختتم سيرة إزاحة أمير الشيعة باستعادة المحن الكثيرة التي أحاطت بعائلة الرسول. البكاء والنياح على الشّرور والاضطهادات التي قاست منها العائلة العلوية، والحزن على شهدائها هي الأمور التي لايستطيع أن يتخلى عنها أنصار القضية.

-الشاعرة الهندية ساروجيني نايدو الملقبة بعندليب الهند

Sarojini Naidu (Great India Poetess titled Nightingale of India)

"I congratulate Muslims that from among them، Hussain، a great human being was born، who is reverted and honored totally all communications".

(www.facebook.com).

أهنئ المسلمين؛ لأنَّ من بينهم ولد الإنسان العظيم (الحسين) الذي أعيد له الحق وكرمته كلّ المجتمعات.

-المستشرق الاسكوتلندي السير وليام ميور

Sir William Muir (1819-1905) Scottish scholar and statesman

(Held the post of Foreign Secretary to the Indian government as well as Lieutenant Governor of the North-Western Provinces).

"The tragedy of Karbala decided not only the fate of the caliphate، but of the Mohammedan kingdoms long after the Caliphate had waned and disappeared".

(www.Sibtayn، 1883، pp.441-2).

إنّ تراجيديا كربلاء لم تقرّر مصير الخلافة فقط، ولكن أيضاً مصير المملكات المحمدية لوقت طويل بعد أن اضمحلّت الخلافة وتلاشت.

-الرئيس الهندي السابق الدكتور رادها كرشنان

Dr.Radha Krishnan(Ex President of India)

"Though Imam Hussian is not limited to one country، or nation، but it is the hereditary state of the brotherhood of all mankind" (smma٥٩.woedpress.com).

على الرّغم من أنَّ الإمام الحسين منح حياته قبل حوالي ١٣٠٠ سنة، ولكن روحه الخالدة استعبدت قلوب الناس إلى اليوم.

-المؤرخ الانكليزي وعضو البرلمان إدورد كيبون

Edward Gibbon (English historian and member of parliament)

"In a distant age and climate، the tragic scene of the death of Hussain will awaken the sympathy of the coldest reader" (Gibbon، 1911، pp.391-2).

إنَّ أجواء المشهد التراجيدي لمقتل الحسين في العهد القديم قد أثارت تعاطف القارئ اللامبالي.

إدورد، ج، براون أستاذ جامعة كامبرج

Edward G.Brown(Professor at the University of Cambridge)

"...a reminder of that blood- stained field of Karbala، where the grandson of the Apostle of God fell، at length، tortured by thirst، and surround by the bodies of his murdered kinsmen، has been at anytime since then، sufficient to evoke، even in the most lukewarm and the heedless، the deepest emotion، the most frantic grief، and an exaltation of sprit before which pain، danger، and death shrink to unconsidered trifles".

(Brown، 1883، p.441-2).

إنَّ ذكرى ساحة قتال كربلاء الملطخة بالدماء، حيث سقط حفيد رسول الله معذباً بالعطش لفترة طويلة، وأحيط بأجساد أقربائه القتلة، قد أصبحت في أيّ وقت منذ ذلك الحين كافية لإثارة أعمق العواطف والحزن الشديد عند أقل الناس تحمساً واكتراثاً، وأيضاً تمجيد الروح التي أمامها ينكمش الألم والخطر والموت وتتقلّص الى تفاهات. كل عام في اليوم العاشر من محرم تتجدّد هذه التراجيديا في ايران، والهند وتركيا ومصر حيث توجد طائفة الشيعة او الجالية الشيعية. عندما أكتب فإنَّ كلّ شيء يأتي الى ذهني: ترتيلة الانتحاب، الحشود الباكية، الثياب البيضاء ملطخة بالدم الأحمر من أثر جروح ضرب النفس وإثارة الحزن والتعاطف الوجدانيين.

-رينولد الين نيكولسن (المستشرقة الانكليزية الشهيرة والباحثة في الأدب الإسلامي والتصوف الإسلامي ١٩٣٠م)

Reynold Allnold Nicholson(Eminent English orientalist scholar of both Islamic literature and Islamic mysticism

'Hussain fell، pierced by an arrow، and his brave followers were cut down beside him to the last man، Muhammadan tradition، which with rare exceptions is uniformly hostile to the Umayyad dynasty، regards Hussain as a martyr and Yazid as his murderer " (www.facebook.com).

لقد سقط الحسين واخترقته السهام وسقط أتباعه الشجعان إلى جانبه حتَّى آخر رجل، العرف المحمدي على نسق واحد مع استثناءات قليلة معادٍ للسلالة الأموية الحاكمة، ويعتبر الحسين شهيداً ويزيد قاتله.

-الشاعر الهندي رابندرا ناث طاغورالحاصل على جائزة نوبل عام ١٩١٣م

Rabindra nath Tagore (Indian Nobel Prize in Literature 1913)

"In order to keep alive justice and truth، instead of an army or weapons، success can be achieve by sacrificing lives، exactly what Imam Hussain did " (smma59wordpress.com).

من أجل أن يبقى العدل والحق ينبضان بالحياة، فبدلاً من الجيش والسلاح، يمكن تحقيق النجاح عن

طريق التضحية بالحياة، تماماً كما فعل الإمام الحسين.

-الدكتور راجندرا براساد

Dr. Rajendra Prasad

"The sacrifice of Imam Hussain is not limited to one country، or nation، but it is the hereditary state of the brotherhood of all mankind"(smma59.wordpress.com).

إنَّ تضحية الإمام الحسين غير مقتصرة على بلد واحد أو أمّة واحدة، ولكنها الدولة المتوارثة لرابطة الإخاء عند كلّ البشرية.

خاتمة البحث واستنتاجاته

ليس في تاريخ هذه الدّنيا ثورة هزّت العالم ومجّدت الحق وسجّلت فخرًا للإنسان مثل ثورة الإمام الحسين ﷺ، فجميع فصولها نور، وكل آفاقها شرف ومجد، وقد حفلت بالدروس الخالدة عن العقيدة التي لا تضعف، والإيمان الذي لايقهر، والإباء الذي لايذل. وقد فتحت لأمم العالم وشعوب الأرض عصراً جديداً إتسم بروح الثورة والتمرد على الظلم والطغيان، ومقاومة الاضطهاد ومناهضة الفساد.

لقد كانت ثورة أبي الأحرار هي الثورة الأولى في التاريخ البشري، وذلك بما حقَّقته من المكاسب على الصّعيد الفكري والاجتماعي والسياسي، والتي كان من بينها:

أوّلاً: انتصرت أهداف الإمام الحسين ومبادئه التي ناضل من أجلها، وأخذ على عاتقه مصير الدين الإسلامي فاستشهد في سبيله وأعاد للإسلام نضارته وأزال عنه الخطر الجاثم عليه بعد أن عبثت الأموية بمقدّرات الإسلام واستأصلت جذوره حتَّى لم يعد له ظل على واقع الحياة(القرشي، ٢٠١١، ص ٤٤٩). يقول الفيلسوف الألماني (ماريين): - لايشك صاحب الوجدان- إذا دقّق النّظر في أوضاع ذلك العصر، وكيفية نجاح بني أمية في مقاصدهم، واستيلائهم على جميع طبقات الناس - وتزلزل المسلمين (القرشي، ٢٠١١، ص٤٥٠).

ثانياً: تفجير المواهب. من معطيات الثورة الحسينية إنَّها فجّرت المواهب والعبقريات، فبرزت طاقات هائلة من الأدب الرفيع في طليعة الأدب العالمي رقة وروعة ومجالاً.

لقد حفل أدب الثورة الحسينية بأروع ما حفل به الأدب السياسي في الإسلام ومن بين ما حفل به:

١. الإشادة بالعدالة الاجتماعية والقيم الإنسانية التي ناضل من أجلها الإمام العظيم.

٢. عرض الاتجاهات الفكرية والعقائدية التي يحملها الإمام العظيم.

٣. تمجيد الإمام الحسين ﷺ بما لم يمجد به أحد من شهداء الإصلاح الاجتماعي، فقد تفاعلت مبادئه

مع عواطف الشعراء (من الشيعة وغيرهم) وأكّدوا المدّ الإنساني في نهضته الخالدة، فراحوا يقدّسونه بأروع ما يُقدّس به أي مصلح اجتماعي في الأرض.

٤ .عرض ما جرى على أهل البيت عليهم السلام من المحن والخطوب.

يقول السيد محمد سيد الكيلاني « جاء الأدب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد».

ويقول « كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حصل بالعلويين بعدها دافعاً قويّاً للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التي تُسيل العبرات، وتُذيب القلوب، وتُفتّت الأكباد، وقد كَثُرَ الشِّعر في رثاء آل البيت كثرة هائلة، وكلّه صادر من أعماق النّفوس، منبعث من قراءة الأفئدة، فكان للأدب العربي من ذلك ثروة لاتقدر».(القرشي، ٢٠١١، ص ٤٥٥-٤٥٦).

إنَّ المطّلع على ما كتبه مفكرو العالم وأدباؤه وعلماؤه وساسته وعباقرته عن الإمام الحسين عليه السلام وثورته العظيمة وما جرى حينها في طفّ كربلاء من ملاحم بقيت راسخة في عقول كلّ الناس، يدرك عظمة ما قام به الإمام من تضحية في سبيل انتصار دين الإسلام وديمومته، ومن أجل أن يبقى حينها شاملاً تستوعبه كل العقول التي تتمتّع ببنى معرفية سليمة قادرة على تمييز ما هو صحيح ليأخذ وضعه الطّبيعي في المخطّطات المعرفيّة الثابتة في عقول كلّ عباقرة العالم؛ لهذا نلاحظ كلّ ما كتب هو في تمجيد عمل الإمام وتمجيد ثورته وإظهار روعة التّضحية التي قدَّمها مع عائلته في سبيل إعلاء صوت الإسلام، ولم نجد قولاً واحداً او حتَّى إشارة واحدة كانت مناوئة لهذه الثورة التاريخية ولقائدها أو أنّها قلّلت من أهمّيّة ما قام به الإمام الحسين وأهل بيته. فكلّ ما جاء في الأدب العالمي كان في وصف روعة مشهد الملحمة الخالدة وقساوة ما تعرّض له أهل بيت النّبوّة وبشاعة ما جرى بحقّهم، حيث لم يشهد التاريخ ما شهده سبط الرسول وأهل بيت النّبوّة مما دفع كلَّ الخيرين في العالم إلى الاستشهاد بهذه الثّورة لتكون أنموذجاً يُحتذى به من قبل كلّ من يريد تحقيق النَّصر وإيصال فكر ضرورة التّمرّد على الطغيان والاستبداد من أجل العيش في عالم تسوده حرّيّة الفكر وعدالة التعامل والتصدي لكلّ عوامل الفساد متى ما ظهرت وهدّدت أركان الدولة. عالم يتمتّع فيه الناس بحقوقهم الشّرعية وتنهار فيه الفروق الطبقية ليأخذ كلّ صاحب حقٍّ حقّه ويقول كلمته، ومتى ما تحقّق ذلك سادت المجتمع الرفاهية التي يأمل لها الجميع، وتحقّق لهم مجتمع ينعم أفراده بالسّعادة.

المصادر العربية:

* التوستري، جعفر (٢٠١١): الخصائص الحسينية- خصائص الحسين ﷺ ومزيا المظلوم، دار الحوراء، بيروت، لبنان.
* سلامة، بولس: عقل، سعيد : شكور، جورج : الهاشم، جوزيف (٢٠٠٩) : علي والحسين في الشعر المسيحي، الطبعة الاولى، مؤسسة الحكمة، لندن .
* القرشي(أ)، باقر شريف (٢٠١١): حياة الإمام الحسين- دراسة وتحليل - المجلد الاول، دار جواد الائمة ﷺ، بيروت، لبنان.
* القرشي (ب)، باقر شريف (٢٠١١): حياة الإمام الحسين دراسة وتحليل - المجلد الثالث، دار جواد الائمة ﷺ، بيروت، لبنان .
* آل قطيط، هشام (٢٠٠٧): سلوا حسيناً عن كربلاء الشهادة، منشورات الفجير، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان .
* المقرم، عبد الرزاق : كاشف الغطاء، محمد الحسين : الكاشي، عبد الوهاب : الكعبي، عبد الزهراء (٢٠٠٧) : موسوعة مقتل الإمام الحسين ﷺ ومزايا المظلوم، دار الحوراء، بيروت، لبنان .

المصادر الاجنبية:

* Brown، E. (1919): A Literary History of Persia، London.on www.facebook.com
* Chelkowski، P.J. (1979) : Ta'zizyeh: Ritual and Drama in Iran، New York. On
* www.Sibtayn .com
* Delaware، (1976): Islam Under the Arabs. On
* www.Sibtayn.com
* Gibbon، E. (1911) : The Decline and fall of the Roman Empire، London، Volume 5 . on
* www.Sibtayn.com
* Goldziher، I. (1981): Introduction to Islamic Theology and Law، Princeton on
* www.Sibtayn.com
* Ockley، S. (1894) : The History of the Saracens، London on
* www.Sibtayn .com
* -www.Sibtayn.com
* -smma59wordpress
* -www.facebook.com
* -www.Shia-azadari.com

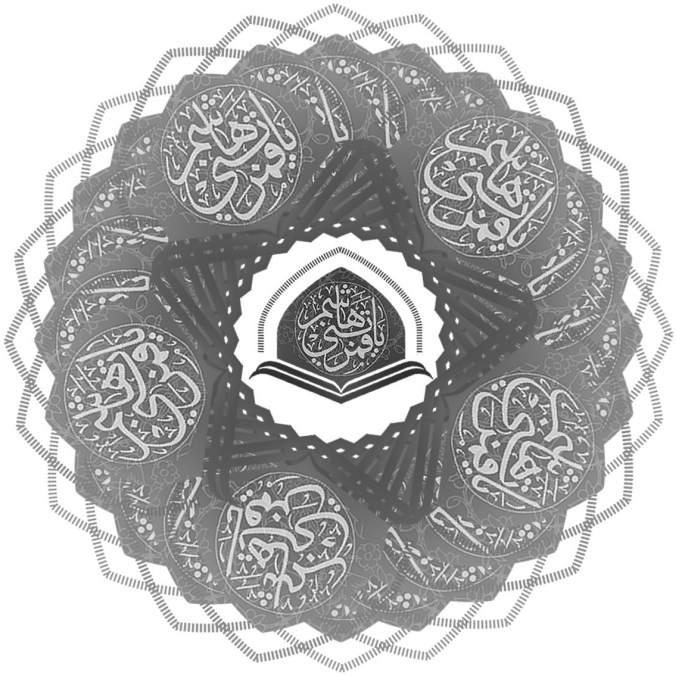

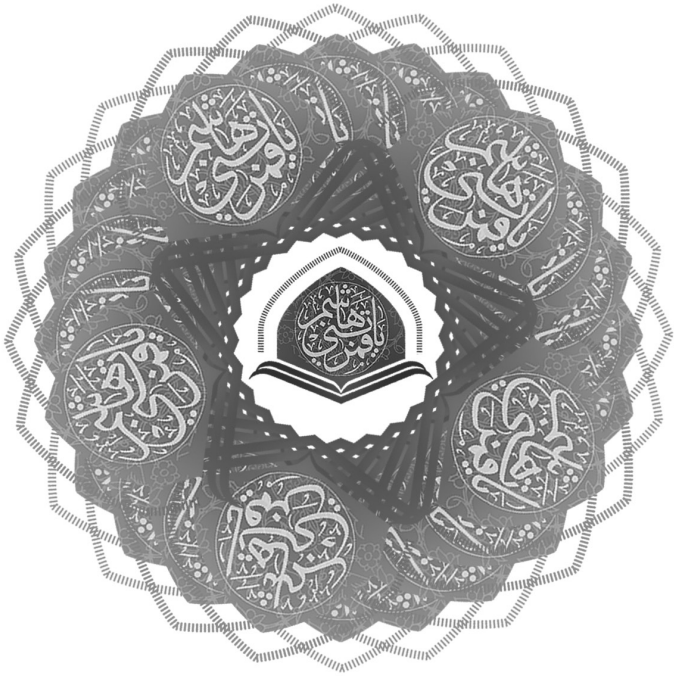

مواجهة المصاعب
الإمام السجاد عليه السلام أنموذجاً

مجتبى الصافي

كان في أيّام إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام: بقية ملك يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان؛ وفي ظل هكذا حكّام قساة طغاة واجه الإمام عليه السلام مجموعة من المصاعب والمحن والمشاكل؛ سنذكرها ونذكر كيف واجهها الإمام زين العابدين عليه السلام.

المشكلة الأولى: المشكلة الأمنيّة.

وكانت هذه المشكلة مشكلة كبيرة إذ تصدّى الإمام السجاد عليه السلام للإمامة في اليوم العاشر من المحرّم بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام؛ وبتعبير آخر استلم الإمامة في أقسى يوم من أيّام أهل البيت عليهم السلام وأيام شيعتهم؛ ذلك اليوم الذي يقول فيه الإمام الرضا عليه السلام:((إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ فِيهِ الْقِتَالَ! فَاسْتُحِلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا، وَ هُتِكَتْ فِيهِ حُرْمَتُنَا، وَ سُبِيَ فِيهِ ذَرَارِيُّنَا وَ نِسَاؤُنَا، وَ أُضْرِمَتِ النِّيرَانُ فِي مَضَارِبِنَا، وَ انْتُهِبَ مَا فِيهَا مِنْ ثِقْلِنَا، وَ لَمْ تُرْعَ لِرَسُولِ اللهِ حُرْمَةٌ فِي أَمْرِنَا .

إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا، وَ أَسْبَلَ دُمُوعَنَا، وَ أَذَلَّ عَزِيزَنَا بِأَرْضِ كَرْبٍ وَ بَلَاءٍ، أَوْرَثَتْنَا الْكَرْبَ وَ الْبَلَاءَ إِلَى يَوْمِ الِانْقِضَاءِ .

فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ " .

ثُمَّ قَالَ عليه السلام : كَانَ أَبِي إِذَا دَخَلَ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ لَا يُرَى ضَاحِكاً، وَ كَانَتِ الْكَآبَةُ تَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى يَمْضِيَ مِنْهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْعَاشِرِ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ وَ حُزْنِهِ وَ بُكَائِهِ، وَ يَقُولُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ»[1].

لقد كان اليوم الأول الذي استلم فيه الإمامة يوماً عصيباً دمويًّا قاسياً على أهل البيت وشيعتهم عليهم السلام. وهذا بدوره أضاف صعوبات وتحديات على الإمام السجاد عليه السلام إذ كيف يحافظ على الوجود الشيعي؛ وقد ارتدّ كثير من الناس بعد واقعة كربلاء بسبب الظلم والاضطهاد الذي كان يلحق بهم.

رُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ:((ارْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَلَا ثَلَاثَةً، أَبَا خَالِدٍ الْكَابُلِيَّ، وَيَحْيَى بْنَ

١- بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٨٣.

أُمِّ الطَّوِيل، وَجُبَيرَ بْن مطعم، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ لَحِقُوا وَكَثُرُوا))[1]. ولَيْسَ المُرادُ مِنْهُ ارْتِدَادَ النَّاسِ عَنِ الإِسْلام، بَلْ ارْتِدَادُهُمْ عَنْ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام وَابْتِعَادُهُمْ وَانْفِضَاضُهُمْ عَنْهُمْ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ بَنِي أُمَيَّةَ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا بِشَكْلٍ تَدْرِيجِيٍّ وَعَادُوا لِلإِلْتِفَافِ حَوْلَهُمْ عليهم السلام، كَمَا تَنُصُّ عَلَيْهِ الرِّوَايَةُ.

وفي هذه الظّروف الخانقة أخذ الإمام عليه السلام يلملم البيت الشيعي من جديد بعد انكماشه، واستطاع الإمام أن يجتازَ هذه الفترة من خلال القيام بمجموعة من الأعمال من دون الاصطدام مع الحكومات الجائرة؛ وأهم تلك الخطوات:

الخطوة الأولى: ابتعاد الإمام عليه السلام عن الثّورات التي اندلعت في عصره، وتجنّب المواجهة مع طغاة عصره إلّا إذا دعت الضّرورة الى ذلك.

بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام تناوبت الثورات على بني أُميّة وبني مروان واحدة بعد الأُخرى، وشهد العالم الإسلامي مآسي ومجازر شديدة من بني أمية راح ضحيّتها كثير من المسلمين، ومن أهمّ هذه الانتفاضات التي عاصرها الإمام السجّاد عليه السلام هي:

١. ثورة أهل المدينة: بعد أن رجع أهل البيت عليهم السلام من الشام إلى مدينة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وحدّثوا الناس بما جرى عليهم من مآسٍ وويلات ... علم أهل المدينة بمدى خبث يزيد. ومن جانب آخر بعث أهل المدينة إلى يزيد وفداً فيهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير، ورجال كثيرة من أشراف أهل المدينة. فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم إلّا أنّهم لمّا رجعوا أظهروا شتم يزيد وعيبه. وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب الكلاب، ويسمر عنده الخراب وهم اللصوص، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه.

فثار أهل المدينة ضدّ يزيد، وأخرجوا عامل يزيد على المدينة عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، وحاصروا بني أُميّة في دار مروان، وبايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد.

فأرسل إليهم يزيد جيشاً كبيراً بقيادة مسلم بن عقبة الذي سمّي فيما بعد بمسرف لإسرافه في القتل، وأمره بإباحة المدينة ثلاث ليالٍ، ولمّا بلغ جيشه الحرّة وهي موضع خارج المدينة خرج أهل المدينة لقتاله بقيادة عبدالله بن حنظلة، فاقتتل الجيشان قتالاً شديداً حتّى انتصر جيش الشام.

وقد قتل في هذه الواقعة خلق كثير من أهل المدينة، حتّى أنّ الزهري سُئِل: كم كان القتلى يوم الحرّة؟.

فقال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأمّا من لم يعرف من حرّ أو عبد أو امرأة فعشرة آلاف. وخاض الناس في الدماء حتّى بلغ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله

١- رِجَالُ الكَشِّيِّ/ ج١/ ص٣٣٨.

وامتلأت الروضة الشريفة والمسجد منه[1].

وعن هشام بن حسّان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة من غير زوج[2].

وقال عبدالله بن أبي بكر: كان أهل المدينة أعزّ الناس وأهيبهم، حتّى كانت الحرّة فاجترأ الناس عليهم فهانوا[3].

٢. ثورة التّوّابين:

بعد واقعة عاشوراء ثار أهل الكوفة ضد يزيد، فقصد ما يقارب أربعة آلاف رجل منهم قبر سيّد الشهداء عليه السلام، فأقاموا عنده يوماً وليلة وهم يبكون ويستغفرون الله ويطلبون منه المغفرة والتوبة، ثمّ انصرفوا عن القبر الشريف إلى عين الوردة يسبقهم عبدالله بن عوف الذي أخذ ينشدهم من أبياته ويحرّك فيهم روح الثورة والانتقام لدم الحسين المظلوم عليه السلام.

وفي عين الوردة[4] التقى التّوّابون بجيش الشام وتطاحن الطّرفان، فقاتل التّوابون قتال الشجعان إلى أن استشهد قادتهم، ومنهم: سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، وعبدالله بن سعد وغيرهم. وأحسّوا بأن لا قدرة لهم على مقاومة جيش الشام، فتركوا ساحة القتال، وآووا في ظلمة الليل إلى الكوفة.

٣. ثورة المختار الثّقفي:

كان المختار من الشيعة الموالين وقد ترحّم عليه الإمام الباقر عليه السلام. فعن عبد الله بن شريك، قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متّكئ، وقد أرسل إلى الحلاّق. فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة، فتناول يده ليقبّلها فمنعه، ثمّ قال: من أنت؟ .

قال: أبو محمّد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثّقفي. وكان متباعداً من أبي جعفر، فمدّ عليه السلام يده إليه حتّى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده، ثمّ قال: أصلحك الله إنّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك.

قال أبو جعفر: وأيّ شيء يقولون؟ .

قال: يقولون: كذّاب، ولا تأمرني بشيء إلّا قبلته.

فقال عليه السلام: سبحان الله! أخبرني أبي والله إنّ مهر أُمّي كان ممّا بعث به المختار، أولم يبن دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بدمائنا فرحمه الله[5] .

وقال أبو جعفر عليه السلام: لا تسبّوا المختار؛ فإنّه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوّج أراملنا، وقسّم فينا

١- عمدة القاري: ج١٧/ ص٢٢١.

٢- المصدر نفسه: ج١٧/ ص٢٢١.

٣- الإمامة والسياسة: ج١/ ص١٨٨.

٤- عين الوردة: هي المكان المعروف اليوم برأس عين في الجزيرة.

٥- إختيار معرفة الرجال: ج١/ ص٣٤٠.

المال على العسرة[1] .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ما امتشطت فينا هاشمية، ولا اختضبت، حتّى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام[2].

٤ . ثورة ابن الزّبير:

اشتدّ عداء أهل المدينة لبني أُميّة بعد واقعة الحرّة، وحرق الكعبة الشريفة. فاستغلّ ابن الزبير ذلك ودعاهم لمبايعته ونصرته، فاستجاب له كثير منهم، ولكنّه لم يكن مخلصاً في ثورته ولم تكن أهدافه سليمة، بل كلّ ما كان يطمح إليه في ثورته هو الملك والمادّة، حتّى قال عبدالله بن عمر لزوجته التي كانت تلحّ عليه أن يبايعه ـ: أ ما رأيتِ بغلات معاوية التي كان يحجّ إليها الشهباء، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ.

وكان ابن الزبير يبغض آل النبي صلى الله عليه وآله بشدّة، وقد بلغ به الأمر أن ترك الصلاة على النبي وآله في خطبته. فقيل له في ذلك، فقال: إنّ له أهل سوء يشرئبّون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به!![3].

وقال ذات مرّة لابن عبّاس: إنّي لأكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة[4].

وقد أدّى عدم مشاركة الإمام في الثورات إلى أنَّ السلطة خففت الحصار عن الإمام عليه السلام بعد أن رأت الإمام قد انصرف الى العبادة والزهد في الدنيا وقضاء الوقت بالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

وهنا استطاع الإمام عليه السلام حماية نفسه وعائلته وشيعته، وحتَّى غير أتباعه وشيعته استطاع أن يُحافظ عليهم وأن يكسب ودّهم بعد ذلك.

الخطوة الثانية: الانعزال عن القضايا السياسية والاهتمام بتربية المجتمع.

كان للإمام زين العابدين عليه السلام دور هام في المجتمع الإسلامي الذي أُبتلي ببني أميّة الذين لم يكن لهم همّ سوى الملذّات والشّهوات الشّيطانية دون أن يُفكّروا بهموم الرّعيّة ويسعوا لحلّ مشاكلهم.

بالطبع لا يمكن حصر دور الإمام عليه السلام في بُعدٍ خاصٍّ؛ لأنَّه كان المرجع للمجتمع في جميع أموره، وكان منها:

١ . كفالة المحتاجين:

تكفّل الإمام زين العابدين عليه السلام أيّام حياته العديد من الناس، فكان يؤمّنهم ويقضي حوائجهم في العيش. فعن محمّد بن إسحاق أنّه كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلمّا مات علي بن

١- إختيار معرفة الرجال: ج١/ ص٣٤٠.

٢- المصدر نفسه: ج١/ ص٣٤١.

٣- تاريخ اليعقوبي: ج٢/ ص٢٦١.

٤- شرح نهج البلاغة: ج٤/ ص٦٢.

الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل[1].

وعن شيبة بن نعامة: أنَّ الإمام عليه السلام كان يقوت مائة أهل بيت، وقيل: كان في كلّ بيت جماعة من الناس[2].

وقيل: إنّه عليه السلام كان يتصدّق بالسّكّر واللوز. فسُئل عن ذلك، فقرأ قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[3]، [4].

وعن أبي جعفر عليه السلام: إنَّهُ كانَ يَعولُ مائَةَ بَيتٍ مِن فُقَراءِ المَدينَةِ وَكانَ يُعجِبُهُ أن يَحضُرَ طَعامَهُ اليَتامى وَالأضرّاءُ وَالزَّمني وَالمَساكينُ الَّذيَن لا حيلَةَ لَهُم وَكانَ يُناوِلُهُم بِيَدِهِ وَمَن كانَ مِنهُم لَهُ عِيالٌ حَمَلَهُ إلى عِيالِهِ مِن طَعامِهِ، وَكانَ لا يَأكُلُ طَعاماً حَتّى يَبدَأ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ [5].

٢. صدقة السرّ:

تضافرت الأخبار الشَّريفة عن أهل البيت عليهم السلام في فضل صدقة السرّ ومن ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((صدقة السّر تطفئ غضب الربّ تبارك وتعالى، فإذا تصدّق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله)) [6].

وعن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ((صدقة العلانية تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء، وصدقة السّر تطفئ غضب الربّ)) [7].

وعن أبي جعفر عليه السلام: ((البِر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان تسعين ميتة السوء)) [8].

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً ما يتصدّق على المحتاجين بصدقة السّر:

عن أبي جعفر عليه السلام: أنّه عليه السلام كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره حتّى يأتي باباً فيقرعه ثمّ يناول من كان يخرج إليه وكان يغطّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلاّ يعرفه[9] .

وفي خبر أنّه عليه السلام كان إذا جنّ الليل وهدأت العيون قام إلى منزله فجمع ما يبقى فيه من قوت أهله، وجعله في جراب ورمى به على عاتقه، وخرج إلى دور الفقراء وهو متلثّم ويفرّق عليهم. وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا به، وقالوا: جاء صاحب الجراب[10].

١- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٣.
٢- المصدر نفسه: ج٤/ ص١٥٣.
٣- سورة آل عمران:٩٢.
٤- بحار الأنوار: ج٤٦/ ص٨٩.
٥- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٤.
٦- دعائم الإسلام: ج٢/ ص٣٣٠.
٧- بحار الأنوار: ج٩٣/ ص١٧٩.
٨- الكافي: ج٤/ ص٢.
٩- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٣.
١٠- شرح الأخبار: ج٣/ ص٢٥٤.

وعن سفيان بن عيينة: رأى الزّهري علي بن الحسين ﷺ في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب وهو يمشي. فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا؟.

قال: أُريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز.

فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك. فأبى ﷺ فقال: فأحمله عنك فإنّي أرفعك عن حمله. فقال علي بن الحسين ﷺ: لكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري ويحسن ورودي على ما أراد عليه. سألتك بالله لما مضيت في حاجتك وتركتني ، فانصرف عنه. فلمّا كان بعد أيّام قال له: يا ابن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً؟. قال ﷺ: بلى يا زهري ليس ما ظننت ولكنّه الموت وله كنت أستعدّ[1] .

وعن الزهري: لمّا مات زين العابدين ﷺ فغسّلوه وجد على ظهره محل، فبلغني أنّه كان يستقي لضعفة جيرانه بالليل[2].

ولما مات علي بن الحسين ﷺ وغسّلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره. فقالوا: ما هذا؟!. قيل: كان يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً[3].

وفي بعض الأخبار: أنّه ﷺ لمّا وُضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء[4].

وقال أبو حمزة الثمالي: كان زين العابدين ﷺ يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: إنّ صدقة السّر تُطفئ غضب الربّ[5].

الخطوة الثّالثة: اتخاذ الأساليب التّبليغيّة غير التّصادميّة.

وقد تنوّعت هذه الأساليب حسب مقتضى الحال فقد كان أحياناً يستخدم الدّعاء؛ والصحيفة السجادية مليئة بالمعارف العقائدية والأخلاقية والقضايا الفكرية المتنوعة التي يحتاجها الناس؛ وتارة أخرى عن طريق تربيته للعبيد وتثقيفهم وتعبئتهم بالفكر الأصيل وتحريرهم بعد مدّة من ذلك.

يقول السيد ابن طاووس رحمه الله في (الإقبال): كان علي بن الحسين ﷺ إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يُعاقبه فيجتمع عليهم الأدب. حتّى إذا كان آخر الليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب،

١- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٣.

٢- المصدر نفسه: ج٤/ ص١٥٤.

٣- كشف الغمة: ج٢/ ص٧٧.

٤- الخصال: ج٢/ ص٥١٧.

٥- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٣.

ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدّبك، أتذكر ذلك؟. فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتّى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً. ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إنَّ ربّك قد أحصى عليك كلّ ما عملت، كما أحصيت علينا كلّ ما عملنا... فاذكر يا علي بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربّك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبّة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعفو عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**﴾[1] قال وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: ربّ إنَّك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا... ثم يُقبل عليهم ويقول قد عفوت عنكم فهل عفوتم عنّي وممّا كان منّي إليكم من سوء ملكة؟ فإنِّي مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضّل . فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت.

فيقول لهم: قولوا: اللهم أعف عن علي بن الحسين كما عفى عنّا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرّق. فيقولون ذلك، فيقول: اللهم آمين يا ربّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عنّي وعتق رقبتي فيعتقهم.

فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عمّا في أيدي الناس، وما من سنة إلّا وكان يعتق فيها آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر[2].

وتارة أخرى كان الإمام يُمارس التبليغ من خلال أخلاقه العملية:

كان منها:

١. عبادته عليه السلام:

كان الإمام السجاد عليه السلام كثير العبادة، شديد الخوف من الله تعالى، إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يغشاك؟. فيقول عليه السلام: أ تدرون لمن أتأهّب للقيام بين يديه[3] .

* وكان عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[4]، وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة[5]، وله خمسمائة نخلة يصلّي عند كلّ نخل ركعتين[6]، وإذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبداً.

* وروي أنّه كان عليه السلام إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه وأصابته رعدة وحال أمره، فربما سأله عن حاله من

١- سورة النور: ٢٢.

٢- إقبال الأعمال: ص٢٦٠-٢٦١.

٣- الارشاد: ج٢ ص١٤٢-١٤٣.

٤- البداية والنهاية: ج٩/ ص١٢٣.

٥- روضة الواعظين: ج١/ ص١٩٧.

٦- الخصال: ج٢/ ص٥١٧.

لا يعرف أمره في ذلك، فيقول: إنّي أُريد الوقوف بين يدي ملك عظيم. وكان إذا وقف في الصلاة لم يشغل بغيرها ولم يسمع شيئاً لشغله بالصلاة[1].

* ووقع حريق في بيت هو عليه السلام فيه ساجد. فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار النار! فما رفع رأسه حتّى أُطفيت. فقيل له بعد قعوده: ما الذي ألهاك عنها؟. قال: ألهتني عنها النار الكبرى[2] .

* وعن الزهري قال: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان قال فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين. فقال: يا أبا محمد، لقد بان عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقريب النسب وكيد السبب، وإنَّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه. قال: فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم؟[3] .

وعن الصادق عليه السلام، قال: كان علي بن الحسين عليه السلام شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه. فقلت له: يا أبه كم هذا الدّؤب؟. فقال له عليه السلام: أتحبّب إلى ربّي لعلّه يزلفني[4] .

وقال طاووس الفقيه: إنّه رأى الإمام زين العابدين عليه السلام يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد. فلمّا لم يرَ أحداً رمق إلى السماء بطرفه، وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وهدأت أصوات عبادك، وغلقت الملوك أبوابها، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وترينـي وجه محمّد صلى الله عليه وآله في عرصات القيامة.

ثمّ بكى وقال: وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليَّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني؟، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي. فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين: جوزوا، وللمثقلين: حطّوا. أمع المخفين أجوز، أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي .

ثمّ بكى وأنشأ يقول:

أ تحرقني بالنار يا غاية المنى — فأين رجائي ثمّ أين محبّتي!

أتيت بأعمال قباح ردية — وما في الورى خلق جنى كجنايتي

١- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٠.

٢- المصدر نفسه:: ج٤/ ص١٥٠.

٣- مستدرك الوسائل: ج١/ ص١٢٥-١٢٦.

٤- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٥.

ثمّ بكى وقال: سبحانك تُعصى كأنّك لا تَرى، وتحلم كأنّك لم تُعص، تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّ لك الحاجة إليهم، وأنت ياسيدي الغني عنهم، ثمّ خرّ إلى الأرض ساجداً.

قال: فدنوت منه وشلت رأسه، فوضعته على ركبتي وبكيت حتّى جرت دموعي على خدّه، فاستوى جالساً وقال: من الذي أشغلني عن ذكر ربّي؟ .

فقلت له: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟. نحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون؟. أبوك الحسين بن علي عليهما السلام وأُمّك فاطمة الزهراء عليها السلام وجدّك رسول الله صلى الله عليه وآله!

قال: فالتفت إليَّ وقال: هيهات هيهات يا طاووس دع عنّي حديث أبي وأُمّي وجدّي، خلق الله الجنّة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾[1]، والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة تقدّمها من عمل صالح[2] .

وكان الإمام السجاد عليه السلام يُربّي الناس عملياً على عدم الغرور بالأعمال واستكثارها، لذا كان عليه السلام كثيراً ما يذكر عبادة أجداده الأطهار عليهم السلام ويستصغر عبادته أمامها؛ عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: دخل أبو جعفر عليه السلام على أبيه عليه السلام فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، وقد اصفرّ لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته من السجود، وورمت قدماه من القيام في الصلاة.

قال عليه السلام: فقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال من البكاء فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكّر فالتفت إليَّ بعد هنيئة من دخولي. فقال: يا بني، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي عليه السلام. فأعطيته، فقرأ فيها يسيراً ثمّ تركها من يده تضجّراً: وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب[3] عليه السلام .

ويقول الزهري: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان، قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليهما السلام إلى أن قال فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلّ ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم يا أمير؟. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتّى تورم قدماه، ويظمأ في الصيام حتّى يعصب فوه. فقيل له: يارسول الله، ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! فيقول صلى الله عليه وآله : أفلا أكون عبداً شكوراً؟.

الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأُولى، والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حدّ نعمة منها على جميع حمد الحامدين.

١- سورة المؤمنون: ١٠١.

٢- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥١.

٣- المصدر نفسه: ج٤/ ص١٤٩.

لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سرّ ولا علانية، ولولا أنَّ لأهلي عليّ حقّاً ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليَّ حقوقاً، لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتّى أُؤدّيها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثّم لم أرددهما حتّى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين . وبكى وبكى عبد الملك[1].

٢. عفوه عليه السلام :

من الأُمور المهمّة التي كانت واضحة في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام التأكيد على الأخلاقيات، ومنها: العفو عن الآخرين لدى إساءتهم، وعدم الردّ بالمثل. ففي دعائه عليه السلام المعروف بدعاء (مكارم الأخلاق) يقول:

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وحلّني بحلية الصّالحين، وألبسني زينة المتّقين، في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضمّ أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح[2] .

وهكذا كان عليه السلام في مواقفه الكريمة:

روي أنَّه كان عنده عليه السلام قوم أضياف. فاستعجل خادماً له بشواء كان في التّنور، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود[3] منه على رأس بنيّ لعلي بن الحسين تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله. فقال علي للغلام وقد تحير الغلام واضطرب ـ: أنت حرّ؛ فإنَّك لم تعتمده . وأخذ في جهاز ابنه ودفنه[4].

* وعن سفيان، قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له: إنّ فلاناً قد وقع فيك وآذاك. قال عليه السلام: فانطلق بنا إليه . فانطلق معه وهو يرى أنّه سينتصر لنفسه، فلمّا أتاه قال عليه السلام له: يا هذا، إن كان ما قلت فيَّ حقّاً فالله تعالى يغفره لي، وإن كان ما قلت فيَّ باطلاً فالله يغفر لك[5] .

* ونادى علي بن الحسين عليه السلام يوماً مملوكاً له فلم يجبه وهو يسمعه.

فقال: يا بني، أناديك فلا تجيبني، أ ما تخاف أن أعاقبك؟ .

قال: لا والله ما أخافك؛ وذلك الذي حملني على أن لم أجبك.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: الحمد لله الذي جعل مملوكي آمناً منّي[6] .

* وجعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد

١- مستدرك الوسائل: ج١/ ص١٢٥-١٢٦.

٢- الصحيفة السجادية: الدعاء رقم ٢٠.

٣- السفود: حديد يشوى بها اللحم.

٤- كشف الغمة: ج٢/ ص٨١.

٥- كشف الغمة: ج٢/ ص٧٥.

٦- شرح الأخبار: ج٣/ ص٢٦٠.

الجارية على وجهه فشجه. فرفع علي بن الحسين عليه السلام رأسه إليها.

فقالت الجارية: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾[1].

فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[2].

قال: قد عفى الله عنكِ.

قالت: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾[3].

قال: اذهبي فأنتِ حرّة[4] .

* وكسرت جارية له قصعة فيها طعام فاصفرّ وجهها. فقال عليه السلام: اذهبي فأنت حرّة لوجه الله[5] .

* وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: إنّ فلاناً ينسبك إلى أنّك ضال مبتدع!. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: ما رعيت حقّ مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدّيت حقّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه. إنّ الموت يعمّنا، والبعث محشرنا، والقيامة موعدنا، والله يحكم بيننا. إياك والغيبة! فإنّها إدام كلاب أهل النار. واعلم إنّ من أكثر عيوب الناس شهد عليه الإكثار إنّه إنّما يطلبها بقدر ما فيه[6] .

٣. حلمه عليه السلام:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام آية في الحلم وكظم الغيظ حتّى مع ألدّ خصومه. فهو من أهل بيت شيمتهم الحلم، وخُلُقهم الصّفح، وردّ السيئة بالحسنة.

* ففي الخبر أنّه عليه السلام قال: ما تجرّعت جرعة غيظ أحبّ إليَّ من جرعة غيظ أعقبها صبراً، وما أُحبّ أنّ لي بذلك حمر النّعم[7] .

* وذات مرّة سبّه رجل فسكت عنه. فقال الرجل: إياك أعني. فقال عليه السلام: وعنك أغضي[8].

* وروي أنّ رجلاً وقف وأسمعه وشتمه، فلم يكلّمه. فلمّا انصرف قال عليه السلام لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أُحبّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا منّي ردّي عليه وهذا بقصد تعليم أصحابه..

فأتى منزل الرجل وصرخ به فخرج الرجل متوثّباً للشّر. فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا أخي، إن كنت قد قلت ما فيَّ فاستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيَّ فغفر الله لك .

١- سورة آل عمران: ١٣٤.

٢- سورة آل عمران: ١٣٤.

٣- سورة آل عمران: ١٣٤.

٤- أمالي الصدوق: ص٢٠١.

٥- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٨.

٦- مشكاة الأنوار: ص٣٢٣.

٧- أمالي الطوسي: ص٦٧٣.

٨- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٧.

قال: فقبّل الرجل بين عينيه وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقّ به[1].

وشتمه بعضهم، فقال عليه السلام: يا فتى إنّ بين أيدينا عقبة كؤوداً فإن جزت منها فلا أُبالي بما تقول، وإن أتحيّر فيها فأنا شرّ ممّا تقول[2].

* وشتمه بعضهم فقصده غلمانه. فقال عليه السلام: دعوه فإنّ ما خفي منّا أكثر ممّا قالوا ثمّ قال له أ لك حاجة يا رجل؟. فخجل الرجل فأعطاه ثوبه وأمر له بألف درهم. فانصرف الرجل صارخاً: أشهد أنّك ابن رسول الله[3].

* وروي أنّ هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان. وقد أساء جوار الإمام عليه السلام ولحقه منه أذى، فلمّا مات عبد الملك عزله الوليد بن عبد الملك وأوقفه للناس لكي يقتصّوا منه. فقال: والله إنّي لا أخاف إلّا علي بن الحسين. فمر عليه الإمام عليه السلام وسلّم عليه، وأمر خاصّته أن لا يتعرّض له أحد بسوء. وأرسل له: إن كان أعجزك مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك ويسدّ حاجتك، فطِب نفساً منّا ومن كلّ من يطيعنا . فقال له هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته[4].

المشكلة الثانية: المشكلة السّياسيّة

لا بُدَّ أن نعلم أنَّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام أسقطت شرعيّة بني أميّة السياسية، واستطاعت أن تفضحهم وتفضح فسادهم؛ وهكذا سار الإمام السّجّاد عليه السلام في الطريق نفسه؛ لكنه عليه السلام كان يواصل هذا الطريق من **طريقين**:

الطّريق الأول: البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وبيان مظلوميّته، وهذا يجر ويدفع الناس الى البحث عن الأسباب التي دعت إلى ذلك الخروج وبهذا سيعرف الناس طريق الحقّ وطريق الباطل.

عاش الإمام زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين، قضاها بالحزن والبكاء على أبيه سيّد الشهداء عليه السلام حتّى عُدّ عليه السلام من البكّائين الخمسة. ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، وعلي بن الحسين عليه السلام [5].

وكان عليه السلام لا يوضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم

١- الإرشاد: ج٢/ ص١٤٥-١٤٦.
٢- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٥٧.
٣- المصدر نفسه: ج٤/ ص١٥٧.
٤- بحار الأنوار: ج٤٦/ ص٩٤.
٥- الخصال: ص٢٧٢.

أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة[1].

وكان ﷺ كلّما تذكّر عطش أبيه الإمام الحسين ﷺ بكى. يقول الراوي: كان إذا أخذ ماء ليشرب بكى. فقيل له في ذلك، فقال: كيف لا أبكي، وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش[2] .

وقيل له: إنّك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا. فقال: نفسي قتلتها، وعليها أبكي[3] .

وأشفق عليه جماعة من مواليه وأهل بيته من كثرة بكائه على أبيه. فقال له بعضهم: أما آن لحزنك أن ينقضي؟!.

فقال ﷺ: ويحك إنّ يعقوب النبي ﷺ كان له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي، وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني![4] .

وعن الإمام الصادق ﷺ، قال: إنَّ زين العابدين ﷺ بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا كان وقت إفطاره أتاه غلامه بطعامه وشرابه. فيقول: قُتل أبو عبد الله ﷺ جائعاً، قُتل أبو عبد الله ﷺ عطشاناً، ويبكي حتَّى يبل طعامه بدموعه ويمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتَّى لحق بالله عزّ وجلّ[5].

لّما رجع الإمام ﷺ بالنسوة من الشام والعراق إلى المدينة وأصبحوا بقربها، أمر الإمام بحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل النساء فيه. وكان معه بشر بن حذلم، فقال له: يا بشر، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ .

قال: بلى يا ابن رسول الله.

قال: فادخل المدينة وانع أبا عبد الله ﷺ .

قال بشر: فركبت فرسي ومضيت حتّى دخلتها، فلّما بلغت مسجد النبي ﷺ رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها — قُتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج — والرأس منه على القناة يدار

ثمّ قلت: يا أهل المدينة، هذا علي بن الحسين ﷺ مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم وأُنزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أُعرّفكم مكانه[6].

١- روضة الواعظين: ج٢/ ص٤٥١.

٢- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٦٦.

٣- المصدر نفسه:: ج٤/ ص١٦٦.

٤- بحار الأنوار: ج٤٦/ ص١٠٨.

٥- وسائل الشيعة: ج٢٥/ ص٢٧٨.

٦- اللهوف: ص١٩٧-١٩٨.

الطَّريق الثاني: الوصية بعدم الركون للظالمين.

ومما لا يخفى على أحد: أنّ الجائرين لم يصلوا إلى مآربهم، لو لم يجدوا أعوانًا على ما يقومون به من مظالم ومآثم . وقد عبَّر الإمام ﷺ عن ذلك لمن راح يذرف الدّموع على ما يجري على أهل البيت من المصائب والظلم، ما معناه: أنّ المسؤول عن ذلك ليسوا هم الظالمين فقط، بل مَنْ توسّط في إيصال الظلم وتمكين الظلمة، وتمهيد الأمر لهم، كلهم مشاركون في الجريمة .

وقد اعتمد الإمام زين العابدين ﷺ على هذه القاعدة الإسلامية، وجعلها ركيزة في مقاومة النّظام الفاسد، وحاول تجريده من سلاح الوعّاظ المحيطين به، المتزلّفين، الذين تمرّر السلطة على وجودهم ما تقوم به من إجراء يحسّنون بذلك أفعالها أمام العوامّ، ويوقّع علماء الزور على آثامها .

ففي الحديث أنّ الإمام السجّاد ﷺ كان يقول:«العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به: شركاء ثلاثة»[1].

ومن كتابه ﷺ إلى محمد بن مسلم الزهري الذي كان من الراكنين للظالمين والمؤيدين لهم، والسائرين في تلبية مآربهم وظلمهم؛ يعظه:((... فَانْظُرْ أَيَّ رَجُلٍ تَكُونُ غداً إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعَمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ قَابِلًا مِنْكَ بِالتَّعْذِيرِ وَلَا رَاضِياً مِنْكَ بِالتَّقْصِيرِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَيْسَ كَذَلِكَ أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ وَاعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَأَخَفَّ مَا احْتَمَلْتَ أَنْ آنَسْتَ وَحْشَةَ الظَّالِمِ وَسَهَّلْتَ لَهُ طَرِيقَ الْغَيِّ بِدُنُوِّكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وَإِجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ فَمَا أَخْوَفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبُوءُ بِإِثْمِكَ غَداً مَعَ الْخَوَنَةِ وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّلَمَةِ إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ مِمَّنْ أَعْطَاكَ وَدَنَوْتَ مِمَّنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقّاً وَلَمْ تَرُدَّ بَاطِلًا حِينَ أَدْنَاكَ وَأَحْبَبْتَ مَنْ حَادَّ اللهَ أَ وَلَيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ جَعَلُوكَ قُطْباً أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ وَجِسْراً يَعْبُرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بَلَايَاهُمْ وَسُلَّماً إِلَى ضَلَالَتِهِمْ دَاعِياً إِلَى غَيِّهِمْ سَالِكاً سَبِيلَهُمْ يُدْخِلُونَ بِكَ الشَّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَّالِ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَبْلُغْ أَخَصُّ وُزَرَائِهِمْ وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ وَاخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ فَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطَوْكَ فِي قَدْرِ مَا أَخَذُوا مِنْكَ وَمَا أَيْسَرَ مَا عَمَرُوا لَكَ فَكَيْفَ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ لَهَا غَيْرُكَ وَحَاسِبْهَا حِسَابَ رَجُلٍ مَسْئُولٍ وَانْظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَّاكَ بِنِعَمِهِ صَغِيراً وَكَبِيراً فَمَا أَخْوَفَنِي أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ- فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا إِنَّكَ لَسْتَ فِي دَارِ مُقَامٍ أَنْتَ فِي دَارٍ قَدْ آذَنَتْ بِرَحِيلٍ فَمَا بَقَاءُ الْمَرْءِ بَعْدَ قُرَنَائِهِ طُوبَى لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ يَا بُؤْسَ لِمَنْ يَمُوتُ وَتَبْقَى ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ احْذَرْ فَقَدْ نُبِّئْتَ وَبَادِرْ فَقَدْ أُجِّلْتَ إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَجْهَلُ وَإِنَّ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ لَا يَغْفُلُ تَجَهَّزْ فَقَدْ دَنَا مِنْكَ سَفَرٌ بَعِيدٌ وَدَاوِ ذَنْبَكَ فَقَدْ دَخَلَهُ سُقْمٌ شَدِيدٌ وَلَا تَحْسَبْ أَنِّي أَرَدْتُ تَوْبِيخَكَ وَتَعْنِيفَكَ وَتَعْيِيرَكَ لَكِنِّي أَرَدْتُ

١- الكافي: ج ٢/ ص ٣٣٣.

أَنْ يَنْعَشَ اللهُ مَا قَدْ فَاتَ مِنْ رَأْيِكَ وَيَرُدَّ إِلَيْكَ مَا عَزَبَ مِنْ دِينِكَ وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ- وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ أَ غَفَلْتَ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْنَانِكَ وَأَقْرَانِكَ وَبَقِيتَ بَعْدَهُمْ كَقَرْنٍ أَعْضَبَ انْظُرْ هَلِ ابْتُلُوا بِمِثْلِ مَا ابْتُلِيتَ أَمْ هَلْ وَقَعُوا فِي مِثْلِ مَا وَقَعْتَ فِيهِ أَمْ هَلْ تَرَاهُمْ ذَكَرْتَ خَيْراً أَهْمَلُوهُ وَعَلِمْتَ شَيْئاً جَهِلُوهُ بَلْ حَظِيتَ بِمَا حَلَّ مِنْ حَالِكَ فِي صُدُورِ الْعَامَّةِ وَكَلَّفَهُمْ بِكَ إِذْ صَارُوا يَقْتَدُونَ بِرَأْيِكَ وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ إِنْ أَحْلَلْتَ أَحَلُّوا وَإِنْ حَرَّمْتَ حَرَّمُوا وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَلَكِنْ أَظْهَرَهُمْ عَلَيْكَ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ ذَهَابُ عُلَمَائِهِمْ وَغَلَبَةُ الْجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ وَطَلَبُ الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُمْ أَ مَا تَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغِرَّةِ وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ قَدِ ابْتَلَيْتَهُمْ وَفَتَنْتَهُمْ بِالشُّغُلِ عَنْ مَكَاسِبِهِمْ مِمَّا رَأَوْا فَتَاقَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنَ الْعِلْمِ مَا بَلَغْتَ أَوْ يُدْرِكُوا بِهِ مِثْلَ الَّذِي أَدْرَكْتَ فَوَقَعُوا مِنْكَ فِي بَحْرٍ لَا يُدْرَكُ عُمْقُهُ وَفِي بَلَاءٍ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ فَاللهُ لَنَا وَلَكَ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ أَمَّا بَعْدُ فَأَعْرِضْ عَنْ كُلِّ مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِالصَّالِحِينَ الَّذِينَ دُفِنُوا فِي أَسْمَالِهِمْ لَاصِقَةً بُطُونُهُمْ بِظُهُورِهِمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ وَلَا تَفْتِنُهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يُفْتَنُونَ بِهَا رَغِبُوا فَطُلِبُوا فَمَا لَبِثُوا أَنْ لَحِقُوا فَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا تَبْلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هَذَا الْمَبْلَغَ مَعَ كِبَرِ سِنِّكَ وَرُسُوخِ عِلْمِكَ وَحُضُورِ أَجَلِكَ فَكَيْفَ يَسْلَمُ الْحَدَثُ فِي سِنِّهِ الْجَاهِلُ فِي عِلْمِهِ الْمَأْفُونُ فِي رَأْيِهِ الْمَدْخُولُ فِي عَقْلِهِ- إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ عَلَى مَنِ الْمُعَوَّلُ وَعِنْدَ مَنِ الْمُسْتَعْتَبُ نَشْكُو إِلَى اللهِ بَثَّنَا وَمَا نَرَى فِيكَ وَنَحْتَسِبُ عِنْدَ اللهِ مُصِيبَتَنَا بِكَ...))[1].

يضاف الى ذلك أنَّ الإمام ﷺ كان مقاطعاً للطغاة والظلمة حتَّى لا يعطيهم شرعية لأعمالهم؛ روي عن الباقر ﷺ أنَّه قال: كان عبد الملك يطوف بالبيت وعلي بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟ فقيل: هذا علي بن الحسين ﷺ، فجلس مكانه، وقال: ردّوه إليّ فردوه فقال له: يا علي بن الحسين إنّي لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إلي؟ فقال علي بن الحسين ﷺ:

إنَّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو فكن، فقال: كلا، ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا، فجلس زين العابدين وبسط رداه وقال: اللهم أره حرمة أوليائك عندك، فإذا إزاره مملوة دررًا يكاد شعاعها يخطف الأبصار، فقال له: من يكون هذا حرمته عند ربّه يحتاج إلى دنياك؟! ثم قال: اللهم خذها فلا حاجة لي فيها»[2].

١- تحف العقول: ج: ١/ ص: ٢٧٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٦/ ص ١٢٠.

المشكلة الثالثة: المشكلة الفكرية

فقد روّج أصحاب السّلطة للأفكار والعلوم التي تخص الحضارات الأخرى التي لا تعترف بالإسلام؛ ومن هنا فقد نشطت خطوط فكرية كثيرة منها المرجئة والمجبرة وغيرها من الخطوط المنحرفة؛ وهنا واجه الإمام عليه السلام هذه المشكلة بشتّى فروعها سواء على المستوى العقائدي، أو الأخلاقي، أو الفقهي، أو في شتّى مجالات العلم الأخرى.

جاء رجل من أهل البصرة إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقال : يا علي بن الحسين ! إنّ جدّك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا علي بن الحسين دموعاً حتّى امتلأت كفّه منها، ثمّ ضرب بها على الحصى، ثمّ قال:

(يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل علي عليه السلام مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم، ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلمّا وجدوا على الكفر أعوانا أظهروه، وقد علمت صاحبة الجمل والمستحفظون من آل محمّد صلى الله عليه وآله أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبي الأُمّي، وقد خاب من افترى) .

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين ! إنّ جدّك كان يقول: (إخواننا بغوا علينا) .

فقال الإمام عليه السلام : (أما تقرأ كتاب الله ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً** ﴾ فهم مثلهم أنجى الله عزّ وجلّ هوداً والذين معه، وأهلك عاداً بالريح العقيم) .»[1].

وهكذا في مسألة التوحيد فقد كان الناس تقول بالتجسيم وكان الإمام عليه السلام يبطل هذا المعتقد؛ وفي رواية أُخرى، لما كان عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إذ سمع قومًا يشبّهون الله بخلقه، ففزع لذلك وارتاع له، ونهض حتّى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده، ورفع صوته يناجي ربّه، فقال في مناجاته:

« إِلَهِي، بَدَتْ قُدْرَتُكَ وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ فَجَهِلُوكَ، وَقَدَّرُوكَ بِالتَّقْدِيرِ عَلَى غَيْرِ مَا بِهِ أَنْتَ شَبَّهُوكَ، وَأَنَا بَرِيءٌ -يَا إِلَهِي- مِنَ الَّذِينَ بِالتَّشْبِيهِ طَلَبُوكَ، لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ. إِلَهِي، وَلَمْ يُدْرِكُوكَ وَظَاهِرُ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ دَلِيلُهُمْ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ، وَفِي خَلْقِكَ -يَا إِلَهِي- مَنْدُوحَةٌ أَنْ يُنَاوِلُوكَ، بَلْ سَوَّوْكَ بِخَلْقِكَ فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ، وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آيَاتِكَ رَبّاً فَبِذَلِكَ وَصَفُوكَ، فَتَعَالَيْتَ -يَا إِلَهِي- عَمَّا بِهِ الْمُشَبِّهُونَ نَعَتُوكَ »[2].

وهكذا كان الطواغيت يصرّحون بعقيدة الجبر حتّى يبرروا أعمالهم؛ ولكن الإمام عليه السلام كان لهم بالمرصاد؛ فقد ذكر المؤرخون لمّا التفت ابن زياد إليه عليه السلام فقال: مَن هذا؟ فقيل: عليّ بن الحسين . فقال : أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال عليه السلام : قد كان لي أخٌ يقال له : «عليّ بن الحسين» قتله النّاس . فقال: بل قتله الله . وفي رواية: قال: كان لي أخ يسمّى عليّ، فقتله النّاس، أو «قد قُتل» . فقال : إنّ الله قتله .

١- بحار الأنوار: ج ٣٢/ ص ٣٤٤.

٢- الصحيفة السجادية؛ من دعائه عليه السلام في التوحيد.

فقال ﷺ : « اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» .

فقال ابن زياد : أَلَكَ جرأة على جوابي ! اذهبوا به فاضربوا عنقه .

فسمعت به عمّته زينب الكبرى، فقالت : «يابن زياد، إنّكَ لم تبقِ منّا أحدًا، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه»، فكفَّ عنه .

فقال ﷺ لعمّته: اُسكتي ياعمّتي حتّى أُكلّمه، ثُمَّ أقبل ﷺ على ابن زياد: أبالقتل تهدّدني يابن زياد ؟! أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة .[1]

إضافة إلى ذلك ركز الإمام ﷺ من أجل مواجهة الخطوط الفكرية المنحرفة الاهتمام بالقرآن الكريم والحث على تلاوته وقراءته والالتزام به، فقد روي عنه قوله: « عَلَيكَ بِالقُرآنِ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الجَنَّةَ بِيَدِهِ لَبِنَةً مِن ذَهَبٍ ولَبِنَةً مِن فِضَّةٍ، وجَعَلَ مِلاطَهَا[2] المِسكَ، وتُرابَهَا الزَّعفَرانَ، وحَصاهَا اللُّؤلُؤَ، وجَعَلَ درَجَاتِها عَلى قَدرِ آياتِ القُرآنِ؛ فَمَن قَرَأَ القُرآنَ قالَ لَهُ: اقرَأ وَارقَ، ومَن دَخَلَ مِنهُمُ الجَنَّةَ لَم يَكُن أَحَدٌ فِي الجَنَّةِ أعلى دَرَجَةً مِنهُ ما خَلَا النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقِينَ »[3].

وكان يحض على قراءة القرآن، ويرّغب الناس في تلاوته ببيان الأجر والثواب لمن يتلو كتاب الله المجيد، فقد روي عنه ﷺ قوله: « مَن قَرَأَ نَظَراً مِن غَيرِ صَوت، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ حَرفٍ حَسَنَةً، ومَحا عَنهُ سَيِّئَةً، ورَفَعَ لَهُ دَرَجَةً »[4] وفي رواية أخرى يبين ﷺ أجر وثواب من يستمع إلى تلاوة القرآن؛ إذ يقول ﷺ: «مَن استَمَعَ حَرفاً مِن كِتابِ اللهِ عزّوجلّ مِن غَيرِ قِراءَةٍ، كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةً ومَحا عَنهُ سَيِّئَةً ورَفَعَ لَهُ دَرَجَةً».[5]

وقد اشتهر الإمام زين العابدين ﷺ بأنه من أحسن الناس صوتاً في قراءته للقرآن الكريم، فكان يتلوه حق تلاوته، ويجوّد صوته بقراءته، حتَّى أنَّ من يمر على باب داره يقف حتَّى يستمع لتلاوته للقرآن الكريم.

وفي إشارة إلى هذه الحقيقة قال الإمام الصادق ﷺ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ- صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتاً بِالْقُرْآنِ، وَكَانَ السَّقَّاؤُونَ يَمُرُّونَ، فَيَقِفُونَ بِبَابِهِ يَسْمَعُونَ قِرَاءَتَهُ»[6].

وعَنْ أَبِي الْحَسَنِ ﷺ قَالَ: «إِنَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ، فَرُبَّمَا مَرَّ بِهِ الْمَارُّ، فَصَعِقَ[7] مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ»[8].

لقد استطاع الإمام السجاد ﷺ بهذه الأساليب أن يحافظ على شريعة جدّه المصطفى ﷺ، وفي الوقت نفسه الحفاظ على الناس وتصحيح إسلامهم وعلاقتهم مع الله تعالى.

١- بحار الأنوار: ج ٤٥ / ص ١١٨.

٢- المِلاط: الطينُ الذي يجعل بين سافَي البناء يُملَطُ به الحائط؛ أي يخلَط (النهاية: ج ٤/ ص ٣٥٧« ملط»).

٣- بحار الأنوار: ج ٨٩ / ص ١٩٨.

٤- أصول الكافي: ج ٢/ ص ٦١٢.

٥- عدّة الداعي: ص ٢٧٠.

٦- بحار الأنوار، ج٤٦، ص٧٠. أصول الكافي، ج٢، ص٥٨٠. الوافي، ج ١٠/ ص ٢٤٧.

٧- صَعِق صَعْقاً: غُشي عليه من صوت يسمعه، أوحِسٍّ، أو نحوه. و صَعِقَ صَعْقاً: مات. ترتيب كتاب العين، ج ٢، ص ٩٩١.

٨- الوافي، ج ١٠، ص ٢٤٧، ح ٩٠٣٢؛ وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢١١، بحار الأنوار، ج ١٦/ ص ١٨٧؛ و ج ٢٥/ ص ١٦٤.

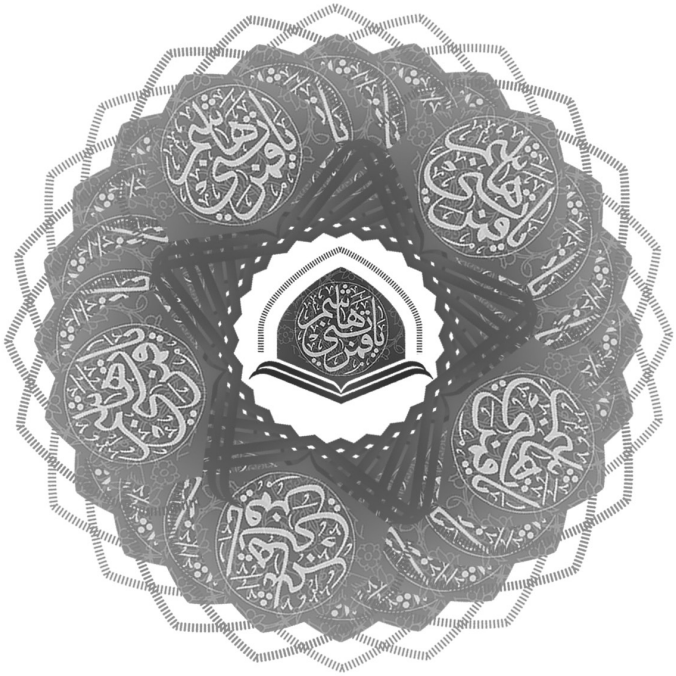

من مقامات العباس عليه السلام

السيد عبّاس الموسوي

لقد وصف الإمام الصادق عليه السلام قمر بني هاشم سيدنا العبّاس عليه السلام في زيارته الشّهيرة والمعروفة؛ وهو يسطّر أوصافه ومراتبه وعظمته؛ ومنها قوله:« ... أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالْوَفاءِ وَالنَّصِيحَةِ، لِخَلَفِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الْمُرْسَلِ، وَالسِّبْطِ الْمُنْتَجَبِ، وَالدَّلِيلِ الْعالِمِ، وَالْوَصِيِّ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَظْلُومِ الْمُهْتَضَمِ... وقال عليه السلام: ... أَشْهَدُ وَأُشْهِدُ اللهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ الْمُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ أَعْدائِهِ، الْمُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيائِهِ، الذّائِبُونَ عَنْ أَحِبّائِهِ، فَجَزاكَ اللهُ أَفْضَلَ الْجَزاءِ، وَأَكْثَرَ الْجَزاءِ، وَأَوْفَرَ الْجَزاءِ، وَأَوْفَى جَزاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفَى بِبَيْعَتِهِ، وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَأَطاعَ وُلاةَ أَمْرِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غايَةَ الْمَجْهُودِ، فَبَعَثَكَ اللهُ فِي الشُّهَداءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ أَرْواحِ السُّعَداءِ، وَأَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ أَفْسَحَها مَنْزِلاً وَأَفْضَلَها غُرَفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيِّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً، أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحِينَ، وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيِّينَ، فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَأَوْلِيائِهِ فِي مَنازِلِ الْمُخْبِتِينَ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ»[1].

وهنا نشير إلى بعض المراتب التي أشار إليها إمامنا جعفر الصادق عليه السلام:

المرتبة الأولى: « **وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيِّينَ**».

ما هو (الذكر) وما هو (عليين)؟

وكيف رفع الله تعالى العبّاس عليه السلام في عليين؟

لدينا في القرآن الكريم آية تتكلّم؛ بل آيات تتكلم عن الذِّكر؛ فقد قال الله تعالى في القرآن الكريم لرسوله الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله؛ وهو يبشّره بهذه البشارة العظيمة: ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾[2].

فجاء المفسرون، وأعطوا عدّة تفاسير للذِّكر؛ ومن هذه التفاسير التي لا بُدَّ أن تكون مقدّمة حتَّى نصل إلى واحدة من مقامات العباس عليه السلام:

التفسير الأول:« رفع الذِّكر إعلاؤه عن مستوى ذكر غيره من الناس، وقد فعل سبحانه به ذلك، ومن رفع ذكره أن قرن الله اسمه صلى الله عليه وآله باسمه فاسمه قرين اسم ربّه في الشهادتين اللتين هما أساس دين الله، وعلى كلّ مسلم

١- المزار: الشيخ المفيد/ ص ١٢٣.

٢- سورة الشرح/ الآية: ٤.

أن يذكره مع ربّه كلّ يوم في الصلوات الخمس المفروضة»[1].

والمعنى: أينما ذكر التوحيد وأينما ذكر اسم الله فقد قرن الله سبحانه ﷻ مع التوحيد إعلان الرسالة للنبي، ومع الاعتراف بالوحدانية الاعتراف بالنبوة والرسالة للرسول الأكرم محمد ﷺ، وكلّما قال المسلم أشهد أن لا إله إلّا الله وجب عليه أن يقول: وأشهد أنَّ محمداً رسول الله؛ وهكذا يرتفع الأذان في الأوقات الخمسة عند المسلمين كذلك يرتفع هذا الآذان بذكر محمد ﷺ فقد رفع الله ذكر النبي مع ذكر التوحيد والوحدانية لله ﷻ.

«فاسمك مع اسم الإسلام والقرآن قد ملأ الآفاق، وأكثر من ذلك اقترن اسمك باسم الله سبحانه في الأذان يرفع في الصباح والمساء على المآذن. والشهادة برسالتك لا تنفك عن الشهادة بتوحيد الله في الإقرار بالإسلام وقبول الدّين الحنيف.»

وأي فخر أكبر من هذا؟

وأي منزلة أسمى من هذه المنزلة؛ وقد روي عن الرّسول ﷺ في تفسير هذه الآية قال: «قال لي جبرائيل قال الله عزّوجلّ: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي». ﴿**وكفى بذلك منزلة**﴾.

والتعبير بكلمة (لك) تأكيد على رفعة ذكر النّبي رغم كلّ عداء المعادين وموانع الصّادين.

وقد ذكرنا أنّ هذه السّورة مكّيّة، بينما الآية الكريمة تتحدّث عن انتشار الإسلام، وتجاوز عقبات الدّعوة، وإزالة الأعباء التي كانت تثقل كاهل الرّسول ﷺ، وارتفاع ذكر النّبي في الآفاق... وهذا ما حدث في المدينة لا في مكّة.

وقيل: إنّ السّورة تُبشّر النّبي بما سيلقاه في المستقبل، وكان ذلك سبباً لزوال الحزن والهم من قلبه، وقيل أيضاً: إنّ الفعل الماضي هنا يعني المستقبل.

ولكن الحق أنّ قسماً من هذه الأُمور قد تحقّق في مكّة خاصّة في أواخر السنين الثلاث عشرة الأُولى من الدعوة قبل الهجرة، تغلغل الإيمان في قلوب كثير من النّاس وخفّت وطأة المشاكل، وذاع صيت النّبي في كلّ مكان، وتهيّأت الأجواء لانتصارات أكبر في المستقبل.

وشاعر النّبي «حسان بن ثابت» ضمّن معنى الآية الكريمة في أبيات جميلة، وقال:

وضمّ الإله اسم النّبي إلى اسمه ... إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشقّ له من اسمه ليجلّه ... فذو العرش «محمود» وهذا «محمّد»[2].

« وأي شيء أعلى وأرفع من اقتران اسم محمد باسم الله، وطاعته بطاعته ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله**﴾

١- تفسير الميزان: ج ٢٠/ ص ٣١٥.

٢- الامثل: ج١٥/ ص٣٩٣-٣٩٨.

﴿ومَنْ يَعْصِ الله ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً﴾ »[1].

أمّا الكلمة الثانية التي تحتاج إلى إيضاح كلمة (عليين)، وقد ورد فيها أيضاً عدّة معاني:

قال الله تعالى:﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[2].

وكل معاني هذه الكلمة تدلّ على السّمو والرّفعة؛ وقد« اختلف المفسرون في تفسير « عليين » فقيل: إنّها مراتب عالية محفوفة بالجلالة، وقيل: السماء السابعة، وقيل: سدرة المنتهى، وقيل: الجنّة، وقيل: أعلى مراتبها، وقيل: لوح من زبرجد أخضر معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه»[3].

والله سبحانه كما رفع ذكر النبي ﷺ واسم النبي كذلك رفع ذكر العباس عليه السلام، وجعل ذكر العباس مرفوعاً في عليين؛ تلك المرتبة الشامخة العظيمة المختصة بالأنبياء؛ وبالخصوص مرتبة النبي محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

كما ورد في الروايات أنَّ عليين هي المنطقة التي ابتدعها الرّبّ سبحانه عزوجل في أوّل الخليقة حينما خلق العوالم وخلق الوجودات وأوّل شيءٍ خلق؛ خلق النور وهو نور النبي ﷺ ثم بعد آلاف من السنين خلق أوّل شيء مادّيّ هي هذه الطّينة وهي طينة علّيين؛ هذه الطّينة خلقها من النور المقدّس؛ فقد ورد في الرّوايات الشريفة عن أبي عبد الله عليه السلام قال:«إِنَّ الله خَلَقَنَا مِنْ عِلِّيِّينَ وَخَلَقَ أَرْوَاحَنَا مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ عِلِّيِّينَ وَخَلَقَ أَجْسَادَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْقَرَابَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ تَحِنُّ إِلَيْنَا»[4].

وقيل في تفسير هذا الحديث الشريف: « أي خلق أبداننا من تحت العرش، وخلق أرواحنا فوق ذلك من نور عظمته، والعليون اسم للسماء السابعة، وقيل: هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد، وقيل: أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى، والحق أنّه اسم لكلّ واحد من الأمور المذكورة، وأنّ الأقرب ها هنا هو الأخير، ثمّ الأوّل، واعلم أنّ وجود البشر كلهم من مبدء واحد بالذّات والصّفات، عالم بجميع الأشياء، فلمّا علم أنّ بعضهم يعود بالحالات العلية إلى مكان القرب، خلقهم منه وهو لطف يعينهم على اكتساب تلك الحالات، وعلم أنَّ بعضهم يعود بالحالات الدنية إلى محل البعد خلقهم منه ليكون عود كل أحد إلى أصله ومحله المأنوس كما قيل «كل شيء يرجع إلى أصله»، وبالجملة تلك الحالات علة للإيجاد على نحو مخصوص ومحل معلوم دون العكس فليتأمل فإنَّه دقيق جدًّا، وبذلك يندفع كثير من الشبهات والله الموفّق للخيرات»[5].

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ:« إِنَّ الله خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا

١- تفسير الكاشف: ج٧/ ص٥٨٠-٥٨٢.

٢- سورة المطففين/ الآية ١٨.

٣- بحار الأنوار: ج ٥٨ / ص ٤٤.

٤- الكافي: ج٢/ ص٢٩٨.

٥- شرح أصول الكافي: ج ٦ / ص ٣٩٤.

خَلَقَنَا وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْنَا لانَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقْنَا ثُمَّ تَلا هَذِهِ الايَةَ كَلا إِنَّ كِتابَ الابْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ. وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ. كِتابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ وَخَلَقَ عَدُوَّنَا مِنْ سِجِّينٍ وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِهِمْ مِمَّا خَلَقَهُمْ مِنْهُ وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْهِمْ لانَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقُوا مِنْهُ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الايَةَ كَلا إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ. كِتابٌ مَرْقُومٌ»[1].

لقد ابتدع وخلق من طينة عليين الرتبة والجنة الخاصة بهم حصرًا لهم صلوات الله عليهم، وفي هذه الجنة في عليين يرفع الله ذكر العباس؛ فيا لها من رتبة عظيمة شامخة.

هذه أول رتبة من رتب العباس بأن ذكر العباس مرفوع في السموات العلى وعند سدرة المنتهى؛ وهناك ذكر العباس عظيم؛ بل يخيل إلى الأنبياء بأنَّ العباس نبي من الأنبياء؛ لأنّ ذكره مع ذكر الأنبياء حتَّى يتصوّر العديد من الخلائق أنَّ العباس نبي من الأنبياء.

الرتبة الثانية: «وَاَلْحَقَكَ اللهُ بِدَرَجَةِ آبائِكَ فِي جَنّاتِ النَّعيمِ».

وهذا النص من الإمام الصادق عليه السلام يظهر لنا أنّ العباس عليه السلام يحشر بدرجة النبي إبراهيم الخليل عليه السلام، وبدرجة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لأن أمير المؤمنين عليه السلام هو والد العباس؛ ثمَّ إنَّ نسب أمير المؤمنين ينتهي إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وبنو هاشم في الانتساب وفي النسب يرجعون إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام وإسماعيل ينتمي الى إبراهيم والله سبحانه عزّ وجلّ يحشر العباس كما قال إمامنا الصادق عليه السلام بدرجة آبائه عليهم السلام...

آباء العباس يعني أمير المؤمنين ... ويعني عبد المطلب ... وأبو طالب... وإسماعيل... وابراهيم الخليل... عليهم السلام؛ فهذه هي درجة العباس يوم المحشر أنَّه يُحشر مع الخليل عليه السلام ويحشر برتبة الأنبياء؛ وإن لم يكن نبياً فإنّ الله يحشره بدرجة الأنبياء.

هذا مقام عظيم بأنّ الله يأذن للملائكة أن تُنادي باسم العباس ويرفع ذِكر العباس في عليين، وجنّات النعيم تختلف عن النعيم الذي يكون فيه الإنسان العادي؛ فهذه الجنات وهذا النعيم خاص للرسول الأعظم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم؛ نعيم خاص لإبراهيم وللأنبياء ليس كنعيم أهل الجنة في الرتب المتدنية لكن هذا نعيم خاص متميز؛ فالعباس لا يكون في الرتب المتدنّية من الجنّة، وإنّما في أعلى الجنان؛ في جنّة الخلد العالية وفي جنّة النبي صلى الله عليه وآله هذه رتبة العباس (عليه أفضل الصلاة والسلام).

وإذا عرفنا بعض هذه الرّتب سنعرف سرّ المرتبة الثّالثة: فقد جاءت النّصوص التي تقول لنا بأنّ الزّهراء الطاهرة المطهرة بنت النبي صلى الله عليه وآله هي في يوم المحشر تطلب من الله سبحانه أن ينتقم أوّلاً من قتلة العباس، والزهراء عليها السلام بنفسها تتولى المطالبة، والزهراء عليها السلام على عظمتها تتكفّل بهذا الموضوع؛ فهو ليس موضوعاً عاديّاً بحيث أنَّ الله سبحانه يجعله كبقيّة الخلائق وكبقيّة الأعمال.

١- الكافي: ج٢/ ص ٣٠٢.

نعم الإنسان الذي يطالب بثأر العباس وبمظلومية العباس لا الملائكة ولا أم البنين ولا أيّ إنسان آخر؛ وإنّما سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزّهراء عليها السلام.

هذه رتبة أخرى أنَّ فاطمة الزهراء صاحبة المصاب الجلل هي صاحبة مصيبة بنفسها وبولدها لكن هذا لم يثنِ عندها العزم أن تُطالب بثأر العباس.

هذه مقامات شامخة وعريقة وعميقة لا يسع المجال حتَّى ندقّق، ونفصل فيها؛ ما هي الدّواعي التي دعت الزهراء عليها السلام أن تُطالب بأنّ الله سبحانه يأخذ بثأر العباس، وهي التي تطلب من الله تعالى ذلك، وهذا يأخذنا إلى مطلب لماذا كلّ هذا الشموخ؟

ولماذا كلّ هذه الرّفعة؟

وما هي الأسباب والخلفيات والدّواعي، وما هي الملاكات التي انطوت نفسيّة العباس عليه السلام عليها ؟

وما هي العظمة التي تحلّى بها العبّاس عليه السلام؟

ولكن لا يوجد غير المعصوم ليظهر بعض أسرار ذلك:

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

« اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْعَبْدُ الصّالِحُ الْمُطيعُ لله وَلِرَسُولِهِ وَلأميرِالْمُؤْمِنينَ وَالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ...

اَشْهَدُ واُشْهِدُ اللهَ اَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمجاهِدُونَ فِي سَبيلِ اللهِ الْمُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ اَعْدائِهِ الْمُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ اَوْلِيائِهِ الذّابُّونَ عَنْ اَحِبّائِهِ...

فَجَزاكَ اللهُ اَفْضَلَ الْجَزاءِ، وَاَكْثَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفى جَزاءِ اَحَد مِمَّنْ وَفى بِبَيْعَتِهِ وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ وَاَطاعَ وُلاةَ اَمْرِهِ...

اَشْهَدُ اَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصيحَةِ، وَاَعْطَيْتَ غايَةَ الْمَجْهُودِ...

اَشْهَدُ اَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَاَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى بَصيرَةِ مِنْ اَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحينَ، وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّينَ...»[1].

كلّ هذه مقدّمات تحتاج إلى كلام مفصّل؛ فالعباس عليه السلام لم يدّخر شيئاً في نفسه لم يبذله للحسين عليه السلام...

ولم يدّخر قوّة بدنية ولا فكرة ولا همّة ولا بطولة...

لم يدّخر جهداً لنفسه أبداً فقد أعطى كلّ شيء للإمام الحسين عليه السلام

بذل كلّ ما لديه...

هذا الإنسان العظيم يستحقّ في يوم المحشر أن تكون الزّهراء فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله هي التي تقف له كما وقف لولدها الحسين عليه السلام، وبما أنَّ الزّهراء تقف وتطالب فيستحق هذا البطل أن يرفع الله ذكره في علّيّين وينادى

١- المزار :ص ٣٢١.

باسمه العظيم ثم يحشر بدرجة آبائه في دار جنّات النّعيم.

« جاء في كتاب (أسرار الشهادة) نقلاً عن بعض كتب المقاتل: أنّه إذا كان يوم القيامة واشتدّ الأمر على الناس، بعث رسول الله ﷺ بإذن من الله تعالى الإمامَ أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنته الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام لتحضر مقام الشّفاعة.

فيُقبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إليها، ويخبرها بما قاله أبوها رسول الله ﷺ، ويطلب منها حضور مقام الشفاعة، ثمّ يسألها قائلاً : ((يا فاطمة، ما عندك من أسباب الشّفاعة؟ وما الذي ادّخرتيه لأجل هذا اليوم الذي فيه الفزع الأكبر؟)) .

فتجيبه فاطمة عليها السلام بقولها له: ((يا أمير المؤمنين، كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني العبّاس)).

وفي هذا الخبر دلالة كافية على قبول الله تعالى اليدين المقطوعتين لأبي الفضل العبّاس عليه السلام، [اللّتين] قطعتا في سبيله، وفي نصرة دينه ووليّه .

وهو يدلّ أيضاً على علوّ مقام صاحب اليدين المقطوعتين عند الله تبارك وتعالى، وسموّ منزلته لديه، إضافة إلى علوّ مقامه عند فاطمة الزهراء عليها السلام ؛ حيث إنّها دعته ابناً لها عند قولها: ((كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني العبّاس))، بعد جعلها يديه القطيعتين وسيلة للشفاعة في ذلك اليوم العظيم والموقف الرهيب»[1].

١ - الخصائص العباسية: ص ٣٢٥.

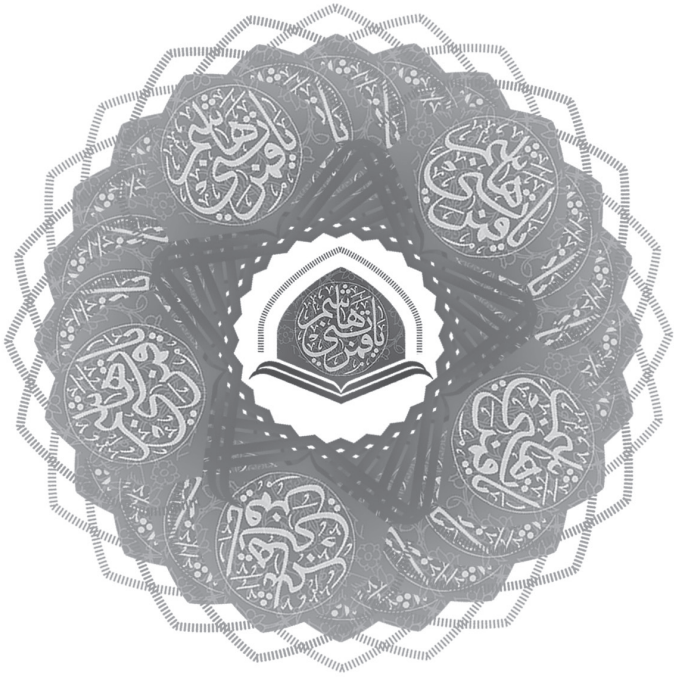

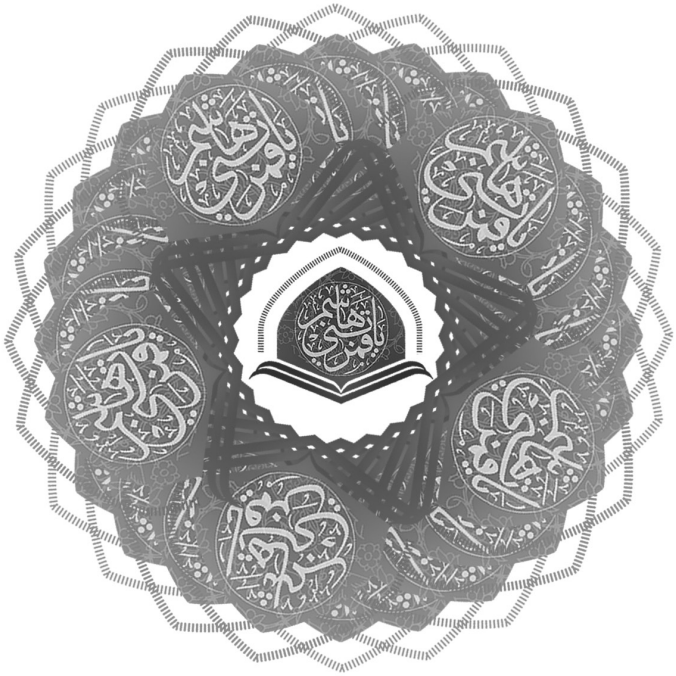

شخصية الإمام الحسين عليه السلام في انتقاء أنصاره دراسة في السمات القيادية

أ.م.د. أحمد عليوي صاحب

المقدمة:

إنّ الشخصية الإنسانية تتأثر بعاملي الوراثة والبيئة وما يولد الشخص وهو مزود به من إمكانيات وتؤديه البيئة من دور في هذه الاستعدادات والإمكانيات، ومن هنا فإنّ الإمام الحسين عليه السلام وفقاً لتنشئته قد عد الروح الاجتماعية التي تسود طبيعة المجتمع وتشكيله من الجوانب المهمة التي تعمل على تأصيل العلاقة بين الأفراد، كما أنَّ التغيرات الطارئة التي تحدث في المجتمع قد تقود الى التدهور والانحدار، لهذا كان انتقال الحكم الى بني أمية واغتصابه عنوة وتوارثه من معاوية الى يزيد، وخلال عشرين عاماً من الأمور التي أدّت الى انحدار كلّ الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

أولًا: سمات أنصار الإمام الحسين عليه السلام.

تُعاني معظم الثورات وحركات التغيير من أزمة أخلاقية نتيجة عدم تطابق الأهداف والقيم مع سلوك وأخلاق الجماعة التي تتحمل مسؤولية الثورة، فالثورة تفقد مبرر وجودها إذا كانت منفصلة في قيمها عن حياة الثّوّار، ولما كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام حركة تغييرية في المجتمع فقد جاءت متكاملة في أجزائها وجاءت قيمها مطابقة لسلوك أفرادها، وفي هذا الأمر يكمن سرّ نجاح هذه الثّورة.

وإنّ وصف مواقف وإخلاص وبطولات أنصار الإمام الحسين عليه السلام ليس فيه مبالغة، وإنَّما هي حقيقة مجرّدة في قوّة الإيمان وصلابة الموقف الذي وقفته هذه النّخبة الخيرة المناصرة للحق والمدافعة عن الإسلام وعن القيادة المعصومة المتمثّلة بالإمام عليه السلام.

ومن هنا، فلا بُدّ من دراسة واقع هذه الجماعة التي شكّلت قاعدة النَّهضة الحسينية من خلال مقايسة دقيقة بينها وبين الجماعة المعاكسة لها والتي تقف إلى جانب يزيد بن معاوية وعمر بن سعد لنعرف مدى التزام حركة الإمام الحسين عليه السلام بقوانين التغيير الاجتماعي الشامل، فهذا التغيير لا يحدث إلّا إذا جاء المغيرون على صورة متناقضة للواقع الذي يريدون تغييره وإلّا فإنَّ جهود الثّوّار ستذهب أدراج الرياح، فقد اتصف أنصار الإمام الحسين عليه السلام بعدّة سمات منها:

كثرة تلاوة القرآن والدّعاء:

إنَّ جميع الحالات والأفعال والأقوال من يوم التاسع الى العاشر من محرم كانت ذكرًا لله تعالى، وتذكراً للميثاق، ولم ينشغلوا بشيء من أمور الحياة حتَّى الأكل، فتصف الرّوايات معسكر الإمام الحسين عليه السلام، في ليلة العاشرة من محرّم «وبات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة، ولهم دويّ كدويّ النَّحل، ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد»[1].

ومع أنّ الإمام عليه السلام وأصحابه وأهل بيته كانوا في موقف ظاهره الحرج، يتطلّب منهم الاستعداد المادي لليوم التالي؛ إلّا أنَّهم قضوه في تلاوة القرآن الكريم والصّلاة والدّعاء، فهم يرون في هذا الموقف أنَّهم أمام فرصتهم الأخيرة لنيل المزيد من رضا الرّب تبارك وتعالى، من خلال قراءة القرآن الكريم والدّعاء والصَّلاة.

ويضرب مثلاً في مصداقية القائد وصراحته مع جنوده ممتحنًا صبرهم وصدق التزامهم بالمبادئ، إذ يقول لأصحابه وأهل بيته ليلة استشهاده قائلاً بعد أن أذن لهم بالانفصال عنه والتّفرّق في البلدان لكي ينجوا من القتل: «ألا وإنّي لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد أذنت لكم جميعاً، فانطلقوا في حِلٍّ ليس عليكم منّي حرج ولا ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جَمَلاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم؛ فإنَّهم لا يريدون غيري، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»[2]، فرفضوا ولم يتفرّقوا وآثروا البقاء معه إلى النّهاية، واستشهدوا جميعاً. وكان في مقدّمة الرافضين العباس بن علي عليه السلام وإخوته وبقية شباب بني هاشم[3].

نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام بدأ الخطبة بداية سماوية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى ولو تأمّلنا الكلمات التي افتتح الإمام الحسين عليه السلام بها خطبته لوجدنا أنَّها حجّة دامغة على أحقّيّة أمره لكلّ من يسمع كلامه، فعبارة (كرّمتنا بالنبوة) عبارة تحمل دلالة انشطاريّة لها جوانب متعدّدة من أهمّها التركيز على النّبوّة والحديث عنها بضمير الجمع(نا) والإشارة هنا واضحة لارتباطه رمزيّاً بالرسول صلى الله عليه وآله في حديثه المتواتر «حسين منّي وأنا من حسين»[4]، وبعد ذلك ينتقل الى مرحلة أخرى لا تقل عن سابقتها أهمّيّة وهي مرحلة الاختيار الحقيقي مع توفير كلّ مستلزمات الرضا في أيّة حالة من حالات الاختيار، وينجح هؤلاء الثلة المؤمنة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في الاختبار بل ليس ذلك فحسب وإنّما يجسّدون لوحة من لوحات الوفاء والفداء.

ثمّ التفت الإمام الحسين عليه السلام إلى بني عقيل قائلاً: «يا بني عقيل! حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم،

١- (ابن اعثم، الفتوح، ج٥/ ص٩٩؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٧؛ الامين، اعيان الشيعة، ج١/ ص٦٠١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤/ ص٣٩٤؛ البحراني، العوائم، ص٢٤٤.

٢- ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٥؛ اعيان الشيعة، ج١/ ص٦٠٠.

٣- ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٥؛ الامين؛ اعيان الشيعة، ج١/ ص٦٠٠.

٤- البخاري، التاريخ الكبير، ج٨/ ص٤١٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣/ ص١٧٧.

فاذهبوا أنتم فقد أذِنْتُ لكم». قالوا: «سبحان الله فما يقول النّاس لنا؟ إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسَهم ولم نطعن برمح ولم نضرب معهم بسيف، لا والله لا نفعل ذلك، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتَّى نرد موردك فقبّح الله العيش بعدك[1].

وقام مسلم بن عوسجة فقال: «أنحنُ نُخلّي عنك؟ وبِمَ نعتذر إلى الله في أداء حقّك؟! أما والله لا أُفارقك حتّى أطعنَ في صدورهم برُمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمهُ في يدي[2].

وهكذا فعل سعيد بن عبد الله الحنفي، فقال: «لا والله يا ابن رسول الله لا نخليك أبداً حتَّى يعلم الله انا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد ﷺ والله لو علمتُ أنّي أقتل فيك ثم أحيا ثم أحرق حيّاً ثم أذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتَّى ألقي حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة»[3].

وقام زهير بن القَين فقال: «والله لوددت أني قُتلت ثم نشرت ثم قتلت حتَّى أُقتل هكذا ألف مرة وأنّ الله جل وعز يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن هؤلاء الفِتيان من أهل بيتك[4].

وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يَشبه بعضه بعضاً وقالوا: «أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربّنا وقضينا ما علينا»[5].

فأي قائدٍ هذا الذي يخيّر جنوده بين النجاة بالهروب أو الموت بالصمود دون النصر غير الحسين؛ وهي الواقعية في القيادة الحسينية المطهرة ونظرتها الشمولية الدقيقة في تشخيص الأوضاع وسبر أغوارها، ولنتذكّر على سبيل الاستدلال ما قاله عليه السلام لما نزل القوم بالحسين عليه السلام وأيقن أنّهم قاتلوه يوم قال لأصحابه: "إنَّ الدنيا قد تنكّرت وتغيّرت وأدبر معروفها واستمرّت حتَّى لم يبقَ منها إلّا كصبابة الإناء»[6]، وقال في مناسبة أخرى: «الناس عبيد الدنيا والدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلَّ الدّيّانون»[7]، وكأنّه عاش الدّهور كلّها حتَّى قيام الساعة منتقلاً بدولاب الحياة بين نواميسها مستخلصاً عصارتها بهذه الحكمة. وبالتالي لم يكن غريباً أن تقدح حكمة القيادة الحسينية لتبصير الأعداء قبل الأصدقاء بعاقبة أمرهم وتداعياته المستقبلية برؤيةٍ اخترقت حواجز الزمان والمكان، ولسانٍ ملؤه الصدق والإخلاص في النصيحة يوم قال محذّراً قاتليه: «أما إنَّكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتهابوا قتله بل يهون عليكم عند قتلكم إياي»[8]، ولما سئل عن مصير قتلته أجاب «يلقي بأسكم بينكم

١- الأمين، لواعج الاشجان، ص١١٨.

٢- المصدر نفسه، ص١١٨.

٣- ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٥؛ الامين، لواعج الاشجان، ص١١٩.

٤- ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٥؛ الامين، لواعج الاشجان، ص١١٩.

٥- الامين، لواعج الاشجان، ص١١٩.

٦- ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج٣/ ص٢٢٤.

٧- الحراني، تحف العقول، ص٢٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤/ ص٣٨٣؛ القرشي، حياة الإمام الحسين، ج١/ ص٢٢٥.

٨- المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥/ ص٥٢؛ البحراني، العوالم، ص٢٩٥.

ويسفك دماءكم ثم يصب عليكم العذاب الأليم»[1]، ليعطي البشرية وقادتها درساً في التبصر في العواقب وبناء الرؤية المستقبلية باستنباط محدداتها في ضوء معطيات الواقع وقوانينه، وليكون ذلك ركناً أساسياً في التخطيط الاستراتيجي لمن ينشد السير على نهج الإمام الحسين ﷺ من قادة اليوم، وما تجرعناه بالأمس واليوم من قتال وفتن وحروب يقيم الدليل الحي على مصداقية مقالة الحسين ﷺ.

المحافظة على وقت الصَّلاة:

عندما حلَّ ظهر يوم عاشوراء - وكانت رحى الحرب دائرة والخطر محدقٌ بالجميع قال أحد أصحاب الحسين ﷺ للإمام: ها قد حلّ وقت الصلاة، فقال له الإمام سلام الله عليه: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذَّاكرين. ثم وقف في مكانه وصلّى، عندما شاهد أبو ثمامة الصائدي أصحاب الإمام الحسين ﷺ وهم يستشهدون الواحد تلو الآخر قال له: يا أبا عبد الله روحي لك الفداء أرى جيش العدو يقترب منكم. وأقسم أنّك لن تقتل قبل أن أقتل أنا إن شاء الله كما أحب أن أصلّي قبل أن أذهب إلى جوار الله.. أمّا الحسين ﷺ فقد رفع رأسه إلى السماء وقال: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذَّاكرين نعم هذا أوّل وقتها. ثم قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتَّى نُصلّي».

- الاستبشار بالشَّهادة:

لّما كان الموت هو الحاضر الذي يفصل بين الإنسان وبين كثير من الصّفات الحميدة، فإذا ما وطّن نفسه على الموت من أجل مبدأ خالدٍ فستصب في شخصيته مجموعة كبيرة من الصّفات الحميدة كالشَّجاعة والجرأة والإقدام، أمّا إذا كان يخشى الموت فإنَّه سيتردّد في كلِّ موقفٍ تتطلب منه الشّجاعة والجرأة والإقدام[2].

وأصحاب الإمام الحسين ﷺ ضربوا لنا أروع الأمثلة في الاستهانة بالموت، والاستبشار بالشهادة، وسر هذا الاستبشار كشفته في ليلة العاشر العقيلة زينب ﷺ عندما قالت لأخيها الحسين ﷺ :أخي هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإنِّي أخشى أن يسلموك عند الوثبة، واصطكاك الأسنة.

فبكى ﷺ وقال: أما والله لقد لهزتهم وبلوتهم، وليس فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنيّة دوني استيناس الطفل بلبن (محالب) أمه[3].

وكذلك ما رواه الإمام زين العابدين ﷺ أنَّه قال: «لّما كانت الليلة التي قتل فيها الإمام الحسين ﷺ في صبيحتها قام في أصحابه فقال ﷺ: إنّ هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يصلوا إليكم، فالنَّجاة النَّجاة، وأنتم في حلٍّ منّي، فإنّكم إن أصبحتم معي قتلتم كلكم. فقالوا: لا نخذلك ولا نختار العيش

١- ابن اعثم، الفتوح، ج٥/ ص١١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥/ ص٥٢؛ البحراني، العوالم، ص٢٩٥.

٢- الحسن، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، ص ١٢٠.

٣- شرف الدين، المجالس الفاخرة، ص٢٣١؛ يعقوب، كربلاء، الثورة والمأساة، ص٢٩٩؛ الحسن، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، ص ٤٧، ص١٧٨.

بعدك. فقال ﷺ: إنَّكم تقتلون حتَّى لا يفلت منكم أحداً. فقالوا: الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك[1].

ونجد ذلك أيضاً في موقف الأنصار قبل حدوث المعركة، فهذا برير بن خضير الهمداني يضاحك حبيب بن مظاهر الاسدي، فيقول له برير: يا أخي ليس هذه بساعة ضحك؛ ويجيبه حبيب قائلاً: فأي موضع أحقّ من هذا بالسرور والله ما هو إلّا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين[2].

وفي موقف آخر: برير يضاحك عبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري فقال: يا برير ما هذه ساعة باطل.

فقال برير: والله ما أحببت الباطل قط، وإنّما فعلت ذلك استبشارًا بما نصير إليه[3].

هكذا كان جيش الإمام الحسين ﷺ مستبشرين ومستأنسين بالمنية غير مكترثين بما يجري عليهم، فقد روى ان نافع بن هلال البجلي قضى شطر ليله في كتابة اسمه على سهام نبله، إمعاناً في طلب الأجر، وإمعاناً في عدم الخوف من الخطر، فضلاً عن التّرحيب بالموت[4].

الإخلاص للإمام الحسين ﷺ:

تلعب القيادة في الثورات دوراً هامّاً وأساسياً في وضع خطط الثورة وفي رسم الأهداف وتهيئة الأفراد وحثّهم وتشجيعهم على الصّمود والمواجهة، وفي قبال القيادة هناك مسؤوليات للأفراد تتلخّص في الوفاء والإخلاص القائم على أبعاد شتّى من العلاقة الروحية بين القائد وجنوده، وليس هناك أمرٌ أصعب على القائد من خيانة جنوده وتركهم له في ساحة الميدان ليلاقي مصيره الصعب، وفي التاريخ صور كثيرة عن القيادات النّاجحة التي امتلكت رصيداً من الأفراد الأوفياء، ونجد الصور المعكوسة أيضاً، لكن ليس في التاريخ كلّه صورة للوفاء أروع من تلك الصورة التي قدّمها أصحاب الإمام الحسين ﷺ.

حين عزم الإمام الحسين ﷺ على الخروج من مكة متوجّهاً إلى العراق، بعد أن اتبعه أناس كثيرون، بعضهم كان هدفه الحصول على النّتائج الإيجابية من الوظائف والمراكز التي يتمنّاها كلّ شخص يبحث عن السلطة، كون الإمام الحسين ﷺ حسب تصوّرهم جاء كغيره من الثائرين الذين يثورون على الحكم.

ولكن الإمام الحسين ﷺ فهم هذه القضية، وعرف أنَّ هناك أُناساً كثيرين ممن هم معه لا يخلصون للثورة، ولا يخلصون لقضيتها ولهذا التحرّك.

لذلك وقف، وخطب فيهم، وعرّفهم بالمصير المحتوم الّذي ينتظره، قائلاً: «الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله، خُطَّ الموتُ على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، ما أولهَني إلى أسلافي إشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيّر لي مصرعٌ أَنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات

١- الراوندي، الخرائج والجرائح، ج١/ ص٢٥٤.

٢- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١/ ص٢٩٣؛ القصير، حياة حبيب بن مظاهر، ص١٢١.

٣- ابن نما، مثير الاحزان، ص٣٩.

٤- الحسن، ليلة عاشوراء، ص٦٩؛ خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص١١٩.

بين النواويس وكربلا، فيملأن منّي أكرشاً جُوفاً وأجربه سغبًا لا محيص عن يومٍ خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبرُ على بلائه ويُوفينا أجر الصابرين، لن نشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقرُّ بهم عينه ويجز بهم وعده، ألا ومن كان باذلاً فينا مُهجته ومُوطِناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنَّني راحل مُصبِحاً إن شاء الله تعالى»[1].

وبهذا أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يُعرف كلّ هؤلاء الذين اتبعوه للدنيا أنّه صاحب رسالة وليس صاحب ملك، لم يطلب الملك أو يطلب الإمرة كطموح شخصيّ يسدّ به فراغ ذاته، وإنَّما طلبه على أساس أن يقيم به حقّاً أو يدفع به باطلاً.

لقد مرَّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام في اختبارٍ عسيرٍ يوم خيّرهم قائدهم الإمام المعصوم على الرّحيل، وحين حثّهم على النّجاة بأنفسهم في ليلة العاشر من المحرم قائلا لهم: «فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعًا في حلٍّ ليس عليكم منّي ذِمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا[2]»، ثم ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتَّى يفرّج الله، فإنَّ القوم إنَّما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري»[3].

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل ذلك؛ لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبدا.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم، فقد أذنت لكم، قالوا: سبحان الله، فما يقول الناس يقولون: أنَّا تركنا شيخنا وسيّدنا، وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا لا والله ما نفعل ذلك، ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا ونُقاتل معك حتَّى نرد موردك فقبّح الله العيش بعدك[4].

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: «أنحن نخلي عنك ولم نعذر إلى الله تعالى في أداء حقّك؛ لا والله حتَّى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، والله لو علمت أنّي أقتل ثمّ أحرق ثمّ أحيى، يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتَّى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنَّما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا.

١- المغربي، شرح الإخبار، ج٣/ ص١٤٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص١٢٦؛ الاربلي، ج٢/ ص٢٩.

٢- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ ص٣١٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢/ ص٩١؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٨٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤/ ص٥٨؛ ابن نما، مثير الاحزان، ص٣٨.

٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ ص٣١٧؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل ابي طالب، ج٣/ ص٢٤٨؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤/ ص٥٨؛ العسكري، معالم المدرستين، ج٣/ ص٩٠.

٤- ابو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص١٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ ص٣١٨؛ المفيد، الارشاد، ج٢/ ص٩٢؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٨٣؛ البحراني، العوالم، ص٢٤٤.

وقام زهير بن القين فقال: والله لوددت أنّي قتلت ثم نشرت ثم قتلت، وهكذا ألف مرة، وأنَّ الله سبحانه يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

ثم تكلّم جماعة من أصحابه بكلام يشبه ما ذكرناه، فجزاهم الحسين ﷺ خيرًا وانصرف إلى مضربه»[1].

ونجد الصورة الأسمى عندما سقط مسلم بن عوسجة صريعاً يوم عاشوراء جاءه حبيب بن مظاهر ومعه الإمام الحسين ﷺ فطلب منه أن يوصيه بما أهمّه فقال له بصوت خافت حزين: «أوصيك بهذا رحمك الله وأهوى بيده الى الحسين أن تموت دونه»[2].

وهنا في هذا الموضع المصيري كمن إخلاص الأنصار، وبانت مواقفهم الجريئة والشريفة، فأبوا أن يموتوا دون الحسين ﷺ وآثروا البقاء معه وهم يتسابقون الواحد تلو الآخر يتقدمون نحو مواجهة الرماح والحتوف، وقد رفضوا حياة الذل والخنوع وطلّقوا حرائرهم وودائعهم وما يملكون فداء الإمام الحسين ﷺ.

التَّضحية وروح المناصرة:

لما كان اليوم العاشر وقُتل أصحاب الإمام الحسين ﷺ وجعل ﷺ ينادي: ألا من ناصر فينصرنا، فسمعته النساء والأطفال فتصارخن، وسمع سعد وأخوه أبو الحتوف النداء من الحسين والصراخ من عياله، قالا: إنّا نقول لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصاه، وهذا الحسين بن بنت نبيّنا محمد ونحن نرجو شفاعة جدّه يوم القيامة فكيف نقاتله وهو بهذا الحال لا ناصر له ولا معين، فمالا بسيفيهما مع الحسين على أعدائه وجعلا يقاتلان قريبًا منه حتَّى قتلا جمعًا وجرحا آخر ثُم قُتِلا معًا في مكان واحد، وختم لهما بالسعادة الأبديّة[3].

ونجد تلك التّضحيات عند أنصار الحسين ﷺ وخير مثال: نافع بن هلال البجلي، الذي تطلب منه الإمام الحسين ﷺ، النجاة بنفسه، فيقع على أقدام الإمام ﷺ يقبّلها ويبكي وهو يقول: إذن ثكلت نافعاً أمه، سيّدي إنَّ سيفي بألف، وفرسي بمثله، فو الله الذي منَّ عليّ بك في هذا المكان، لن أفارقك أبا عبد الله حتَّى يكِلَّا عن فري وجري[4].

وبهذه النفوس والعقول الرشيدة، والقلوب المليئة بالولاء لأهل البيت ﷺ، والمفعمة بالإخلاص، وعلمهم بالمصير، والشجاعة والبطولة والثبات على طريق الإيمان الصحيح، دخل الإمام الحسين ﷺ معركته الفاصلة في كربلاء.

١- ابو مخنف، مقتل الحسين ﷺ، ص١٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ ص٣١٨؛ المفيد، الارشاد، ج٢/ ص٩٢؛ الطبرسي، اعلام الورى باعلام الهدى، ج١/ ص٤٥٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤/ ص٥٨.

٢- ابو مخنف، مقتل الحسين، ص١٣٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ ص٣٣٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤/ ص٦٨؛ الامين، اعيان الشيعة، ج٤/ ص٥٥٥.

٣- الامين، اعيان الشيعة، ج٢/ ص٣١٩؛ القمي، الكنى والالقاب، ج١/ ص٤٥؛ السماوي، ابصار العين، ص١٥٩.

٤- شرف الدين، المجالس الفاخرة، ص٢٣٠-٢٣٣.

ثانياً: التركيبة الاجتماعية والدينية لجيش الإمام الحسين(عليه السلام).

إنَّ دراسة أفراد جيش الإمام الحسين(عليه السلام) تُوصلنا إلى قضيّة هامّة وهي إنَّ جيش الإمام(عليه السلام) يعدّ مجتمعًا متنوع الأطياف والأديان فيهم من كان سيّدًا هاشميًّا، ومن لم يكن هواه علويًّا، وفيهم من كان أسديًّا وازديًّا، وكان فيهم السّيّد في قومه، والعبد، وفيهم الأبيض والأسود، وفيهم الرّجل القرآني، والشيخ الكبير، والفتى الصغير.

لا سبيل على وجه التّحقيق معرفة الجماعات التي انضمّت إلى ركب الإمام الحسين(عليه السلام)، ولا أعدادهم لاختلاف الروايات في تحديد ذلك الجمع الذي التحق به وسار معه.

فرواية عمّار الدّهني، يذهب إلى أنَّهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل؛ في روايته عن محمد بن علي بن الحسين[1]، على حين تذهب رواية أبي مخنف إلى عددهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً[2]، وهي تتّفق مع ما ذكره الدّنيوري[3].

وينفرد المسعودي بالقول: «إنّه لما بلغ القادسية[4] لقيه الحر بن يزيد التميمي... فعدل إلى كربلاء وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه نحو مائة راجل»[5]، وهي رواية لا يمكن القبول بها أو الركون إليها لمخالفتها لإجماع الرّوايات التي أحصت أصحاب الحسين والقادمين معه، وعند الخوارزمي: «أنّه عبّأ أصحابه فكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً»[6].

ورواية أبي مخنف تلقي ضوءًا ساطعًا على العدد الحقيقي للذين استشهدوا معه في الواقعة وهم اثنان وسبعون شخصًا وهم جُل من انضم إليه وقاتل معه[7]، وهي رواية تتّفق مع ما ذكره الدّينوري[8].

صحب الهاشميون الإمام الحسين(عليه السلام) في توجّهه إلى العراق، ومشاركتهم له فيما أقدم عليه، إلا أنَّ المصادر على اختلاف مواردها تحجم عن ذكر عدد الذين التحقوا به، ولا ذكرت أسماءهم تفصيلاً، وكل ما ورد عنها لا يروي غليلاً ولا يشفي عليلا.

فالدينوري يذكر: «فلمّا أمسوا وأظلم الليل مضى الحسين(عليه السلام) أيضًا نحو مكّة ومعه أخواته: أم كلثوم وزينب، وولد أخيه وأخوته أبو بكر وجعفر وأخيه العباس(عليه السلام)، وعامة من كان ببيته. إلا أخاه محمد بن الحنفية»[9].

١- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٣٨٩.

٢- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٢٢، ص٤٣٦.

٣- الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٦.

٤- القادسية: وهي قرية بين الحيرة والعذيب، وروى ان النبي إبراهيم(عليه السلام) مر بالقادسية فرأى زهرتها فقال: قدست، فسميت بذلك. ينظر: ابن الفقية، مختصر كتاب البلدان، ص١٦٣.

٥- المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ ص٧٠.

٦- الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢/ ص٤.

٧- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٥٥-٤٥٦؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٤٣؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص٦٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٦٠.

٨- الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٩.

٩- المصدر نفسه، ص٢٢٨.

وعند الطبري: «أنَّه خرج ببنيه، وأخوته وبني أخيه وجل أهل بيته، إلا محمد بن الحنفية»[1]، وابن أعثم يشير: «إلى أنَّه خرج في جوف الليل يريد مكّة بجميع أهله»[2]، دون تفصيل أو توضيح.

بنو هاشم كانوا يشكّلون ثقلاً رئيسياً في صحابة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يؤكّد لنا أنّ بني هاشم كانوا ينظرون إلى الإمام باعتباره زعيم بني هاشم، وأنّه إمامهم وسيّدهم، فآزروه حتَّى آخر قطرة من دمائهم الطّاهرة.

لم يقتصر جيش الإمام الحسين عليه السلام على أهل بيته من الهاشميين، وإنَّما انضم إليه جمع من أفاضل القوم وثُقاتهم وأهل الورع والتقوى، وتألّف الجيش من عنصرين فضلاً عن ما ذكرناه سابقاً أنصاره من بني هاشم وهما:

أما الموالي فكانوا على علاقة وثيقة بالإمام الحسين عليه السلام نظرًا للسياسة العادلة التي تبنّاها الإمام أمير المؤمنين فيهم، ولو كانت الظّروف متهيئة لهم لالتحق القسم الكبير منهم بالإمام، وقد ضمّ جيشه من يلي منهم:

زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي[3]، وسالم مولى عامر بن مسلم العبدي[4]، وسعد بن الحرث الخزاعي[5]، والحرث بن نبهان[6]، وشوذب مولى شاكر[7]، وقارب ومنجع مواليا الإمام الحسين عليه السلام[8]، وسليمان بن رزين[9][10]، ومنجح بن سهم[11]، وعقبة بن سمعان[12]، وكان هؤلاء وربما كان هنالك غيرهم ممن لم تذكره المصادر التاريخية، ممن كان بمعيّة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد تجسّد فكر الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء أبلغ تجسيد فيما يخصّ هؤلاء، فقد قدّم الإمام عليه السلام دروساً فيما يجب أن يكون عليه الإنسان في تعامله مع أخيه الإنسان، بغضّ النَّظر عن جنسه ولونه ومعتقده.

فكان تعامل الإمام الحسين عليه السلام معهم لا يختلف عن تعامله مع أيّ فرد عربي آخر من قادة القبائل العربية من الذين كانوا معه في الواقعة ووجوهها، ولعلّ من أروع الأمثلة التي تُجسّد ذلك ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام مع

١- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٣٤١.

٢- ابن اعثم، الفتوح، ج٥/ ص٢١.

٣- شمس الدين، انصار الحسين عليه السلام، ص١٩٠.

٤- المصدر نفسه، ص١٩٠.

٥- مولى علي عليه السلام أدرك النبي صلى الله عليه وآله وكان على شرطته بالكوفة وولاه على أذربيجان، قتل في الحملة ألأولى. ينظر: المامقاني، تنقيح المقال، ج٢/ ص٨١؛ السماوي، أبصار العين، ص٥٤.

٦- من موالي حمزة بن عبد المطلب، وكذلك والده، كان فارساً شجاعاً مات بعد شهادة حمزة بسنتين، وانضم ابنه الحرث إلى الإمام علي عليه السلام ثم إلى الحسن عليه السلام ثم إلى الحسين عليه السلام فلما خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة خرج معه ولازمه حتَّى وردوا كربلاء. ينظر: المامقاني، تنقيح المقال، ج١/ ص٢٤٨.

٧- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٥١؛ القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج٣/ ص٢٢.

٨- السماوي، ابصار العين، ص٩٥.

٩- مولى الحسين عليه السلام كان سليمان رسوله إلى أهالي البصرة وزعمائها فسلمه المنذر بن الجارود، إلى ابن زياد عامل يزيد على البصرة حينذاك فقتله. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٣٥٧-٣٥٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١/ ص١٩٩؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٢٥.

١٠- السماوي، ابصار العين، ص٩٥.

١١- وهو منجح بن سهم مولى الحسين عليه السلام قتل في الطف خرجت أمه معه حتَّى جاءت كربلاء، فقتله حسان بن بكر الحنظلي. ينظر: ابن نما، مثير الأحزان، ص٦٦؛ التفرشي، نقد الرجال، ج٤/ ص٤١٦؛ التستري، قاموس الرجال، ج٩/ ص١٢٠.

١٢- مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبية امرأة الحسين عليه السلام جاء مع الحسين من المدينة إلى مكة وإلى كربلاء، وبرز وقاتل يوم عاشوراء وأخذ أسيراً فأخلي سبيله، وهو احد مصادر أهل السير والأخبار. ينظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص١٣، ص٦٧، ص٩٢، ص١٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ص١٧٩، ص١٨٩، ص١٩٢.

أسلم بن عمرو[١]، واسلم من الموالي[٢]، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنَّه خرج الى القتال وهو يقول:

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

فقاتل حتَّى قتل، فلمّا صرع مشى إليه الإمام الحسين عليه السلام فرآه وبه رمق، فاعتنقه ووضع خدّه على خدّه، فتبسّم وقال: «من مثلي وابن رسول الله واضع خدّه على خدي، ثم فاضت نفسه»[٣]، وهذا الموقف يكرره الإمام عليه السلام حين قتل ابنه علي الأكبر إذ جاءه فوضع خدَّه الشريف على خدّ ولده[٤].

وحين وقف جون[٥] مولى أبي ذر الغفاري أمام الحسين عليه السلام يطلب إذنه بالخروج للقتال، نظر الإمام عليه السلام إليه نظرة إشفاق وحاول عليه السلام أن يثنيه عن عزمه فقال له: «يا جون أنت في إذن منّي، فإنَّما تبعتنا طلبًا للعافية فلا تبتل بطريقتنا»[٦]، فما كان من جون إلا أن وقع على قدمي الإمام عليه السلام يقبلها ويقول: «يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشّدّة أخذلكم، سيدي: إنَّ ريحي لنتن وإنّ حسبي للئيم ولوني لأسود، فتنفّس علي في الجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيضّ لوني، لا والله لا أفارقكم حتَّى يختلط هذا الدّم الأسود مع دمائكم»[٧].

ثم ذهب جون ليُقاتل حتَّى قُتل، فما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلا أن وقف عليه وهو صريع وقال: «اللهم بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار»[٨].

وهذا التجسيد الحقيقي لمبادئ الإسلام الذي ثبّت أركانها النّبي محمد صلى الله عليه وآله فكرم الإنسانية كلها إذ ألغى الاضطهاد العنصري إلغاءً عمليًّا، حين اختار لأقدس مهمّة زنجياً أسود، وجعل منه مؤذّنه الذي يُنادي المؤمنين للصلوات في أوقاتها الخمس[٩].

وهنالك فئة من الأنصار والمؤيّدين التحقت بالحسين عليه السلام بعد خروجه من المدينة في طريقه الى مكة، وهم من القبائل العربية التي استوطنت أطراف المدينة؛ منهم: عباد بن مهاجر وهو من الذين التحقوا بالحسين في طريق الكوفة عند موضع مياه جهينة عند وادي الصّفراء، وقُتل في الحملة الأولى[١٠]، وعقبة بن الصلت،

١- الامين، اعيان الشيعة، ج٣/ ص٣٠٣؛ السماوي، ابصار العين، ص٩٦.

٢- من موالي الحسين عليه السلام وكتابه، وكان أبوه تركيا من ترك ديلم قرب قزوين، فلما خرج الحسين عليه السلام خرج اسلم معه من مكة إلى كربلاء، وتذكره المصادر باسم وفي بعض المصادر(واضح). ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٦٩؛ ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١٠٤.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥/ ص٣٠؛ المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٤٩.

٤- ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٦٨؛ كاظم، الاقليات في فكر الإمام الحسين عليه السلام، ص٨٠٢.

٥- هو جون بن حوي بن قتاده بن الأعور بن ساعده، من أهل النوبة، مولى أبي ذر الغفاري، اشتراه الإمام علي عليه السلام ووهبه إلى أبي ذر ليخدمه، وعندما نفي أبو ذر إلى الربذة ذهب معه، وعند وفاة أبي ذر عاد إلى المدينة، وتذكره بعض المصادر باسم حوي. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٢٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١/ ص٢٣٧، ج٢/ ص٩١؛ ابن شهر أشوب، المناقب، ج٣/ ص٢٥٢.

٦- ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٦٤؛ الامين، اعيان الشيعة، ج٤/ ص٢٩٤.

٧- ابن نما، مثير الاحزان، ص٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥/ ص٢٢.

٨- الامين، اعيان الشيعة، ج١/ ص٦٠٥؛ العسكري، معالم المدرستين، ج٣/ ص١٢٠.

٩- كاظم، الاقليات في فكر الإمام الحسين عليه السلام، ص٨٠٢.

١٠- المغربي، شرح الاخبار، ج٣/ ص٢٤٨.

الذي التحق بالحسين عليه السلام من جهة جهينة ويظهر أنّه جهني، وهو من المقتولين في الحملة الأولى[1]، وهذا دليل على فاعلية حركة الإمام أثناء الطَّريق، وكثافة اتصالاته مع الذين كان يلتقي بهم في الطريق.

إنّ وجود العدة القليلة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله في كربلاء كاف لتمثيل جيل الصحابة الذين كانت لهم عند الناس حرمة وكرامة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تمّت بوجودهم الحجّة، إذ يمثّلون الاستمرار العيني لوجود سنة الرسول صلى الله عليه وآله وحديثه وأمره في جانب الإمام الحسين عليه السلام.

هناك عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرهم بعض المؤرخين، فحضورهم في معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وقتالهم إلى جانبه واستشهادهم يمنح بعض المشكّكين الدّليل القاطع على سلامة هذه الثورة ومشروعيتها عند من يعتبر عمل الصحابة حجّة، وهم: مجمع بن زياد بن عمرو الجهني، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ممن شهد بدراً وأحدًا، وأقام في منازل جهينة حول المدينة، فلمّا مرّ الحسين عليه السلام بهم تبعه من مكة إلى العراق، وقتل في كربلاء مع الحسين عليه السلام[2]، وكذلك نجد من الصَّحابة وممن لهم حضور، واحد الشهود للإمام علي عليه السلام في بيعة الغدير وهو عبيد الرحمن بن عبد رب الأنصاري الخزرجي[3]، ومن صحابة الرسول صلى الله عليه وآله يزيد بن مغفل الجعفي[4]، في اليوم العاشر استأذن يزيد الحسين عليه السلام القتال وتقدّم وهو يرتجز:

أنا يزيد وانا ابن مغفل ... وفي يميني نصل سيف مصقل

أعلو به الهامات وسط القسطلِ ... عن الحسين الماجد المفضل[5].

والصحابي زاهر بن عمرو الأسلمي الكندي[6]، الذي التقى مع الحسين عليه السلام في طرق الحج فالتقى مع الحسين عليه السلام فصحبه وكان ملازمًا له حتَّى حضر معه إلى كربلاء فاستشهد[7]، وكذلك نجد الصحابي جندب بن حجير الخولاني، كان أميراً على كندة لحق الحسين عليه السلام بالحاجر من بطن الرمة[8] قبل اتصال الحر بن يزيد به، قتل في الحملة الأولى يوم عاشوراء[9].

١- المغربي، شرح الاخبار، ج٣/ ص٢٤٨.

٢- السماوي، أبصار العين، ص١١٥؛ الزنجاني، وسيلة الدارين، ص١٩٣.

٣- وهو احد الشهود لعلي بن أبي طالب عليه السلام بحديث غدير خم، جاء مع الحسين عليه السلام من مكة، وكان من الذين يأخذون البيعة للحسين عليه السلام في الكوفة قتل في الحملة الأولى. ينظر: ابن طاووس، اللهوف، ص٤٠؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ص٧٢؛ المامقاني، تنقيح المقال، ج١/ ص١٤٥.

٤- له صحبة مع النبي صلى الله عليه وآله وشهد معركة القادسية هو وأخوه زهير في عهد عمر بن الخطاب، كان من أصحاب علي عليه السلام وحارب معه في صفين. ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٥٨؛ ابن حجر، الإصابة، ج٦/ ص٥٤٤؛ المامقاني، تنقيح المقال، ج٣/ ص٣٢٨.

٥- أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٥٨؛ ابن حجر، الإصابة، ج٦/ ص٥٤٤.

٦- من أصحاب الشجرة، وروى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وشهد الحديبية وخيبر، وكان من أصحاب عمرو بن الأحمق الخزاعي، وأنه كان بطلاً شجاعاً، محباً لأهل البيت. ينظر: ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١١٣؛ النمازي، مستدركات علم الرجال، ج٣/ ص٤١٦.

٧- ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١١٣؛ النمازي، مستدركات علم الرجال، ج٣/ ص٤١٦.

٨- وهو منزل يقع في طريق الكوفة إلى المدينة بين سميراء وبين معدن النقرة، والمسافة بينها وبين الحاجر أربعة وثلاثين ميلا، وأهلها من قيس وتنسب هذه القبيلة الى قيس عيلان، وهو منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وبها يجتمع أهل الكوفة والبصرة. ينظر: ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٧٩؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣/ ص٧١.

٩- المغربي، شرح الأخبار، ج٣/ ص ٢٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥/ ص٨٢؛ شمس الدين، أنصار الحسين، ص٦٤.

وكان مع الحسين عليه السلام من أصحاب الإمام علي عليه السلام: الحجاج بن مسروق الجعفي المذحجي، لما خرج الحسين عليه السلام إلى مكة خرج من الكوفة إلى مكة لملاقاته[1]، قتل يوم عاشوراء[2].وقاتل بين يدي الحسين عليه السلام قتالاً شديدًا وكان يرتجز ويقول:

أقــدم حسيناً هادياً مهدياً فاليــوم تلتقى جدّك النبيا
ثم أباك ذا النــدى عليــاً ذاك الذي نعرفه وصيّا[3].

ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام، الذين انضموا إلى الرّكب الحسيني في منزل عذيب الهجانات[4][5]، مجمع بن عبد الله العائذي، الذي استشهد في الحملة الأولى[6]، وأبو ثمامة عمرو بن عبد الله الهمداني الصائدي، الذي تولّى مهمّة استيفاء الأموال أيام مسلم بن عقيل في الكوفة ويشتري السلاح، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، عقد له مسلم على ربع تميم وهمدان حين بدأ تحرّكه القصير الأجل ضد ابن زياد[7].

نجد كذلك في ذلك الجيش قارئ القرآن والخطيب والشيخ والناسك، وهذا نجده فيعد من الشخصيات التي ناصرت الإمام الحسين عليه السلام، فهذا برير بن خضير الهمداني المشرفي[8]، لما بلغه خبر الإمام الحسين عليه السلام حتَّى اتجه من الكوفة إلى مكة فاصطحبه واستشهد معه[9]، وقد أبلى برير في المعركة بلاءً حسناً وكان ينشد ويقول:

أنا بريــر وأبي خضيــــر لا خير فيمن ليس فيه خير[10].

ونجد تلك الصفات في عابس بن أبي شبيب الشاكري[11]، الذي أرسله مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام بالرسالة التي أخبره فيها بيعة أهل الكوفة ودعاه إلى القدوم، وبقي مع الحسين حتَّى وصلا إلى كربلاء، وجاء مع عابس مولى لبني شاكر، وهو شوذب فقال: يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى أقتل، فتقدم فقاتل حتَّى قتل[12].

ثم تقدّم عابس الشّاكري فسلّم على الحسين وقال: «يا أبا عبد الله، اما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ ولا أحب إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ من نفسي ودمي

١- ابن اعثم، الفتوح، ج٥/ ص١٢٩-١٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/ ص٥٠٤.
٢- ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١٠٣.
٣- المصدر نفسه، ج ٣/ ص ٢٥٢ .
٤- هو موضع في طرف البادية يبعد عن القادسية ستة أميال، وبين القادسية والكوفة خمسة عشر ميلا، وهو ماء يكثر فيه النخيل ويسكنه طيء. ينظر: لغدة الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٣٤؛ بن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢٥-١٢٦.
٥- ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٨٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٠٤-٤٠٥.
٦- ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١١٣.
٧- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٣٦٤، ص٣٦٩؛ ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١٠٤.
٨- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٣٢؛ ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١٠٠؛ ابن طاووس، اللهوف، ج٣/ ص٣٤٤.
٩- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج/ ص٤٣٢؛ ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١٠٠.
١٠- النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٨٧.
١١- أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٥٤.
١٢- المصدر نفسه، ص١٥٤.

لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد أنّي على هدى أبيك ثم مشى بالسيف مصلتاً نحو القوم وبه ضربة على جبينه فطلب البراز»[1]، فلم يستطع القوم قتاله فصاروا يرضخونه بالحجارة من كلّ جانب حتَّى قتل[2].

ومن القرّاء وحملة الحديث، نافع بن هلال الجملي[3]، التحق بركب الإمام الحسين عليه السلام في منزل [عذيب الهجانات] وشارك نافع في جلب الماء مع العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم عاشوراء[4]، ويذكر انه قتل اثنى عشر رجلاً من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح، وظل يقاتل حتَّى كسرت عضداه وأخذ أسيراً، أخذه الشمر بن ذي الجوشن وأوتي به إلى عمر بن سعد، فقال له عمر أنت جئت به فإن شئت فاقتله ففعل[5].

وقد ضمّ جيش الإمام الحسين عليه السلام شخصيّات لها المكانة المرموقة بين القبائل العربية، ويعدّون من أشراف الكوفة آنذلك، فنجد جنادة بن الحارث السلماني المذحجي، وهو من مشاهير الشيعة من أهل الكوفة، ويعد من أصحاب الإمام علي عليه السلام[6][7]، وعمار بن حسان الطائي، كان من الشيعة المخلصين في الولاء ومن الشجعان المعروفين صحب الحسين عليه السلام من مكة ولازمه حتَّى أتى كربلاء[8]، وإنّ أكثر أصحاب الإمام الحسين عليه السلام جاءوا من الكوفة، وهذا يدلّ على أنّ الكوفة لم تكن كلّها معادية للإمام أو أنّ كلّ أبنائها أداروا ظهرهم للإمام.

وكذلك انظم إلى جيش الإمام الحسين عليه السلام من أديان أخرى وهو الدّين المسيحي، وهو وهب بن وهب(ابن حباب الكلبي)، الذي أسلم على يد الحسين عليه السلام هو وأمّه فأتبعوه إلى كربلاء، فركب فرساً وتناول بيده عود الفسطاط، فقاتل فقَتل من القوم سبعة أو ثمانية ثم أُستؤسر فأتي به إلى عمر بن سعد فأمر بضرب عنقه ورمى به إلى عسكر الحسين عليه السلام[9].

وهناك عدد لا بأس به من أصحاب الحسين عليه السلام الذين انتصروا على أهوائهم يوم عاشوراء؛ وسارعوا للتوبة واللحاق بركب الإمام متأثرين بمواعظه وما شاهدوه من معاجز في ذلك اليوم العصيب، كالحر بن يزيد الرياحي[10].

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ص٢٠٠

٢- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٣٥٥، ص٣٧٥، ص٤٤٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١/ ص١٩٧؛ الزنجاني، وسيلة الدارين، ص١٥٨-١٦١.

٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٠٤؛ الطوسي، الفهرست، ص٨٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/ ص٥٠٣.

٤- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ ص٤٠٤؛ الطوسي، الفهرست، ص٨٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/ ص٥٠٣.

٥- أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٥٠.

٦- المصدر نفسه، ص ١٥٩.

٧- المصدر نفسه، ص ١٥٩.

٨- ابن شهر أشوب، المناقب، ج٤/ ص١١٣؛ المامقاني، تنقيح المقال، ج٢/ ص٣١٧؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج٤/ ص٢٨٩؛ الزنجاني، وسيلة الدارين، ص١٦١-١٦٢.

٩- الصدوق، أمالي، ص١٣٧؛ الزنجاني، وسيلة الدارين، ص٢٣.

١٠- الجلالي، الإمام الحسين عليه السلام سماته وسيرته، ص١٦٠.

الخاتمة:

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن حركة قبلية أو إقليمية أو مذهبية، بل هي ثورة دفعت الى القيام بها مبادئ الإسلام وأحكامه لغاية تنبّه الأمة على واقعها السّيّء، وحملها على تحسينه عن طريق إثبات شخصيتها الإسلامية في وجه الحاكم المنحرف، وذلك بتصحيح نهج الحاكم.

وإنَّ مشاركة عدد من الموالين في ثورة الإمام الحسين عليه السلام يُشكل ظاهرة مهمّة في التاريخ الإسلامي، إذ تُعدّ هذه المشاركة أوّل حدث بارز كان للموالي فيه دور المشارك والمساهم، وكان لهذه المشاركة آثارها الإيجابية في مضاعفة دور الموالي في الحياة السياسية والاجتماعية، وقد تجلّى ذلك في الثورات التي قامت بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام كثورة المختار والتي كان للموالي فيها الدّور الأكبر في التحضير والمشاركة.

إنَّ من سمات الفكر القيادي عند الإمام عليه السلام أنّه فكر أخلاقي، يدعو الى ارتقاء العقل الإنساني الى مراتب الخير والكمال، وأروع الصور في السلوك والمعاملات.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت٦٣٠هـ/ ١٣٣٢م).الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيح، دار المعرفة (بيروت، ٢٠٠٠م).
* الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد(ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م). مقاتل الطالبين، تحقيق: احمد صقر، مطبعة عترت (إيران، ١٤٢٥هـ).
* ابن أعثم، أبو محمد احمد بن اعثم الكوفي(ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م) الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء (بيروت، ١٩٩١م).
* مقتل الحسين وقيام المختار، أنوار الهدى (قم، ١٤٢١هـ).
* البكري، أبي عبيد الله عبد الله عبد العزيز الاندلسي(ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، (بيروت، ١٤٠٣هـ).
* ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني(ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د. ت).
* ابن خرداذبة، عبيد الله(ت٣٠٠هـ / ٩١٢م). المسالك والممالك، يريل (ليدن، ١٨٨٩هـ).
* الخوارزمي، أبي المؤيد الموفق بن احمد بن محمد، المكي(ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م). مقتل الحسين، تحقيق: عبد المنعم عامر، مكتبة المثنى(بغداد،١٩٥٩م).
* الدينوري، ابي حنيفة احمد بن داود(ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). الأخبار الطوال، منشورات الشريف ارضي (قم، د. ت).
* الراوندي، أبو الحسن سعيد بن هبة الله قطب الدين(ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي (قم، ١٤٠٩هـ).
* ابن شهر أشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي المازنداني(ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م). مناقب آل أبي طالب(قم، مؤسسة انتشارات علامة، بلا، ت).
* ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر(ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م). اللهوف على قتلى الطفوف، المطبعة الحيدرية (النجف، د. ت).
* مقتل الحسين، مؤسسة الاعلمي (بيروت، ١٤١٤هـ).
* الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). أعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث(د. ت).
* الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م). تأريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر، ١٩٦١م).
* الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي(ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر النقاهة (١٤١٧هـ).
* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية في التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي (بيروت، د. ت).
* الاصفهاني، الحسن بن عبد الله(ت٣١٠هـ / ٩٢٢ م) بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، دار اليمامة، (السعودية، ١٩٦٨م).
* أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعد بن مسلم الازدي الغامدي(ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م) مقتل الحسين، تحقيق: ميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية (قم، ١٣٩٨هـ).
* المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) الإرشاد، المطبعة الحيدرية (النجف، د. ت).
* ابن نما، نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله الحلي(ت٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)مثير الأحزان، مدرسة الإمام المهدي (قم، ١٤٠٦هـ).
* ياقوت، شهاب الدين بن يعقوب بن عبد الله الرومي الحموي(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)معجم البلدان، دار أحياء التراث العربي، (١٩٧٩م).

المصادر الثانوية:

* البحراني، عبد الله (ت١١٣٠هـ) العوالم-الإمام الحسين، مدرسة الإمام المهدي(قم، ١٤٠٧هـ).
* الزنجاني، إبراهيم الموسوي وسيلة الدارين في أنصار الحسين، مؤسسة الاعلمي (بيروت، ١٩٧٥م).
* شمس الدين، محمد مهدي انصار الحسين، الدار الإسلامية (١٩٨١م).
* العاملي، محسن الأمين(١٣٧٠هـ) أعيان الشيعة(بيروت، دار التعارف، د. ت).
* لواعج الاشجان، بصيرتي (قم، د. ت).
* القرشي، باقر شريف حياة الإمام الحسين بن علي، منشورات مكتبة الداوري (قم، د. ت).
* المجلسي، محمد باقر(ت١١١١هـ) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار ألائمه الأطهار، مؤسسة الوفاء (بيروت، ١٩٨٣م).

شهر صفر

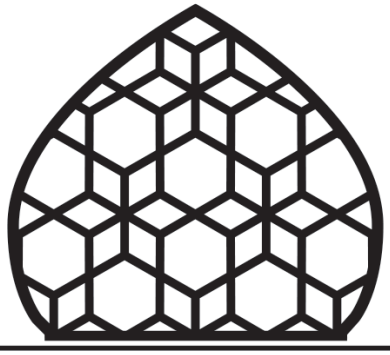

- الحسن المجتبى عليه السلام ما بعد الصلح إلى الاستشهاد.
- علامات المؤمن
- إضاءات حول الرِّسالة الذَّهبية للإمام الرضا عليه السلام

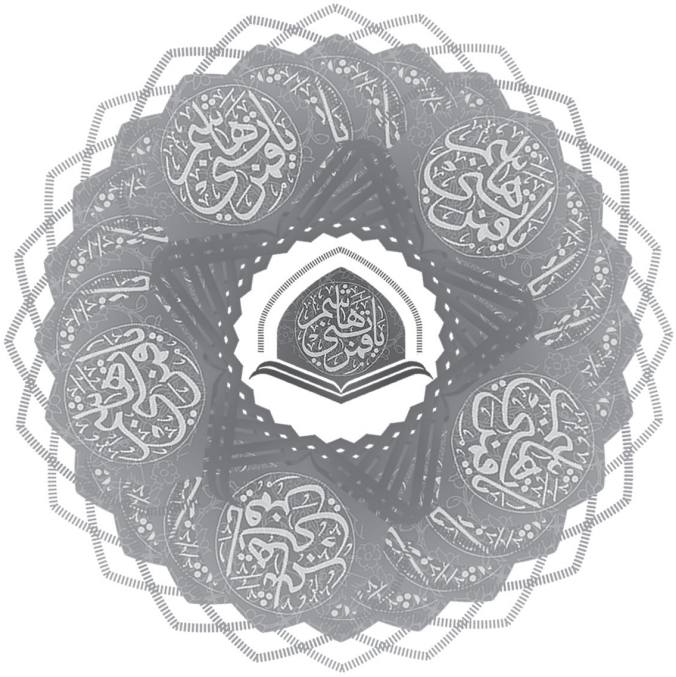

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام
ما بعد الصلح إلى الاستشهاد

إبراهيم صالح الشريفيّ

ما نُريد أن نتحدّث عنه هو جانب من جوانب حياة الإمام المجتبى الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ما يتعلّق بفترة ما بعد الصّلح إلى الاستشهاد وهي من أهمّ الفترات الحرجة التي مرّة على الشيعة بصورة عامّة والإمام المجتبى عليه السلام بصورة خاصّة فنقول:

لا يعني عندما يتخلّى الإنسان عن موقع ما أُجبر على التخلّي عنه أو اضطرّ إلى ذلك أنْ يتنازل عن كلّ مسؤولياته الأُخرى الملقاة على عاتقه، خصوصاً إذا كان الشخص ممّن عُهد إليه بمهام هي من صلب تكوينه الفكريّ وتكليفه الإلهي. والإنسان الرّساليّ عندما لم تُهيّأ له الظّروف في مجال ما عليه أن يُمارس تكليفه في مجالات أُخرى، إذ هذه الحياة ليس فيها إسقاط تكليف عن شخص إلّا ما استثني في محلّه، هذا على مستوى عامّة الناس ممّن يشعر بالمسؤولية المناطة به، فكيف بك والشّخصيّة التي هي محور هذه الكلمات امتداد رسالة السّماء ومشروع الأنبياء الذين ما ادّخروا وسعاً في هداية الناس، ورفع الظلم والحيف عن البشريّة، نعم يبقى الفارق في الظّروف التي هُيئت لكلّ منهم وفي الأدوار التي كُلِّفوا بها، وما أملتها عليهم مرحلتهم وزمانهم ومجتمعهم الذي عاشوا فيه.

وواضح عند كلّ باحث ومنقّب في التراث التاريخي بشكلٍ تفصيليّ، وعند عامّة الناس بشكلٍ إجماليّ الظرف الذي مرّ به الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه الخليفة الشّرعيّ، حيث التفّ حوله في بداية الأمر غالبيّة الأُمّة الإسلاميّة، إلّا أنّ الأحداث ومتغيّرات الأمور وهشاشة النفوس وضعفها أمام مغريات الحياة والأهواء والأطماع، وما إلى ذلك حرفت الحقّ عن أهله وجرى الذي جرى.

وتسنَّم الأمور من لا يستحق ومن ليس أهلاً لذلك، ومَن تنطبق عليه كلّ رذيلة وسخيمة، وبقي القائد الحقيقي للأُمّة بلا أُمّة.

إلّا أنّ الإمام الحسن عليه السلام بعد هذا الصّلح لم يتخلّى عن مسؤوليّته ووظيفته اتجاه هذه الأُمّة عموماً واتجاه أتباعه والمخلصين له خصوصاً، فقد بقي يلاحظ مجريات الأوضاع عن كثب ويمارس دوره كقائد حقيقيّ حريص على رعاية المجتمع والحفاظ على الدِّين الأصيل، وإصلاح الأوضاع بالقدر الذي يُتاح له.

وما نُريد أن نتحدّث عنه هنا هو دور الإمام ﷺ في هذه الفترة الزمنيّة الممتدّة من إعلان الصلح إلى حين استشهاده، وهي فترة لا تتجاوز العشر سنوات قضاها الإمام ﷺ بجوار جدّه رسول الله ﷺ، وما يمكن أن نُسلط عليه الضوء في هذه الحقبة هو ثلاثة محاور مارسها الإمام ﷺ في حياته مستنطقين بذلك الأحداث والمواقف التي اتخذها إزاء تلك الأوضاع من المخالفات الشرعيّة والقانونيّة والاجتماعيّة وغير ذلك ممّا كانت تمارسه السلطة الحاكمة آنذاك، وهذه المحاور هي:

المحور الأوّل- مراقبة الإمام ﷺ للسلطة الحاكمة ووقوفه بوجه الانحرافات والظلم والاضطهاد الذي كانت تمارس ضد الناس.

المحور الثاني-بناء الشخصيات العلميّة والقياديّة في المجتمع.

المحور الثالث- نشر العِلم والوعي الثّقافي في المجتمع.

هذه هي من أبرز الأدوار التي قام بها الإمام المجتبى ﷺ في تلك الحقبة الزمنيّة القصيرة، مع ما يُمارس ضدَّه وضدَّ أتباعه من ظلم وجور من قبل السلطة الحاكمة، وهذا ما يمكن لنا أن نتحدّث عنه في هذه العجالة، وإلّا فهذا الموضوع يحتاج لكثير من البحث والتنقيب والدراسة التحليلية المستفيضة بجمع القرائن والشواهد الكثيرة في كتب التاريخ التي تدلّ بشكلٍ واضحٍ وصريح على دور الإمام المجتبى ﷺ في هذه المرحلة خصوصاً.

المحور الأوّل

مراقبة الإمام ﷺ للسلطة الحاكمة، ووقوفه بوجه الانحرافات والظلم والاضطهاد الذي كانت تمارس ضدّ الناس.

إنّ القيادة الشرعيّة الحكيمة هي التي تلحظ وتشخّص ما يمكن عليها أن تفعله في كلّ مرحلة وظرف تمّر به الأُمّة، فتقوم بما يُصلح المجتمع ويحافظ على كيان الدِّين الحنيف، لذا قام الإمام المجتبى ﷺ بفعل ما قام به، وبهذا الأمر نتحدّث بالتالية.

١- بنود الصّلح بنظر القيادة الإلهيّة الحكيمة:

بعد أن وافق الطَّرفان على بنود الصّلح والذي كان معاوية هو مَن بادر إليه؛ خوفاً من الكوفيين أن ترجع إليهم أحلامهم ويثوب إليهم رشدهم، وكذلك ليضمن تَقلّدَه للسلطة وتأمّره على الناس، ليتخذ عباد الله خولاً، وماله دولاً، وقد استجاب الإمام ﷺ لذلك نتيجةً للمحنة الشاقة التي اضطرّته للصلح، وكانت نقاط بنود هذا الصّلح التي أملاها الإمام ﷺ على معاوية ووافق عليها بمحضر المسلمين من الطرفين كلّها من صالح الإمام ﷺ وصالح المسلمين والمؤمنين، وعندما يطالع الإنسان الواعي المنصف هذه البنود يلاحظ حقيقية ما نقوله وهو أنَّ الإمام ﷺ لم يتخلّ ولو للحظة واحدة عن دوره القياديّ ومسؤوليّته الشرعيّة، وإن لم يمارس دوره بشكلٍ رسميٍّ ظاهريٍّ، وهذا ما كان عليه والده أمير المؤمنين ﷺ

بعد وفاة رسول الله ﷺ.

فقد تضمنت هذه البنود كثيرًا من الأمور التي علم الإمام ﷺ أنَّ معاوية وأتباعه لو تسلّموا السّلطة سوف يفعلون بالناس ما لا يحمد عقباه، وبالفعل وقع الذي وقع، وحصل الذي حصل، وهذه البنود - على ما ذكرها المؤرّخون في كتبهم وقد جمعها الشيخ القرشيّ رحمه الله تعالى - هي أحد عشر بنداً نذكرها بتمامها:

تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله، وسنة نبيّه.

ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده، والأمر بعده للحسن، فإن حدث به حدث فالأمر للحسين.

الأمن العام لعموم الناس وأن يحتمل عنهم معاوية ما يكون من هفواتهم وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة.

أن لا يسمه أمير المؤمنين.

أن لا يقيم عنده الشهادة.

أن يترك سبّ أمير المؤمنين وأن لا يذكره إلّا بخير.

أن يوصل إلى كلّ ذي حقٍّ حقّه.

الأمن لشيعة أمير المؤمنين وعدم التعرض لهم بمكروه.

يفرق في أولاد من قتل مع أبيه في يوم الجمل وصفّين ألف ألف درهم، ويجعل ذلك من خراج دار بجِراد.

أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ويقضي عنه ديونه ويدفع إليه في كلّ عام مائة ألف.

أن لا يبغي للحسن ولا لأخيه الحسين ولا لأهل بيت رسول الله غائلة سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق.[1]

وهذه البنود تُبيّن القيادة الحقيقة للإمام ﷺ وممارسة دوره الأساسي، وإنْ أُبعد عن المنصب الدنيويّ والصلاحيات القيادية الظاهريّة، وترى فيها رعاية الإمام ﷺ للمجتمع والحفاظ عليه من بطش الظالمين وخصوصاً أتباعه، وهذا ما يلحظ في الفقرة الثالثة والسابعة والثامنة والتاسعة من هذه البنود.

٢- وقوف الإمام المجتبى ﷺ بوجه السلطة الحاكمة:

بغض النّظر عن مدى التزام معاوية بالشروط أمام الإمام ﷺ وأمام الأمّة إلّا أنّ الإمام ﷺ بقي يمارس دوره الأساسي بمراقبة سلوكيات السّلطة، ومكافحة الجور ورفع الحيف والظلم عن الناس، وإن استدعى ذلك أن يقصد الحكومة في قعر دارها في الشام، فقد حدّثنا التاريخ أنّه ﷺ قصد دار الحكومة في الشام أكثر

١- ينظر: الإمام الحسن بن علي للقرشي: ١١/ ٢٣٣-٢٣٤ من موسوعة أهل البيت ﷺ.

من مرّة مطالباً بحقّه وحقوق أتباعه، ومذكّراً السلطة بما تعاهدا عليه[1].

وقد حصلت هناك مناظرات وجلسات بين الإمام ورؤساء السلطة الحاكمة أمثال معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عتبة، وكان هؤلاء يريدون النيل من ابن بنت رسول الله وإظهار عجزه بزعمهم إلّا أنّ الإمام عليه السلام قلب عليهم ظهر المجن وأظهر معايبهم ومخازيهم.

وراح عليه السلام يمارس دوره الإرشادي والتبليغي في قعر عاصمة الدولة، ويُبيّن للناس الذين ضللهم الإعلام الأموي المنحرف مَن يكون هو عليه السلام ومَن يكون هؤلاء الذين جعلهم الناس خلفاء عليهم، وبذلك التف عليه الناس ممّا أخاف منه السلطة أن يقلب عليهم الأمور.

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوماً: (ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعد المنبر ويخطب الناس، فلعلّه أن يحصر فيكون ذلك ممّا نعيّره به في كلّ محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر، وقد جمع له الناس، ورؤساء أهل الشام فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه، ثم قال:

أيّها الناس مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عم نبي الله، أوّل المسلمين إسلاماً، وأمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّي محمّد بن عبد الله نبيّ الرحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أجمعين، فقطع عليه معاوية، فقال: يا أبا محمّد خلنا من هذا وحدّثنا في نعت الرطب- أراد بذلك تخجيله- .

فقال الحسن عليه السلام: نعم، التمر الريح تنفخه، والحرّ ينضجه، والليل يبرده ويطيبه.

ثم أقبل الحسن عليه السلام: فرجع في كلامه الأوّل فقال: أنا ابن مستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أوّل مَن ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن مَن يقرع باب الجنة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن مَن قاتل معه الملائكة، وأحلّ له المغنم، ونصر بالرعب من مسيرة شهر.

فأكثر في هذا النوع من الكلام، ولم يزل به حتّى اظلمت الدنيا على معاوية، وعرف الحسن مَن لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم، ثمّ نزل فقال له معاوية: أما إنّك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة، ولست هناك، فقال الحسن عليه السلام: أمّا الخليفة فمَن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمل بطاعة الله عزّ وجلّ، وليس الخليفة من سار بالجور، وعطّل السّنن، واتخذ الدّنيا أُمّاً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولاً، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكاً فتمتع منه قليلاً، وكان قد انقطع عنه، فأتخم لذّته وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾[2]، ﴿ **مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا**

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٢٨٦.

٢- سورة الأنبياء: ١١١.

﴿كَانُوا يُوعَدُونَ *مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[1] ...[2].

يقول السيّد عبد الرزاق المقرّم بهذا الصدد:

«تكرّر وفود الإمام الحسن ﷺ إلى الشام لغايات كريمة، منها أنّه كان يعلم أنَّ دمشق مباءة الضّلال ومرتكم ظلم العماءة، وأنّ الأمويّة السائدة فيه تردّ الناس إلى الجاهليّة الأُولى وهم لا يشعرون.

وإن السلطة المسيطرة على العالم التي فيها مثار زوابعها تمنع عن مكافحة ما هنالك من دعارة وكبح ذلك الجماح المبير، فكان من حكمته العلميّة سلام الله عليه أن يشخص إليها في الفينة بعد الفينة؛ فيلفت الأنظار إلى عصبة الدِّين والهدى بوجوده تارة وبحكمه وعلومه وأخلاقه أُخرى، وبمناظراته وحججه القاطعة ثالثة، فعسى أن يصيب الغرض ولو في رجل واحد، فإنّ من أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً.

فالحسن ﷺ بعد أن دخل الشام لم يسعه إلّا حضور مجلس ذلك المُقعى على أنقاض الخلافة الإسلاميّة، حِذار بادرته التي فتكت بحجر بن عدي، وعمر بن الحمق، ونظرائهما، وأزهقت جمعا لا يُستهان بأيّ فرد منهم...»[3].

وبهذه المراقبة الدّقيقة التي مارسها الإمام ﷺ استطاع أن يُبيّن للمجتمع الوجه الحقيقي لهذه السلطة الغاصبة لحقّه الشرعي، وكان في الحقيقة وجود الإمام ﷺ الغصة والشوكة في عين السلطة الحاكمة فلم يهدأ لها بال، ولم تدع فرصة للتخلص منه؛ لتمارس بطشها بالمؤمنين وملاحقتهم وغير ذلك من الانتهاكات بشكل أوسع، وبالفعل عندما قتل الإمام ﷺ تمكّن الجبابرة من هتك كلّ الحرمات، حتّى قيل «فلما ما مات الحسن بن عليّ ﷺ ازداد البلاء والفتنة، فلم يبقَ لله وليّ إلّا خائف على نفسه، أو مقتول أو طريد أو شريد»[4].

المحور الثّاني

بناء الشّخصيّات العلميّة والقياديّة والمحافظة عليها

لم يكن توجّه الإمام الحسن ﷺ على رعاية المصالح العامّة للناس وإدارة شؤون الأمّة الإسلاميّة فحسب، وإنّما توجّه فكره وهدفه بعد الذي مرّ به من محن في الاطمئنان للقيادات التي يمكن الاعتماد عليها في الأمور المصيريّة والمهمّة في الحياة السياسيّة والعلميّة والإداريّة إلى بناء الشخصيّات العلميّة والقياديّة في المجتمع، والمحافظة عليها من بطش السلطة، وزرع في نفوس أتباعه كلّ ما تتطلّبه هذه المرحلة؛ لإدراكه أنَّ مواجهة الانحرافات في المراحل اللّاحقة تكون أصعب وأهم، وعلى ذلك يمكن القول:

١- سورة الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧.

٢- الاحتجاج: ١/ ٤١٨-٤١٩.

٣- الإمام المجتبى للمقرّم: ٢/ ٩٢٥-٩٢٦.

٤- بحار الأنوار: ٤٤/ ١٢٧.

١-القيادة ودورها في المجتمع سلباً وإيجاباً:

إنّ أحوج ما يكون له قائد الأُمّة هي الشخصيات القياديّة المخلصة والواعية في إدارة شؤون الناس جميعاً، وإنّ ما مرّ به الإمام الحسن ﷺ من تجربة أحبطت مشروعه الرساليّ الإصلاحي الذي هو امتداد مشروع جدّه رسول الله ﷺ وأبيه أمير المؤمنين ﷺ، وهذا الإحباط جاء نتيجة ضعف النّفسيّة القيادية وتزعزع إيمانها بمبادئها السامية، وقد أحدث هذا الأمر زلزلة كبيرة في صفوف القاعدة الشعبية والعسكرية للإمام ﷺ.

فتشخيص مثل هذه المسألة والعمل على ردّمها وتهيئة كفاءات يعتمد عليها في المراحل اللاحقة كانت من أولويات المهام عند الإمام الحسن ﷺ، وخصوصاً أنَّ الأمر مع معاوية وهذا الخطّ الأمويّ لم ينتهِ بهذه المرحلة، ما دام هناك تضليل وإغواء وإغراء وترهيب وتخريب في الدين والمبادئ وما إلى ذلك، ولذا قال الإمام ﷺ في مناسبة من المناسبات لمروان بن الحكم (...وأمّا صلح الحيين فإنّا عاديناكم لله وفي الله فلا نصالحكم للدنيا)[١]، وقال الإمام أبو عبد الله الصادق ﷺ: «إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله وقالوا: كذب الله»[٢].

فقد شخّصَ الإمام ﷺ المرحلة التي هو فيها وما كان يجب على المؤمنين والموالين المخلصين له أن يفعلوا في هذه الظّروف الحالكة، فوجّه كلمته لأصحابه قائلاً: «فو الله لأن تذلوا وتعافوا أحبّ إليّ من أن تعزوا وتقتلوا، فإن ردّ الله علينا حقّنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنّا رضينا، وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنّا، فليكن كلّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حيّاً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[٣].

إنّ تلك الفئة القليلة والبقيّة الباقية من المؤمنين كان لها أن تأخذ دوراً بارزاً في إيقاد نور الإيمان في نفوس الناس، والوقوف بوجه من يُريد طمس الحقيقة الإسلاميّة الناصعة، فهم جند مجنّدة في أيّ محنة من المحن قد يهيّؤون لها أنفسهم، فإن كانت الساحة مقارعة السيوف أو الساحة ميدان فكر وعلم وصدحاً بكلمة الحق بوجه الجور والظلم فهم لها، وبالفعل قام هؤلاء العصبة المؤمنة بذلك.

٢-نماذج من القيادات القليلة المخلصة التي بقيت مع الإمام الحسن ﷺ:

معلوم لدى أهل البحث والعِلم وغالبية الناس أسماء الشَّخصيّات التي تسنمت زمام الأمور في جيش الإمام الحسن ﷺ وأحدثت فيه شرخاً، وخانت إمامها وقائدها، فلا مجال للتحدّث عنهم هنا.

إلا أنّه يُوجد بعض الأشخاص المخلصين المؤمنين الموالين للإمام ﷺ هؤلاء بعد الذي جرى حاول

١- بحار الأنوار: ٤٤/ ١٢٠.

٢- معاني الأخبار: ٣٤٦.

٣- الإمامة والسياسة للدينوري: ١/ ١٤٢.

الإمام ﷺ المحافظة عليهم بجهده، فهم المعوّل عليهم في مراحل أُخرى كما قدّمنا قبل قليل.

فمن بين هؤلاء القادة والشخصيّات على القائد الموالي الفذّ المخلص قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ، هذا القائد الشجاع الشهم صاحب اللّسان والسنان القاطعين اللذين أذاقا الأعداء جراحات بقي أثرها في جبين تاريخه المشرق.

فمن مواقفه الشجاعة أمام السلطة الحاكمة أنّه:

(قدم معاوية بن أبي سفيان بعد الصلح حاجّاً في أيّام خلافته بعدما استشهد الإمام الحسن ﷺ فاستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الذين استقبلوه عامهم قريش فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال: ما فعلت الأنصار، وما بالها ما تستقبلني؟! فقيل: إنّهم محتاجون ليس لهم دواب. فقال معاوية: فأين نواضحهم ؟ فقال قيس بن سعد: أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله ﷺ حين ضربوك وأباك على الإسلام حتّى ظهر أمر الله وأنتم كارهون.

فقال معاوية: اللهم اغفر.

فقال قيس: أما إنّ رسول الله ﷺ قال: سترون بعدي أثرة. فقال معاوية: فما أمركم به؟ قال أمرنا أن نصبر حتّى نلقاه، قال: فاصبروا حتّى تلقونه.

ثم قال يا معاوية: تعيرنا بنواضحنا؟ والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله، وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا، ثم دخلت أنت وأبوك كرهًا في الإسلام الذي ضربناكم عليه.

فقال معاوية: كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيّانا فلله ولقريش بذلك المنّ والطول، ألستم تمنون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله وهو من قريش وهو ابن عمّنا ومنّا، فلنا المنّ والطّول إن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا.

فقال قيس: إنَّ الله بعث محمّدًا ﷺ رحمة للعالمين فبعثه إلى الناس كافة، وإلى الجن والإنس والأحمر والأسود والأبيض اختاره لنبوّته، واختصّه برسالته، فكان أوّل مَن صدقه وآمن به ابن عمّه عليّ بن أبي طالب ﷺ وأبو طالب يذبّ عنه ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه وأمره أن يبلغ رسالة ربّه، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتّى مات عمّه أبو طالب وأمر ابنه بموازرته فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه في كلّ شديدة وكلّ ضيق وكلّ خوف، واختصّ الله بذلك عليّاً ﷺ من بين قريش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم...)[1].

فقد كانت السلطة الحاكمة تتحاشى المساس بهؤلاء لما يمتون به من صلة للإمام علي ﷺ وأولاده الطاهرين، ففي يوم من الأيام قدم وفد من العراقيين على معاوية فيهم عدي بن حاتم الطائيّ من الكوفة، والأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان من البصرة، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: هؤلاء رجال الدنيا

١- ينظر موسوعة الغدير: ٢/ ١٠٦.

وهم شيعة عليّ ﷺ الذين قاتلوا معه يوم الجمل، ويوم صفين، فكن منهم على حذر، فأمر لكلّ رجل منهم بمجلس سري، واستقبل القوم بالكرامة.

فلمّا دخلوا عليه قال لهم: أهلاً وسهلاً قدمتم أرض المقدّسة والأنبياء والرّسل والحشر والنشر، فتكلّم صعصعة وكان من أحضر الناس جواباً، فقال: يا معاوية أمّا قولك (أرض المقدسة) فإنّ الأرض لا تُقدّس أهلها، وإنّما تقدّسهم الأعمال الصالحة، وأمّا قولك (أرض الأنبياء والرسل) فمَن بها من أهل النفاق والشرك والفراعنة والجبابرة أكثر من الأنبياء والرسل، وأمّا قولك (أرض الحشر والنشر) فإنّ المؤمن لا يضّره بُعد المحشر، والمنافق لا ينفعه قربه[1].

المحور الثالث

نشر العِلم والوعي الثقافي في المجتمع

قال الإمام الحسن بن علي صلوات الله عليه لبنيه وبني أخيه: (إنَّكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العِلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته)[2]. وعلى هذا نقول:

١-أهمّيّة العِلم والوعي في المجتمع:

من أهمّ الأمور في قواميس أهل البيت ﷺ هي العِلم والمعرفة، فقد جهدوا أنفسهم وأمروا أتباعهم وأصحابهم وكلّ الناس بلزوم العِلم والعمل على تثقيف الناس والمجتمع؛ لأنَّ سلاح العِلم لا يدانيه سلاح، وآفة الجهل هي أضرّ شيء على الناس والمجتمع، وهذا ما كان يراهن عليه أعداء الإسلام وليوم الناس هذا.

وفي حادثة معروفة في كتب التاريخ لشخص من أهل الكوفة سُرق جمله في الشام أيّام معاوية فجيء به وبالسارق لمعاوية فحكم به إلى السّارق...، فقال له معاوية: أبلغ عليّاً أنّي أُقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين النّاقة والجمل[3].

هذا التّضليل وتجهيل الناس والعمل على إعمائهم وإغماسهم في أوحال الجهل، وإبعادهم عن مصادر العلم والمعرفة هو من صالح السّلطة الجائرة والحكومة الظَّالمة.

٢-تلامذة مدرسة الإمام المجتبى ﷺ:

لذا عمل الإمام المجتبى ﷺ على تربية كوكبة من طلّاب المعرفة لنشر العِلم والوعي الثَّقافي في الناس وتصديه للانحرافات الدينية التي كانت تؤدي إلى مسخ الشّريعة كما تصدّى لمؤامرة مسخ السّنّة النَّبويّة الشَّريفة

١- بحار الأنوار: ٤٤/ ١٢٣.

٢- المصدر نفسه: ٢/ ١٥٢.

٣- مروج الذهب: ٣/ ٣٢.

التي كان يخطط لها معاوية بن أبي سفيان من خلال تنشيط وضع الأحاديث والمنع من تدوين الحديث النبوي.

فأنشأ الإمام مدرسته الكبرى في يثرب، وراح يعمل مجدّاً في نشر الثقافة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، وقد انتمى لمدرسته كبار العلماء وعظماء المحدثين والرواة، ووجد بهم خير عون لأداء رسالته الإصلاحية الخالدة التي بلورت عقلية المجتمع، وأيقظته بعد الغفلة والجمود، وقد ذكر المؤرّخون بعض أعلام تلامذته ورواة حديثه وهم:

ابنه الحسن المثنى، والمسيب بن نجبة، وسويد بن غفلة، والعلا بن عبد الرحمن، والشعبي، ومبيرة بن بركم، والأصبغ بن نباتة، وجابر بن خالد، وأبو الجوزا، وعيسى بن مأمون بن زرارة، ونفالة بن المأموم، وأبو يحيى عمير ابن سعيد النخعي، وأبو مريم قيس الثقفي، وطحرب العجلي، واسحاق بن يسار والد محمد بن اسحاق، وعبد الرحمن بن عوف، وسفين بن الليل، وعمرو بن قيس، وقد ازدهرت يثرب بهذه الكوكبة من العلماء والرواة فكانت من أخصب البلاد الإسلامية علماً وأدباً وثقافة[1].

وذكر ابن شهر آشوب جملة من أصحاب وتلامذة الإمام عليه السلام نذكر نصّ كلامه:

قال: «من أصحاب الحسن بن علي عليهما السلام عبد الله بن جعفر الطيار، ومسلم بن عقيل، وعبد الله بن العباس، وحبابة بنت جعفر الوالبية، وحذيفة بن أسيد والجارود بن أبي بشر، والجارود بن المنذر، وقيس بن أشعث بن سوار، وسفيان ابن أبي ليلى الهمداني، وعمرو بن قيس المشرقي، وأبو صالح كيسان بن كليب وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، ومسلم البطين، وأبو رزين مسعود بن أبي وائل، وهلال بن يساف، وأبو إسحاق بن كليب السبيعي، وأصحابه من خواص أبيه مثل: حجر، ورشيد، ورفاعة، وكميل، والمسيب، وقيس، وابن واثلة وابن الحمق، وابن أرقم، وابن صرد، وابن عقلة، وجابر، والدؤلي، وحبة وعباية، وجعيد، وسليم، وحبيب، الأحنف، والأصبغ، والأعور مما لا تحصى كثرة»[2].

٣-حلقة درس الإمام الحسن عليه السلام في المسجد النبويّ:

فقد كانت للإمام عليه السلام حلقة درس وبحث ومناقشة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي يوم من الأيّام دخل أعرابي مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فوقف على الحسن بن عليّ وحوله حلقة مجتمعة من الناس فسأل عنه، فقيل له: إنّه الحسن بن عليّ عليهما السلام، فقال: إيّاه أردت. بلغني أنّهم يتكلّمون فيعربون في كلامهم، وإنّي قطعت بوادي وقفاراً وأودية وجبالاً، وجئت لأطارحه الكلام وأسأله عن عويص العربيّة، فقال له أحد جلساء الإمام: إن كنت جئت لهذا فابدأ بذلك الشابّ، وأومأ إلى الحسين عليه السلام. فبادر إليه، ووقف فسلّم عليه، فردّ

١- ينظر الإمام المجتبى للمقرّم: ١٦٦-١٦٧.

٢- مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٠١.

الإمام ﷺ، فقال له: ما حاجَتُكَ ؟

قال: جئتك من الهرقل والجعلل والأينم والهمهم، فتبسّم الإمام الحسين ﷺ، وقال له: يا أَعْرابي ! لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلام ما يَعْقِلُهُ إِلاَّ الْعالِمُونَ.... الخبر[1].

وراح الإمام ﷺ يفسّر كلّ ما يرده ذلك الأعرابي.

وكانت هذه الحلقات والدروس مقارعة لاستمرت عمليّة التضليل وحرف الحقائق من قبل السلطة الحاكمة التي كانت تمارسها بلا هوادة حيث استخدمت أدوات فعّالة في ذلك، وصرفت أموال طائلة على وضع الأحاديث والأكاذيب لينشأ عليها الصبيان ويتداولها أهل الاغراض الدنيوية، وكان أشدّ الناس في ذلك بعض القراء المراؤون المتصنّعون الذين يظهرون الخشوع والورع، فكذّبوا وانتحلوا الأحاديث وولدوها ليحظون بذلك عند الولاة والقضاة، ويدنون مجالسهم، ويصيبون بذلك الأموال والقطائع والمنازل، حتّى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقّاً وصدقاً، فرووها وقبلوها وتعلموها وعلموها، وأحبوا عليها وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها.

فاجتمعت على ذلك جماعتهم وصارت في يد المتنسكين والمتدينين منهم الذين لا يستحلون الافتعال لمثلها، فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ، ولو علموا بطلانها وتيقنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها، ولم يدينوا بها، ولم يبغضوا مَن خالفها فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلاً والباطل حقاً، والكذب صدقاً والصدق كذباً[2].

٤-امتداد نهج الإمام الحسن ﷺ الفكريّ في الإمام الحسين ﷺ:

فلمّا استشهد الإمام الحسن ﷺ ازداد البلاء والفتنة، فلم يبقَ لله وليّ إلّا خائف على نفسه، أو مقتول أو طريد أو شريد.

فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الإمام الحسين بن علي ﷺ وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس معه، وقد جمع الحسين بن علي ﷺ بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم مَن حجّ منهم ومَن لم يحّج، ومن بالأمصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أبنائهم والتابعين ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلّا جمعهم، فاجتمع إليهم بمنى أكثر من ألف رجل، والحسين بن علي ﷺ في سرادقه، وعامّة هؤلاء التابعون وأبناء الصحابة.

فقام الحسين ﷺ فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنّ هذا الطاغية، قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم، ورأيتهم، وشهدتم، وبلغكم. وإنّي أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، من أمنتم ووثقتم به فادعوهم إلى

١- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ١٠٠٢.

٢- ينظر الاحتجاج: ٢/ ١٨.

ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

يقول الرواة وأهل الأخبار: فما ترك الحسين ﷺ شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلّا قاله وفسره، ولا شيئاً قاله الرسول ﷺ في أبيه وأمّه وأهل بيته إلّا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدّثناه مَن نصدّقه ونأتمنه، حتّى لم يترك شيئاً إلّا قاله. ثم قال: أنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدّثتم به مَن تثقون به، ثم نزل وتفرّق الناس عن ذلك

نتيجة البحث

بهذه المحاور الثلاثة مع اختصارها وضيق وقت كتابتها بيّنا دور الإمام الحسن ﷺ في مرحلة من مراحل حياته المباركة، المرحلة التي امتدّت من اعلان الصلح إلى استشهاده ﷺ، وما قام به من دور رياديّ قياديّ، وكيف حافظة الإمام ﷺ على أتباعه وشيعته، وأيضاً قام صلوات الله تعالى عليه ببناء مواليه عقائدياً وفكريّاً وعزّز فيهم روح التّضحية من أجل الدِّين ومن أجل المبادئ الإسلاميّة السّامية، وبما قام به صلوات الله عليه بعدم تخليه عن وظيفته إزاء المجتمع والدين الحنيف بما مرّ به من محن وخيانة من قبل بعض النفوس الضعيفة يُعطي درساً مهمّاً للأجيال عبر التاريخ أنَّ الإنسان عليه أن لا ييأس من الحياة نتيجةً للظروف الصّعبة التي تمر عليه، وأن يمارس دوره في مجالات أُخرى من الحياة في سبيل إصلاح مجتمعه ومَن يمت له بصلة.

وهذا الكلمات المتواضعة هي محاولة في الرّؤية الإسلامية الأصيلة للشخصيّة العلميّة القياديّة في المجتمع، وما أحوجنا لذلك في هذه الأيّام، وفقنا الله وجميع المؤمنين لما يحب ويرضى إنّه سميع مجيب.

مصادر البحث:

* الإمام الحسن بن علي عليه السلام: تأليف الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر شريف القرشي، الناشر: مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، المطبعة الكفيل، سنة الطبع ٢٠٢٠م، الطبعة الخامسة.
* الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (أعلام الهدى)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى دار الأميرة بيروت، سنة ٢٠٠٥م.
* الإمام المجتبى الحسن بن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهما السلام: تأليف السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرم (ت١٣٩١هـ)، تحقيق: مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٧م.
* الإمامة والسياسة: تأليف محمّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
* الاحتجاج، تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تعليقات وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: تأليف محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسيّ (ت١١١٠هـ)، تحقيق: مجموعة محقّقين، الناشر: مؤسّسة الوفاء- بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ.
* شرح نهج البلاغة: تأليف ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م.
* مروج الذهب ومعادن الجوهر، تأليف: علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، الناشر: منشورات دار الهجرة ايران - قم، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش - ١٩٨٤ م.
* معاني الأخبار: تأليف محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ (الصدوق) (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين- قم المشرّفة، ط١٣٧٩هـ.
* مناقب آل أبي طالب: تأليف الإمام ابن شهرآشوب محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م.
* موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، تأليف: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، الناشر: دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤١٦ - ١٩٩٥ م.
* موسوعة الغدير: تأليف الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ (ت١٣٩٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م.

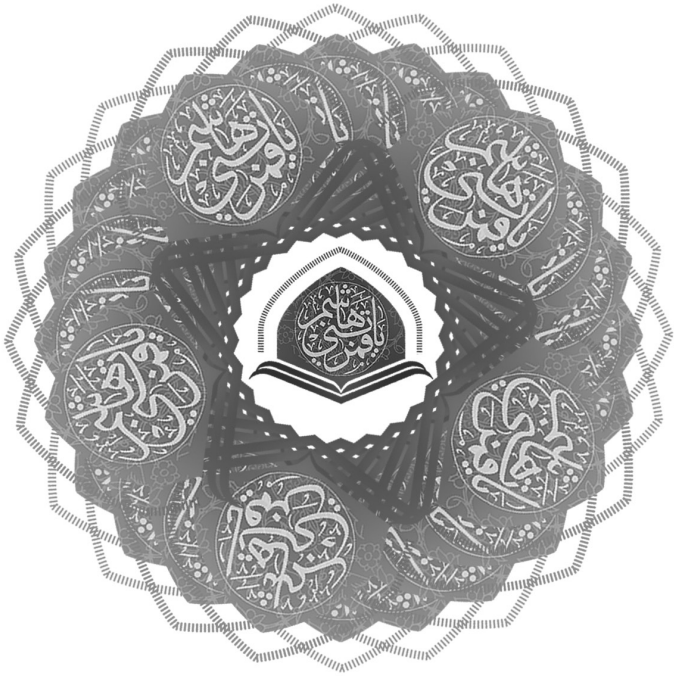

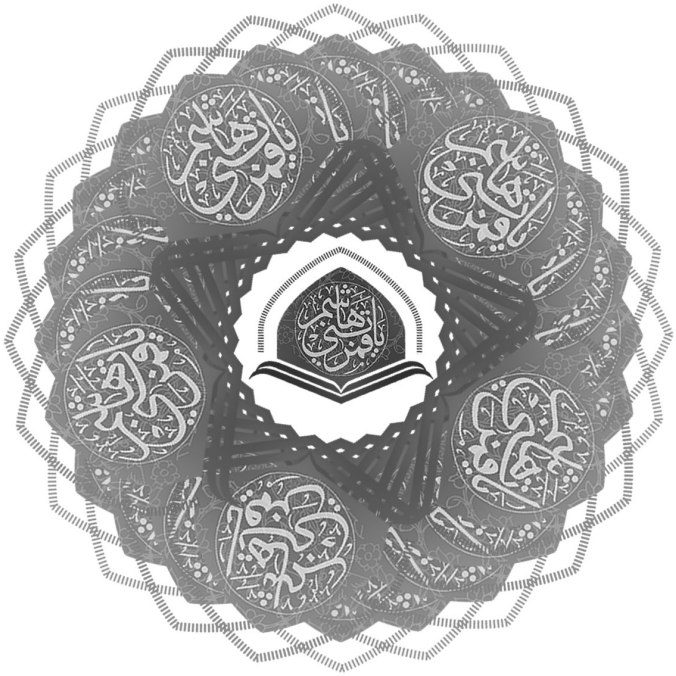

علامات المؤمن

الشيخ أحمد كاظم

رُوِيَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أَنَّه قَالَ: « عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْس: صَلَاةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ، وَالتَّخَتُّم فِي الْيَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [1].

لقد ذكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنَّ للمؤمن المحب والموالي لأهل البيت عليهم السلام صفات خمس:

الصّفة الأولى: صلاة إحدى وخمسين.

أي الصلوات الواجبة اليومية ونوافلها؛ إذ يكون مجموع ركعاتها إحدى وخمسين ركعة؛ حيث إنَّ الصلوات الخمس سبع عشرة ركعة، ونافلة الصبح ركعتان، ونافلة الظهر ثمان ركعات، وكذلك نافلة العصر ثمان ركعات، ونافلة المغرب أربع ركعات، ونافلة العشاء ركعتان من جلوس، وتُحسب ركعة واحدة؛ لأنّ كلّ ركعة من جلوس تعادل ركعة من قيام، ونافلة الليل إحدى عشر ركعة، فيكون المجموع إحدى وخمسون ركعة.

عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: « الْفَرِيضَةُ وَالنَّافِلَةُ أَحَدٌ وَخَمْسُونَ رَكْعَةً مِنْهَا رَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ جَالِساً تُعَدَّانِ بِرَكْعَةٍ وَهُوَ قَائِمٌ؛ الْفَرِيضَةُ مِنْهَا سَبْعَةَ عَشَرَ رَكْعَةً وَالنَّافِلَةُ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ رَكْعَةً». [2]

وقد وردت عدّة فضائل فوائد في النوافل؛ وخاصة صلاة الليل:

قال الله عز و جل مخاطباً حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾[3]، وقال عَزَّ مِنْ قائل ممتدحاً القائمين آناء الليل لعبادة الله جَلَّ جَلالُه: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[4].

و ذكر جَلَّ جَلالُه أن من صفات عباد الرحمن قيامهم بالليل، حيث قال: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾[5].

١- بحار الأنوار: ج ٩٨ / ص ٣٢٩.

٢- الكافي: ج ٣ / ص ٤٤٣.

٣- سورة الإسراء/ الآية: ٧٩.

٤- سورة السجدة/ الآية: ١٦- ١٧.

٥- سورة الفرقان/ الآية: ٦٣- ٦٤.

من آثار صلاة الليل

رَوَى أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنِّي لَأَهُمُّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذَاباً فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِي وَإِلَى الْمُتَهَجِّدِينَ وَإِلَى الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ وَإِلَى الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ صَرَفْتُهُ عَنْهُمْ» [1].

و عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنهُ قال : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، وَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَمَطْرَدَةُ الدَّاءِ عَنْ أَجْسَادِكُمْ »[2]

وَ يُرْوَى : « أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، أَصْبَحَ طَيِّبَ النَّفْسِ، وَ إِذَا نَامَ حَتَّى يُصْبِحَ، يُصْبِحُ ثَقِيلًا مُوصِماً»[3].

وَ أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام : « قُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ اجْعَلْ قَبْرَكَ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ »[4].

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، فَأَفْرَطَ فِي الشِّكَايَةِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَشْكُوَ الْجُوعَ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام : « يَا هَذَا، أَتُصَلِّي بِاللَّيْلِ »؟

فَقَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ .

فَالْتَفَتَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: « كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ وَ يَجُوعُ بِالنَّهَارِ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى ضَمَّنَ صَلَاةَ اللَّيْلِ قُوتَ النَّهَارِ »[5]

و رُوِيَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ أَنهُ قَالَ : شَكَوْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ أي الإمام جعفر بن محمد الصَّادق عليه السلام، سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام . عليه السلام الْحَاجَةَ، وَ سَأَلْتُهُ أَنْ يُعَلِّمَنِي دُعَاءً فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، فَعَلَّمَنِي دُعَاءً مَا احْتَجْتُ مُنْذُ دَعَوْتُ بِهِ .

قَالَ : « قُلْ فِي دُبُرِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَ أَنْتَ سَاجِدٌ، يَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ، وَ يَا خَيْرَ مَسْئُولٍ، وَ يَا أَوْسَعَ مَنْ أَعْطَى، وَيَا خَيْرَ مُرْتَجًى، ارْزُقْنِي، وَ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ، وَ سَبِّبْ لِي رِزْقاً مِنْ قِبَلِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » [6].

الصفة الثانية: التختم باليمين.

أي اتخاذ الخاتم باليد اليمنى؛ فإنّه شعار الأئمة عليهم السلام؛ فقد كانوا يتختمون باليمين؛ وكانوا يلبسون الأحجار الكريمة.

١- بحار الأنوار: ج ٨٤ / ص ١٢٠.
٢- المصدر نفسه: ج ٨٤/ ص١٥٥.
٣- المصدر نفسه: ج ٨٤/ ص ١٥٥.
٤- المصدر نفسه:ج ٧٩/ ص ٦٤.
٥- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٤١.
٦- الكافي: ج ٢ / ص ٥٥٢.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: «مِنَ السُّنَّةِ لُبْسُ الْخَاتَمِ»[1].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام : «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله كَانَ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ» [2]

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ : «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ [3]

وكان المعصومون عليهم السلام يشجعون على أحجار كريمة منها العقيق كونها لها علاقة بولايتهم عليهم السلام؛ عنِ الرِّضَا عليه السلام، قَالَ : « الْعَقِيقُ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَلُبْسُ الْعَقِيقِ يَنْفِي النِّفَاقَ» .[4]

الصِّفة الثَّالثة: تعفير الجبين.

المراد بتعفير الجبين هو وضع الجبهة وأطرافها حال السجود على الأرض والتراب؛ لا على غير الأرض مما لا يصح السجود عليه كالسّجّاد وغيره، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» [5]، والمراد بالأرض هو التراب والحصى والصخر أو غيرها مما يشمله اسم الأرض.

وأيضاً فإنَّ تَعْفِير الجَبِين هو تَمْرِيغُهُ فِي التُّرَاب، وأيضاً التعفير هو مسح المصلي جبينه حال السجود على العفر وهو التراب تذللاً لله عَزَّ وجَلَّ؛ ذلك لأنَّ الجبهة والجبينان هما أشرف مواضع البدن، فمن يُمكِّن جبهته وجبينه من التراب وهو ساجد لله ربّ العالمين يكون قد حاز مرتبة من الخشوع والعبودية لله تعالى.

والجبين فوق الصدغ على جانب الجبهة، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها يتصاعدان من طرفي الحاجبين إلى قصاص الشعر فتكون الجبهة بين جبينين، ويبدو أنَّ السجود على الأرض إذا كان على التراب فستكون المساحة الملامسة للتراب أكثر من مساحة الجبهة وتتعدّى إلى الجبينين أيضاً.

وبسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال:« إنَّما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، لكثرة سجوده على الأرض»[6].

وفي روايات عديدة: أنّه أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى عليه السلام: « أتدري لم اصطفيتك لكلامي دون خلقي؟ فقال موسى عليه السلام: « لا يا رب. فقال:يا موسى إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي منك يا موسى إنَّك إذا صلّيت وضعت خديك على التراب»[7].

١- وسائل الشيعة: ج ٥/ ص ٧٦.

٢- الكافي: ج ٦ / ص ٤٦٩.

٣- المصدر نفسه: ج ٦ / ص ٤٧٠.

٤- المصدر نفسه: ج ٦ / ص ٤٧٠.

٥- وسائل الشيعة: ج ٢ / ص ٩٧٠.

٦- بحار الأنوار: ج ١٢ / ص ٤.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ١ / ص ٣٣٢.

الصّفة الرَّابعة: الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم

أي الجهر في الصَّلاة بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم حتَّى في الصلوات الإخفاتية؛ ومعنى الجهر؛ عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: «الإجهار أن ترفع صوتك تسمعه من بعد عنك، والإخفات أن لا تسمع من معك إلّا يسيراً» .[1]

عن صفوان الجمال قال:« صَلَّيتُ خَلفَ أبي عَبدِ اللهِ ﷺ أيّامًا، فَكانَ إذا كانَت صَلاةً لا يُجهَرُ فيها جَهَرَ بِبِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، وكانَ يَجهَرُ في السّورَتَينِ جَميعًا»[2].

وعن رَجاء بنُ أبي الضَّحّاكِ -في وَصفِ صَلاةِ الإمام الرِّضا ﷺ-: «كان يَجهَرُ بِبسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ في جَميعِ صَلاتِهِ باللَّيلِ والنَّهارِ»[3]

وعن أبي حمزة قال قال علي بن الحسين ﷺ يا ثمالي إنَّ الصلاة إذا أقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام فيقول: هل ذكر ربه؟ فإن قال: نعم؛ ذهب. وإن قال لا ركب على كتفيه فكان إمام القوم حتَّى ينصرفوا. قال: فقلت جعلت فداك، ليس يقرأون القرآن؟ قال بلى ليس حيث تذهب يا ثمالي؛ إنّما هو الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[4].

وقد روي أنَّ أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام كان يجهر بالبسملة في صلاته، وكان يجهر لذلك حتّى في الصلاة الاخفاتية؛ لأنّه يستحب الجهر فقط في البسملة؛ لأنَّها من السّنّة؛ ولهذا يلاحظ أنَّ مدارس المسلمين غير مدرسة أهل البيت ﷺ فإنَّهم إما أسقط البسملة من القرآن الكريم؛ ولذلك حينما يقرأون في صلواتهم السور والآيات لا يلفظون البسملة، فقد ذكر بعضهم في مباحث علوم القرآن أنّ البسملة ليست من القرآن الكريم، والذين يقولون: بأنّها من القرآن فإنّهم لا يلفظونها لذلك ظلّت البسملة والجهر بها شعار الشيعة.

البسملة كما في الرّوايات أنَّها أقرب من سواد العين إلى بياضها بالنسبة إلى الاسم الأعظم.

الصّفة الخامسة: زيارة الأربعين.

أي زيارة الإمام الحسين ﷺ في يوم الأربعين؛ أي العشرين من شهر صفر، ويُسمَّى بالأربعين لمرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين ﷺ في العاشر من شهر محرّم الحرام.

وفي هذه الصّفة عدّة محاور:

١- جامع أحاديث الشيعة: ج ٥ / ص ١٢٥.

٢- الكافي: ٣- ٣١٥- ٢٠، التهذيب: ٢- ٦٨- ٢٤٦، الاستبصار: ١- ٣١١- ١١٥٤.

٣- عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢- ١٨٢.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٢ / ص ٢٩٠.

المحور الأول: أدلّة زيارة الأربعين:

إنَّ استحباب زيارة الإمام الحسين ﷺ ثابتٌ مطلقاً في تمام أيّام السّنة، وذلك لتواتُر الرواياتِ عن أهل البيتِ ﷺ الدّالَّةِ صريحاً على ذلك، فاستحبابُ زيارة الحسين ﷺ في اليوم المصادفِ ليوم الأربعين من استشهاده داخلٌ في عموم ما دلَّ على استحباب زيارتِه في مُطلقِ أيام السنة، هذا مضافاً إلى ما ورد مِن استحباب زيارته في هذا اليوم بنحو الخصوص فيكون ذلك دليلاً ليس على استحباب زيارتِه في يوم الأربعين وحسب بل على تأكُّد استحبابِها في هذا اليوم.

والنصُّ الذي يُمكنُ اعتمادُه في ذلك هو ما أوردَه الشيخُ أبو جعفرٍ الطوسي (رحمه الله) في التهذيب قال: «أخبرنا جماعةٌ من أصحابنا عن أبي محمَّد هارون بن موسى بن أحمد التلعكبري قال: حدَّثنا محمَّد بن علي بن مَعْمر قال: حدَّثني أبو الحسن عليُّ بن محمد بن مسعدة والحسنُ بن عليٍّ بن فضال عن سعدان بن مسلم عن صفوان بن مهران الجمَّال قال: قال لي مولاي الصادقُ صلوات الله عليه في زيارة الأربعين: تزورُ عند ارتفاعِ النهار وتقولُ: (السلامُ على وليِّ اللهِ وحبيبِه، السلامُ على خليلِ الله ونجيبه، السلامُ على صفيِّ الله وابن صفيِّه، السلامُ على الحسينِ المظلومِ الشهيدِ، السلام على أسيرِ الكُربات وقتيلِ العبَرات .. وتُصلِّي ركعتين وتدعو بما أحببتَ وتنصرف»[1].

وهي من حيثُ الدلالة صريحةٌ في أنَّ ليوم الأربعين زيارةً خاصَّة يُزارُ بها الإمام الحسينُ ﷺ عند ارتفاع النهار، وذلك يقتضي تأكُّد الاستحباب، إذ إنَّ أصلَ الاستحباب ثابتٌ في مطلق أيّام السنة فإذا تمَّ النّصُّ على يوم بالخصوص كيوم عرفة فإنَّ ذلك يكونُ ظاهراً ظهوراً بيِّناً في أنَّ لهذا اليوم خصوصيَّةً يتأكَّدُ بمقتضاها الاستحباب. كما هو الشأنُ في مثل الصوم فإنَّه مستحبٌّ في مطلق أيّام السنَّة فإذا تمَّ النّصُّ على يوم مخصوص فإنَّ ذلك يقتضي تأكُّد استحبابِه، وهكذا هو الشّأنُ في الصلاة فإنَّها خيرُ موضوعٍ -كما أفاد أهلُ البيت ﷺ- فيُستحبُّ الإتيان بها في كلِّ وقت، فإذا تمَّ النصُّ على وقتٍ مخصوصٍ فإنَّ ذلك يكونُ مقتضياً لاستظهار تأكُّد استحبابِ الصلاة فيه.

هذا ويُمكن تأييد تأكُّد الاستحباب لزيارة الحسين ﷺ يوم الأربعين بالرواية الواردة عن أبي محمدٍ الحسن العسكري ﷺ أنَّه قال: « عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ الْخَمْسِينَ، وَ زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ، وَ التَّخَتُّم فِي الْيَمِينِ، وَ تَعْفِيرُ الْجَبِينِ، وَ الْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »[2]

١- التهذيب: ٦ / ١١٣ .

٢- المصدر نفسه: ج٦ / ص٥٢.

المحور الثاني: من معاني زيارة الأربعين:

إنّ في زيارة الأربعين معاني عظيمة جداً، بل وفي جميع زيارات الإمام الحسين الشهيد عليه السلام معاني عظيمة، ولكن تمتاز كلّ زيارة عن زيارة بمعاني تختلف عن الزيارات الأخرى؛ فمثلاً في زيارة الأربعين استعرض عليه السلام في زيارة الإمام الحسين هدفاً مهمّاً للغاية؛ حيث بيّنت الزيارة هدف نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جملة أهدافه التي ثار ونهض من أجلها مضافاً إلى الأسرار الكونية الباطنية العملاقة التي تتصل بالتكوين والتشريع هناك أبعاد وأسباب أخرى منها؛ « وبَذَلَ مُهجَتَهُ فيكَ لِيَستَنقِذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَةِ وحَيرَةِ الضَّلالَةِ»[1].

إنَّ أهمّ سبب لثورة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته هو اجتثاث الجهل، وإزالة الجهل واجتثاثه ليس هو فلسفة ثورة سيّد الشهداء فحسب، بل إنّه يُمثّل فلسفة بعثة كلّ الأنبياء وأعظم وسيدهم هو الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله.

وقد أهدى الإمام الحسين عليه السلام بدوره دَمه الطاهرَ في سبيل تحقيق هذه الغاية السامية، وبذلك فإنَّ محو الجهل من المجتمع المسلم هي أهمّ حكمة تكمن وراء إحياء مدرسة الشهادة بواسطة إقامة شعائر العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، ولابُدّ من استمرار هذه المدرسة حتّى علاج هذا المرض الاجتماعي الخطير بشكل كامل، والسيادة المطلقة للقيم الإسلامية في العالم.

إذن هدف الإمام الحسين عليه السلام في هذا النّص الوارد في زيارة الأربعين هو هذا، ثار الإمام الحسين ونهض الإمام الحسين عليه السلام هذه النهضة الإصلاحية التصحيحية العريقة ليستنقذ عبادك من الجهالة.

كان الإمام الحسين عليه السلام السّبب الرّئيس بعد رسول الله وأمير المؤمنين والزهراء والحسن عليهم السلام الذي رفع الجهل عن الأمة الإسلامية .

لقد تحوّلت الأمّة الإسلامية بعد رحيل النبي إلى أمّة انكفأت على أصولها، وتنكّرت لحقّ النّبي وأهل بيته ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾[2] وفعلاً انقلبت هذه الأمّة انقلاباً اتصف بالظلمة؛ فقد هضموا حقّ الزهراء عليها السلام، وهضموا حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأبعدوهم عن مناصبهم، وعن مراتبهم التي رتّبهم الله تعالى فيها، وظلموهم، وأحرقوا دار النّبوة، وهجموا على بيت سلطان الولاية، وأغاروا على هذا البيت المقدس الذي كان مأوى لجبرئيل عليه السلام.

هذا انكفاء جهل؛ وهكذا انتشر الجهل، وانتشرت حالة الاستهزاء بالمقدسات فجاء الإمام الحسين عليه السلام بهذه النّهضة العظيمة ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة.

لقد كان هناك ضلال يتحرّك بين المسلمين؛ بحيث يتحوّل النبي العظيم صلى الله عليه وآله إلى إنسان عادي، ويتحوّل الإنسان المجرم السّفّاك للدماء إلى خليفة وإلى أمير يطاع، ويتحوّل يزيد إلى أمير المؤمنين، ويتحول امير

١- بحار الأنوار: ج ١٠١ / ص ٣٥٤.

٢- سورة آل عمران/ الآية: ١٤٤.

المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ إلى رجل خارجي والإمام الحسين ﷺ يتحول إلى رجل خارجي هذا ضلال في الأمّة؛ لقد تاهت الأمّة، وانزلقت في المهاوي؛ لذلك تصدّى الإمام الحسين ليستنقذها من هذه الجهالة ومن حيرة الضّلالة؛ وهذا المعنى العظيم الذي لا يسع المجال لبيانه بتفاصيله ودقته؛ لكنه هذا المعنى موجود في زيارة الأربعين.

لذلك الإنسان حينما يزور الإمام الحسين ﷺ في زيارة الأربعين يستشرّ على واحد من الأهداف العريقة والعظيمة التي ثار من أجلها الإمام الحسين ﷺ؛ فزيارة الأربعين رسالية ومقدَّسة؛ لأنَّها تنهض بالإنسان ليتعرّف على إمامه الإمام الحسين معرفة حقيقية بأبعاد اجتماعية وسياسية وكونية.

إنَّ الله سبحانه عز وجل غنيّ بذاته ولا يحتاج إلى أحد، ولكن خلق الوجود بنظام السببية والعلية في هذا العالم؛ فكما أوكل الموت إلى عزرائيل، وأوكل نزوله للصحف والكتب المقدسة إلى جبرئيل؛ كذلك أوكل أمراً مهماً وهو الحفاظ على التكوين وعلى التشريع إلى البشر؛ وهم الصفوة من خلقه فكانوا أعضاداً لمخلوقاته؛ فالإمام الحسين ﷺ هو ركن من أركان هذا الوجود؛ لذلك ورد حتَّى في الزيارة الجامعة الكبيرة في وصف الأئمّة بأنَّهم أركان توحيده.

وليس الإمام الحسين ﷺ فقط ركناً للوجود؛ وإنَّما ركن التوحيد، كلّ إمام من الأئمّة ﷺ؛ « هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحّق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته»[1] كما ورد في خطبة أمير المؤمنين ﷺ وكل واحد منهم يلهم العالم، ويلهم الناس، ويحافظ على الناس.

إذن زيارة الأربعين تعطي لنا أبعاداً تكوينية وأبعاداً تشريعية تعلّم الإنسان عظمة الإمام الحسين ﷺ وتفهم الإنسان المكانة الحقيقية للإمام الحسين ﷺ؛ وطبيعي فإنَّ هناك دواعي أخرى غير ما ذكرنا.

نحن ذكرنا فقط جانباً واحداً الذي دعا الإمام أن يجعل زيارة الأربعين علامة من علامات المؤمن، وهناك العديد من الأسباب والدّواعي العقلائية والمهمة جداً التي لا يسع المجال لذكرها، فلنشحذ الهمم أيّها الأحبة لزيارة الإمام الحسين في ذكرى أربعينيته (صلوات الله وسلامه عليه)، رزقنا الله وإياكم زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة وصلى الله عليك يا سيدي يا أبا عبدالله الحسين.

١- نهج البلاغة: ٣٥٧.

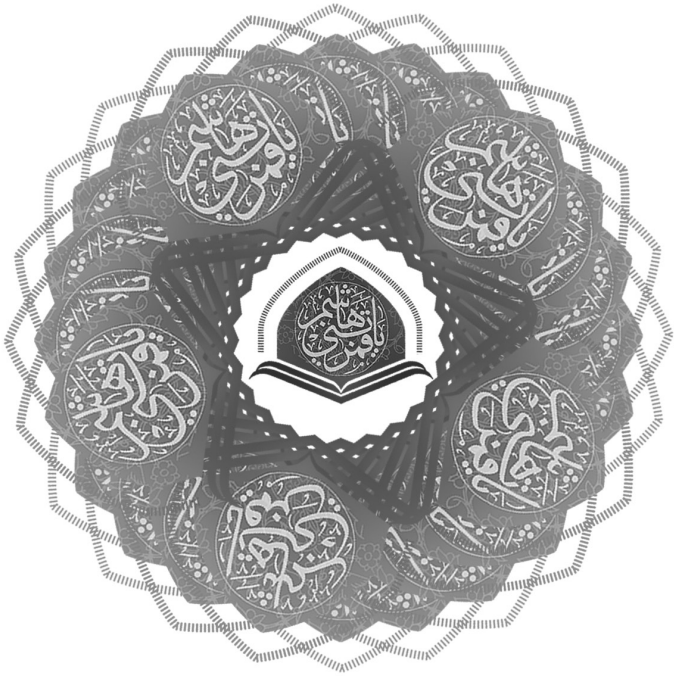

إضاءات حول الرسالة الذهبية للإمام الرضا عليه السلام

السيد جعفر الموسوي

من آثار وتراث الإمام الرضا عليه السلام الرسالة الذهبية؛ وهناك عدة وقفات أمام هذه الرسالة نذكر بعضها في هذا البحث:

الوقفة الأولى: الوقفة التاريخية

الرّسالة الذهبية هي رسالة كتبها إمامنا علي الرضا عليه السلام بطلب من المأمون العبّاسي؛ حيث إنَّ المأمون كان مجتمعاً مع مَهرة الأطباء والحذاق منهم، وكانوا يتداولون الأمور التي من شأنها أن تحفظ صحّة الإنسان، وأن تبعد عنه المرض؛ فقد روي عن الحسن بن محمد بن جمهور، قال حدثني أبي، وكان عالماً بأبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليهما، خاصاً به، ملازماً لخدمته، وكان معه حين حمل من المدينة الى المأمون الى خراسان، واستشهد عليه السلام بطوس وهو ابن تسع وأربعين سنة.

قال: كان المأمون بنيسابور، وفي مجلسه سيدي أبو الحسن الرضا عليه السلام وجماعة من الفلاسفة والمتطببين، مثل : يوحنا بن ماسويه[1]، وجبرائيل بن بختيشوع [2]، وصالح بن بهلمة الهندي [3]، وغيرهم من متحلي العلوم، وذو البحث والنظر. فجرى ذكر الطب، وما فيه صلاح الأجسام وقوامها، فأغرق المأمون ومن كان بحضرته في الكلام، وتغلغلوا في علم ذلك، وكيف ركّب الله تعالى هذا الجسد، وجمع فيه هذه الأشياء المتضادة من الطّبائع الأربع، ومضار الأغذية ومنافعها، وما يلحق الأجسام من مضارها من العلل.

قال: وأبو الحسن عليه السلام ساكت لا يتكلّم في شيء من ذلك، فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن في هذا الأمر الذي نحن فيه منذ اليوم ؟ فقد كبر علي، وهو الذي لابد منه، ومعرفة هذه الأغذية النافع منها والضار، وتدبير الجسد .

فقال له أبو الحسن عليه السلام: عندي من ذلك ما جربته، وعرفت صحّته، بالاختبار ومرور الأيّام،

١- هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه، مسيحي المذهب، سرياني، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بانقرة، وعمورية، وبلاد الروم حين سباها المسلمون . ووضعه أميناً على الترجمة . وخدم هارون الرشيد والامين والمأمون . وبقي على ذلك الى ايام المتوكل . وكان معظماً ببغداد، جليل القدر، وجعله المأمون في سنة ٢١٥ رئيساً لبيت الحكمة . انظر ابن النديم في الفهرست ص٢٩٥، وابن جلجل في طبقات الاطباء ص٦٥.

٢- جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع الجند يسابوري، كان طبيباً حاذقاً، وكان طبيب الرشيد وجليسه وخليله، ويقال : ان منزلته مازالت تقوى عند الرشيد حتّى قال لاصحابه : من كانت له حاجة الي فليخاطب بها جبرائيل، فاني أفعل كل ما يسألني في كل امورهم . ولما توفي الرشيد خدم الامين والمأمون الى أن توفي، ودفن في دير مارجرجس بالمدائن سنة ٢١٣ هـ . انظر ابن جلجل في طبقات الاطباء ص٦٤ والقفطي في اخبار العلماء ص٩٣ .

٣- كره ابن أبي اصيبعة في عيون الانباء في طبقات الاطباء ٣| ٥٢، من علماء الهند، كان خبيراً بالمعالجات التي لهم، وله قوة وانذارات في تقدمة المعرفة . كان بالعراق في ايام الرشيد، وله نادرة مع الرشيد في شفاء ابن عمه ابراهيم بن صالح بعد أن غسّل وحنّط وكفن .

مع ما وقفني عليه من مضى من السّلف مما لا يسع الإنسان جهله، ولا يعذر في تركه . وأنا أجمع ذلك ... مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته .

قال: وعاجل المأمون الخروج الى بلخ، وتخلّف عنه أبو الحسن ﷺ، فكتب المأمون إليه كتاباً يتنجز ما كان ذكره له، مما يحتاج الى معرفته على ما سمعه وجرّبه (من الأطعمة، والأشربه)، وأخذ الأدوية، والفصد[1]، والحجامة[2]، والسواك، والحمام، والنورة، والتدبير في ذلك»[3] . فكتب اليه أبو الحسن ﷺ كتاباً سمّي بعد ذلك بالرّسالة الذّهبيّة، وبعث به إلى المأمون، وتقول الرواية فكتب المأمون العبّاسي للإمام الرضا ﷺ رسالة يعقب على رسالته التي كتبها:« قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ الْقُمِّيُ قَالَ لِي أَبِي فَلَمَّا وَصَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا وَ عَلى آبَائِهِمَا وَ الطَّيِّبِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا إِلَى الْمَأْمُونِ قَرَأَهَا وَفَرِحَ بِهَا وَ أَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ بِالذَّهَبِ وَ أَنْ تُتَرْجَمَ بِالرِّسَالَةِ الذَّهَبِيَّةِ»[4]؛ وتضمنت ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أبدى المأمون إعجابه بما كتب الإمام ﷺ، وأنّه قد عرض ما كتبه الإمام ﷺ على أصحابه، وعلى الأطباء الموجودين عنده، وكان المحيطون بالمأموم هم أعظم الأطباء، ومهرة الأطباء من الهند ومن اليونان ومن غيرهم؛ فاتفقت كلمتهم على عظمة ما كتبه الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه.

الأمر الثاني: إنّ المأمون من شدّة إعجابه بما كتبه الإمام سمّى رسالة الإمام بالمذهبة؛ والسّرّ في ذلك أنّه أمر بأن تكتب هذه الرسالة بالذّهب، وأن تحفظ في خزانة الدّولة؛ ولذلك سُمِّيت بالرّسالة الذّهبية.

الأمر الثالث: إنَّ المأمون العبّاسي أَمر الجيل الحاضر عنده، وجيل المستقبل أن يقرأ هذه الرسالة، وأن يحفظها، وأن يتدبّرها؛ وهذا يكشف أنَّ لهذه الرسالة تميّزاً؛ وإلّا فقد كان الأطباء موجودين، وكان العلماء موجودين، وكانت الكتب الطبية موجودة؛ إذ المأمون أنشأ داراً تُسمّى ببيت الحكمة؛ وبيت الحكمة كان مكتبة كبيرة جلب المأمون فيها كتب اليونانيين وكتب الهنود وكتب الأديان الأخرى، وأمر بترجمتها؛ فهذا التراث كان موجوداً، ولكن لم نسمع أنَّ المأمون أمر بكتابة شيء بالذهب إلّا رسالة الإمام صلوات الله وسلامه عليه، وما أمر بتدبر كتاب إلّا كتاب ورسالة الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه؛ والسبب في ذلك أنَّ لهذه الرسالة أهمّية كبيرة جداً، وكانت تعتبر فتحاً علمياً في زمان الإمام الرضا ﷺ.

---

١ – الفصد : قال الشيخ الرئيس ابن سينا : هو استفراغ كلي يستفرغ الكثرة . والكثرة هي تزايد الاخلاط على تساويها في العروق . القانون ١ | ٢٠٤ .

٢ – الحجامة : كالفصد، وهو شق العرق واخراج الدم منه، لكنها تختلف عن الفصد بأنها تؤخذ من صغار العروق . المصدر السابق ١ | ٢١٢ .

٣– الرسالة الذهبية المعروفة بـ طبّ الإمام الرضا ﷺ تحقيق : محمد مهدي نجف: ج ١/ ص ٦٧.

٤ – المصدر نفسه/ ص ٦٧.

الوقفة الثانية: السبق إلى المضامين الطبية

ذكر بعض الباحثين أنّ هذه الرسالة تُعدّ أوّل ما كتب في الطِّب في التاريخ الإسلامي؛ ولم يكن في التاريخ الإسلامي مكتوب طبّيّ أبداً قبل الرّسالة الذَّهبية؛ وإنّما كان الموجود كتباً مترجمة؛ فقد ترجمت بعض الكتب من اليونانية، ومن الكتب الهندية؛ ولكن لم نجد مؤلّفاً مستقلاً من قبل عالم عربي مسلم، ولكن هذه الرّسالة هي أوّل مكتوب في المجال الطبّي بخطّ الإمام صلوات الله وسلامه عليه. وقد اهتمت هذه الرسالة بالطب الوقائي؛ والطب الوقائي يقسم على نوعين:

أ- **الطب الوقائي على مستوى الفرد:** - وهو أحد مكوّنات الصّحّة العامّة؛ وهو فنّ الوقاية من الأمراض، وإطالة العمر، وتقوية الصحة سواء من ناحية الاهتمام بالصحة الفردية مثل: التغذية، النظافة، الرياضة، الراحة ..... الخ ..مضافاً الى استعمال المركبات الحيوية مثل (اللقاحات، الأدوية، العلاج المبكر).

ب- **الطب الوقائي على مستوى المجتمع:** - وهو أحد مكونات الصّحّة العامة؛ وهو مشابه للطب الوقائي على مستوى الفرد من حيث المفهوم إلّا أنَّه يركّز ويهتم بالمجتمع بدل الفرد، ويشمل الصّحّة الشخصية للمجتمع (صحة البيئة) يضاف إليه الطب الوقائي لأفراد المجتمع وما يشمله من استعمال مركّبات حيوية لكلّ فرد في المجتمع أي وقاية المجتمع من الأمراض المُعدِية وانتشارها.

الوقفة الثَّالثة: الاهتمام بالرسالة الذَّهبية.

لو تتبعنا الكتب والمؤلفات التي تناولت هذه الرسالة فنجد أنَّ الّذينَ جاءوا بعد الإمام الرضا ﷺ اعتنوا بهذه الرسالة من حيث الشّرح، ومن حيث التّرجمة، ومن حيث المتابعة، حتَّى إنَّ الشيخ العلامة باقر شريف القرشي (رحمة الله عليه) ذكر في كتابه عن الإمام الرضا ﷺ عشرين شخصية تناولت هذه الرسالة بالشّرح، والدِّراسة، وآخر هذه الرسائل التي لم يتعرّض لها الشيخ القرشي؛ ولكنّها رسالة مشهورة دراسة للدكتور محمد علي البار[1].

الوقفة الرّابعة: الوقفة العلمية.

هذه الرسالة كما تُشكِّل أوَّل كتاب ورسالة طبّيّة في التاريخ الإسلامي فإنَّها تُشكّل أوَّل رسالة تكتب في الإسلام وفي غيره في مجال الطّب الوقائي؛ الذي يقف حاجزاً أمام حصول الأمراض؛ ولذلك أساساً هو ما كان كعلم مستقل ومفروز؛ وإنَّما في الآونة الأخيرة اعترف به كعلم مستقل، وأنَّ الأطباء الأجانب هو

١- محمد علي البار استشاري أمراض باطنية ومستشار قسم الطب الإسلامي في مركز الملك فهد للبحوث الطبية بجامعة الملك عبد العزيز ومدير مركز أخلاقيات الطب في المركز الطبي الدولي (IMC) بجدة. وكانت له عيادة خاصة سابقًا في منطقة باب مكة بجدة. تجاوزت مؤلفاته التسعين كتاب منها ما هو في الطب والأدب والتاريخ وعلم الأديان. موقع الدكتور محمد البار.

مبدع ومبتكر هذا النوع من الطب؛ بينما الروايات تتحدث عن أنَّ الإمام الرضا ﷺ هو أول من كتب في هذا المجال.

وتقول بعض الدِّراسات: أنَّه سنوياً ملايين من حالات الوفيات يرجع سببها إلى عدم تحاشي أسباب يمكن الوقاية منها؛ مثلاً استعمال أطعمة مضّرة للبدن؛ أو مثلاً إنسان يعيش ويعمل في أجواء شديدة الحرارة أو يعيش في أجواء شديدة البرودة؛ تسبّب له العديد من الأمراض الفتّاكة؛ ولذلك نجد بعض الدول جعلت الطّبّ الوقائي همًّا من همومها، وشجّعت على الفحص المُبكر في عدّة قنوات ومستشفيات ومراكز لاكتشاف الأمراض مبكراً؛ ولكن هذا الطب أسّس له، ورسم خارطته الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ؛ وهذه الخارطة تتناول أهمّ مناشئ المرض التي يمكن أن تُصيب الإنسان، وتقضي على حياته؛ ولذلك الإمام تكلّم عن كيفية التعامل مع أهمّ المجالات التي لها علاقة بصحّة الإنسان.

المجال الأول: التّعامل مع الأطعمة والأشربة؛ وهذه مسألة ابتلائية ركّز فيها الإمام على مجموعة قواعد مهمّة للغاية؛ منها:

القاعدة الأولى: الإشارة إلى مسألة الإفراط والتفريط.

وهنا يعطي الإمام كلمة جميلة يقول فيها ﷺ:« وَاعْلَمْ... أَنَّ الْجَسَدَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الْخَرَابِ إِنْ تُعُوهِدَتْ بِالْعِمَارَةِ وَالسَّقْيِ مِنْ حَيْثُ لَا تَزْدَادُ مِنَ الْمَاءِ فَتَغْرَقَ وَ لَا تُنْقَصُ مِنْهُ فَتَعْطَشَ دَامَتْ عِمَارَتُهَا وَ كَثُرَ رَيْعُهَا وَ زَكَا زَرْعُهَا وَ إِنْ تَغَافَلَتْ عَنْهَا فَسَدَتْ وَ نَبَتَ فِيهَا الْعُشْبُ وَ الْجَسَدُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ وَ التَّدْبِيرِ فِي الْأَغْذِيَةِ وَ الْأَشْرِبَةِ يَصْلُحُ وَ يَصِحُّ وَ تَزْكُو الْعَافِيَةُ فِيهِ وَ انْظُرْ يَا ... مَا يُوَافِقُكَ وَ مَا يُوَافِقُ مَعِدَتَكَ وَ يَقْوَى عَلَيْهِ بَدَنُكَ وَ يَسْتَمْرِئُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ فَقَدِّرْهُ لِنَفْسِكَ وَ اجْعَلْهُ غِذَاكَ»[1].

فكما أنَّ الأرض الخصبة تحتاج إلى عناية، وسقي، وعدم الإفراط في السقي حتَّى لا تتلف كذلك جسد الإنسان يحتاج الى تحديد وتقدير في الطَّعام والشَّراب.

القاعدة الثَّانية: ملاحظة التَّناسب بين الطعام وبين الجو والبيئة.

وقبل أن نشير إلى كلام الإمام ﷺ في هذا المجال نُبيّن حقيقة مهمَّة: أنَّ العلم الحديث اليوم والتجارة اتفقا؛ فقد أصبح العلم اليوم قادراً على إنتاج المحاصيل الزراعية في غير موسمها؛ فقد أصبح بالمقدور توفير محاصيل الشتاء في الصيف، ويمكن حصول العكس من خلال المحميات والعلاجات والأسمدة المتنوّعة.

١- الرسالة الذهبية المعروفة بـ طبّ الإمام الرضا ﷺ تحقيق : محمد مهدي نجف: ج ١/ ص ١٣

ويتصور البعض أنَّ هذه الظَّاهرة صحّيّة ولكن في كلمات الإمام ﷺ أنّ هذه مما يضر بصحّة الإنسان؛ قال ﷺ:« ثُمَّ كُلْ ... الْبَارِدَ فِي الصَّيْفِ وَالْحَارَّ فِي الشِّتَاءِ وَالْمُعْتَدِلَ فِي الْفَصْلَيْنِ عَلَى قَدْرِ قُوَّتِكَ وَشَهْوَتِكَ...»[1].

القاعدة الثَّالثة: التّدرّج في الأكل وحسب الطاقة.

قال ﷺ:« وَابْدَأْ فِي أَوَّلِ طَعَامِكَ بِأَخَفِّ الْأَغْذِيَةِ الَّذِي تُغَذِّي بِهَا بَدَنَكَ بِقَدْرِ عَادَتِكَ وَ بِحَسَبِ وَطَنِكَ وَ نَشَاطِكَ وَزَمَانِكَ وَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَكْلُكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، عِنْدَ مَا يَمْضِي مِنَ النَّهَارِ ثَمَانُ سَاعَاتٍ، أَكْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ ثَلَاثُ أَكَلَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ تَتَغَدَّى بَاكِراً فِي أَوَّلِ يَوْمٍ ثُمَّ تَتَعَشَّى فَإِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عِنْدَ مُضِيِّ ثَمَانِ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ أَكَلْتَ أَكْلَةً وَاحِدَةً وَ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى الْعِشَاءِ وَلْيَكُنْ ذَلِكَ بِقَدَرٍ لَا يَزِيدُ وَ لَا يَنْقُصُ وَ تَكُفُّ عَنِ الطَّعَامِ وَ أَنْتَ مُشْتَهٍ لَهُ وَ لْيَكُنْ شَرَابُكَ عَلَى أَثَرِ طَعَامِكَ»[2].

القاعدة الرابعة: خطورة المزج بين الأطعمة.

لقد أصبح التنافس من أجل تقديم وجبات شهية للزبائن باباً واسعاً لمزج الأطعمة بعضها ببعض؛ ويظن البعض أنَّ هذا باب للصحة والقوة مع أنّ الحقيقة عكس ذلك تماماً إذ يؤدّي هذا المزج إلى عدّة أضرار للجسد ولذا تجد الإمام الرضا صلوات الله عليه ينهى عن ذلك فيقول ﷺ:« وَ يَنْبَغِي أَنْ تَحْذَرَ ... أَنْ تَجْمَعَ فِي جَوْفِكَ الْبَيْضَ وَ السَّمَكَ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا وَلَّدَا الْقُولَنْجَ وَ رِيَاحَ الْبَوَاسِيرِ وَ وَجَعَ الْأَضْرَاسِ وَ التِّينُ وَ النَّبِيذُ الَّذِي يَشْرَبُهُ أَهْلُهُ إِذَا اجْتَمَعَا وَلَّدَا النِّقْرِسَ وَ الْبَرَصَ»[3].

القاعدة الخامسة: تنظيم النَّوم.

قال الإمام الرضا ﷺ:« وَ اعْلَمْ ... أَنَّ النَّوْمَ سُلْطَانُهُ فِي الدِّمَاغِ وَ هُوَ قِوَامُ الْجَسَدِ وَ قُوَّتُهُ وَ إِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ فَلْيَكُنْ اضْطِجَاعُكَ أَوَّلًا عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ انْقَلِبْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْسَرِ وَ كَذَلِكَ فَقُمْ مِنْ مُضْطَجَعِكَ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ كَمَا بَدَأْتَ بِهِ عِنْدَ نَوْمِكَ وَ عَوِّدْ نَفْسَكَ مِنَ الْقُعُودِ بِاللَّيْلِ مِثْلَ ثُلُثِ مَا تَنَامُ فَإِذَا بَقِيَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَتَيْنِ فَادْخُلِ الْخَلَاءَ لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَ الْبَثْ فِيهِ بِقَدْرِ مَا تَقْضِي حَاجَتَكَ وَ لَا تُطِيلُ فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الدَّاءَ الدَّفِينَ»[4].

١- الرسالة الذهبية المعروفة بـ طبّ الإمام الرضا ﷺ تحقيق : محمد مهدي نجف: ج ١/ ص ١٥.

٢- المصدر نفسه:ج ١/ ص ١٥.

٣- المصدر نفسه:ج ١/ ص ٦٣.

٤- المصدر نفسه:ج/ ١/ ص ٤٩.

القاعدة السادسة: مناهي مهمة.

ثم إنَّ الإمام ﷺ نهى عن بعض التصرّفات لما لها من ضرر على صحّة الإنسان؛ فقال ﷺ:

فَإِنَّ الْمَاءَ الْبَارِدَ بَعْدَ أَكْلِ السَّمَكِ الطَّرِي يُورِثُ الْفَالِجَ[1]

وَ أَكْلُ الْأُتْرُجِ[2] بِاللَّيْلِ يَقْلِبُ الْعَيْنَ وَ يُورِثُ الْحَوَلَ[3]

وَ إِتْيَانُ الْمَرْأَةِ الْحَائِضِ يُوَلِّدُ الْجُذَامَ[4] فِي الْوَلَدِ

وَالْجِمَاعُ مِنْ غَيْرِ إِهْرَاقِ الْمَاءِ عَلَى أَثَرِهِ يُورِثُ الْحَصَاةَ

وَالْجِمَاعُ بَعْدَ الْجِمَاعِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا غُسْلٌ يُورِثُ لِلْوَلَدِ الْجُنُونَ إِنْ غَفَلَ عَنِ الْغُسْلِ

وَكَثْرَةُ أَكْلِ الْبَيْضِ وَإِدْمَانُهُ يُورِثُ الطُّحَالَ وَرِيَاحاً فِي رَأْسِ الْمَعِدَةِ

وَالِامْتِلَاءُ مِنَ الْبَيْضِ الْمَسْلُوقِ يُورِثُ الرَّبْوَ وَ الِابْتِهَارَ[5] وَأَكْلُ اللَّحْمِ النِّيِّ يُورِثُ الدُّودَ فِي الْبَطْنِ

وَأَكْلُ التِّينِ يُقْمِلُ الْجَسَدَ إِذَا أُدْمِنَ عَلَيْهِ

وَشُرْبُ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَقِيبَ الشَّيْءِ الْحَارِّ وَ عَقِيبَ الْحَلَاوَةِ يَذْهَبُ بِالْأَسْنَانِ وَ الْإِكْثَارُ مِنْ أَكْلِ لُحُومِ الْوَحْشِ وَالْبَقَرِ يُورِثُ تَيْبِيسَ الْعَقْلِ وَ تَحْيِيرَ الْفَهْمِ وَ تَلَبُّدَ الذِّهْنِ وَ كَثْرَةَ النِّسْيَانِ[6].

الوقفة الثّالثة: الوقفة العقائديّة.

أغلب من قام بدراسة رسالة الإمام الرضا ﷺ المسماة بالرسالة الذهبية من غير أتباع أهل البيت ﷺ يتعرض الى مصادر هذه الرسالة، ومن أين أتى الإمام الرضا ﷺ بهذه المعلومات؟

وبعضهم قال: لا شك أنَّ الإمام الرضا ﷺ استفاد هذه المعلومات مما كتبه علماء اليونان، وأضاف عليه ما جرّبه بنفسه، وما وصله عن آبائه ﷺ، ودليلهم في ذلك أنَّ الإمام استخدم بعض تلك المصطلحات التي كان يستخدمها اليونانيون مثل الأمزجة الأربعة والطبائع الأربعة والعناصر الأربعة.

ولكن حينما يدخل في مطاوي الرسالة يتراجع عن هذا الرأي بسبب الدّقة الموجودة في الرسالة، ويستغرب من قابلية الإمام على هضم كتب اليونان بهذه السّرعة؛ لأنَّ الكتب اليونانية وغيرها قد نشطت في عهد المأمون كخطوة في مواجهة فكر أهل البيت صلوات الله عليهم، وقد دعا وصرف الكثير من الأموال

١- الفالج: قال الشيخ الرئيس في القانون ج ٢/ ٩٠:« هو ما كان من الاسترخاء عاما لاحد شقّي البدن طولا. فمنه ما يكون في الشق المبتدأ من الرقبة و يكون الوجه و الرأس معه صحيحين و منه ما يسري في جميع الشق من الرأس الى القدم.

٢- الاترج: قال ديقوريدس هو نبات تبقى ثمرته عليه جميع السنة. و الثمر بنفسه طويل، و لونه شبيه بلون الذهب، طيب الرائحة مع شيء من كراهة، و له بزرشبيه ببزر الكمثرى. انظر الجامع لمفردات الادوية و الاغذية ١/ ١٠.

٣- الحول: ظهور البياض في مؤخر العين، و يكون السواد من قبل الماق.

٤- الجذام: علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله، فيفسد مزاج الاعصاء، و هيأتها و ربما انتهى الى تآكل الاعضاء و سقوطها عن تقرح.

٥- البهر: بالضم. انقطاع النفس من الاعياء. المصدر السابق ١/ ٣٧٨.

٦-- الرسالة الذهبية / ص ٢٩.

من أجل ترجمتها وطباعتها ونشرها؛ وخاصة الكتب العقائدية والطبية.

وبعبارة أخرى في عصر المأمون كانت بداية عملية الترجمة؛ فإذا كانت بداية الترجمة كيف وصلت هذه الكتب لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، واستطاع هضم هذه المعلومات بحيث تسلّط على الطب والحال أنَّ هذه الكتب بعدُ لم تُنتشر؟

والكل يعرف أنَّ الطب يحتاج إلى وقتٍ طويل للتخصص، ويحتاج إلى معارف كثيرة حتَّى يتقن هذا العلم؟

ولكن جواب هذا الإشكال عند أتباع أهل البيت عليهم السلام سهل الحل؛ لأنَّ عقيدتهم هي قوله تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[1].

وكذلك عقيدتهم في الإمام كما وصفه الإمام الرضا عليه السلام:

«عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ الرِّضَا عليه السلام بِمَرْوَ، فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا، فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ، وَكَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عليه السلام، فَأَعْلَمْتُهُ فِي خَوْضِ النَّاسِ فِيهِ، فَتَبَسَّمَ عليه السلام، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ، جَهِلَ الْقَوْمُ، وَخُدِعُوا عَنْ أَدْيَانِهِمْ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، بَيَّنَ فِيهِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَالْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلاً، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾[2] وَأُنْزِلَ فِيهِ مَا أُنْزِلَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ -وَهِيَ آخِرُ عُمُرِهِ صلى الله عليه وآله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً** ﴾[3]، وَأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ، وَلَمْ يَمْضِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى بَيَّنَ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً عليه السلام عَلَماً وَإِمَاماً، وَمَا تَرَكَ شَيْئاً تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلاَّ بَيَّنَهُ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللهِ، وَمَنْ رَدَّ كِتَابَ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِهِ.

هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَمَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ، فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ؟ إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً، وَأَعْظَمُ شَأْناً، وَأَعْلَى مَكَاناً، وَأَمْنَعُ جَانِباً، وَأَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ، أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَالْخُلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً، وَفَضِيلَةً شَرَّفَهُ بِهَا، وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ، فَقَالَ: ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** ﴾[4]، فَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام، سُرُوراً بِهَا: ﴿ **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**

---

١ -- سورة يس/ الآية: ١٢.

٢- الأنعام:٣٨.

٣- المائدة:٣.

٤- البقرة:١٢٤.

﴾[1] قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:(لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ)[2]، فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ، ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَ الطَّهَارَةِ، فَقَالَ:﴿ **وَوَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَيَعْقُوبَ نٰافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنٰا صٰالِحِينَ* وَجَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا وَأَوْحَيْنٰا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرٰاتِ وَإِقٰامَ الصَّلاٰةِ وَإِيتٰاءَ الزَّكٰاةِ وَ كٰانُوا لَنٰا عٰابِدِينَ** ﴾[3]، فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ، قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّى وَرَّثَهَا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ جَلَّ وَ تَعَالَى:﴿ **إِنَّ أَوْلَى النّٰاسِ بِإِبْرٰاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4]، فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً، فَقَلَّدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيّاً عليه السلام بِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللهُ، فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَوْصِيَاءِ[5] الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلاَ:﴿ **وَقٰالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمٰانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتٰابِ اللهِ إِلىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ** ﴾[6]، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ عليه السلام خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لاَ نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلاَءِ الْجُهَّالُ؟ إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَ إِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلاَفَةُ اللهِ، وَخِلاَفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام، إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ، وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلاَحُ الدُّنْيَا، وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلاَمِ النَّامِي، وَفَرْعُهُ السَّامِي، بِ الْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلاَةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَتَوْفِيرِ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ، وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ، وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ.

الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلاَلَ اللهِ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللهِ، وَيُقِيمُ حُدُودَ اللهِ، وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ، وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ؛ الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ، وَهِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لاَ تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ؛ الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ، وَالسِّرَاجُ الزَّاهِرُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى، وَأَجْوَازِ[7] الْبُلْدَانِ وَالْقِفَارِ، وَلُجَجِ الْبِحَارِ؛ الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَأِ، وَالدَّالُّ عَلَى الْهُدَى، الْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى.

الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ[8]، الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ، وَالدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ، مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ؛ الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ، وَالْغَيْثُ الْهَاطِلُ، وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ، وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ، وَالْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ، وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ، وَالْغَدِيرُ وَالرَّوْضَةُ؛ الْإِمَامُ الْأَنِيسُ الرَّفِيقُ، وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ، وَالْأَخُ الشَّقِيقُ، وَالْأُمُّ الْبَرَّةُ

١- البقرة:١٢٤.

٢- البقرة:١٢٤.

٣- الأنبياء:٧٢ و ٧٣.

٤- آل عمران:٦٨.

٥- في المصدر:الأصفياء.

٦- الروم:٥٦.

٧- أجواز: جمع جوز، وهو من كلّ شيء وسطه.«الصحاح-جوز-٣:٨٧١».

٨- اليفاع:ما ارتفع من الأرض.«مجمع البحرين-يفع-٤:٤١٢».

بِالْوَلَـدِ الصَّغِـيرِ، وَمَفْـزَعُ الْعِبَـادِ فِي الدَّاهِيَـةِ النَّـآدِ[1] .

الْإِمَـامُ أَمِـينُ اللهِ فِي خَلْقِـهِ، وَحُجَّتُـهُ عَـلَى عِبَـادِهِ، وَخَلِيفَتُـهُ فِي بِـلَادِهِ، وَالدَّاعِـي إِلَى اللهِ، وَالـذَّابُّ عَـنْ حَـرَمِ اللهِ؛ الْإِمَـامُ الْمُطَهَّـرُ مِـنَ الذُّنُـوبِ، الْمُبَرَّأُ مِـنَ الْعُيُـوبِ، الْمَخْصُـوصُ بِالْعِلْـمِ، الْمَوْسُـومُ بِالْحِلْـمِ؛ نِظَـامُ الدِّيـنِ، وَعِـزُّ الْمُسْـلِمِينَ، وَغَيْـظُ الْمُنَافِقِـينَ، وَبَـوَارُ الْكَافِرِيـنَ؛ الْإِمَـامُ وَاحِـدُ دَهْـرِهِ، لاَ يُدَانِيـهِ أَحَـدٌ، وَلاَ يُعَادِلُـهُ عَـالِمٌ، وَلاَ يُوجَـدُ مِنْـهُ بَـدَلٌ، وَلاَ لَـهُ مِثْـلٌ، وَلاَ نَظِـيرٌ، مَخْصُـوصٌ بِالْفَضْـلِ كُلِّـهِ مِـنْ غَـيْرِ طَلَـبٍ مِنْـهُ لَـهُ وَلاَ اكْتِسَـابٍ، بَـلِ اخْتِصَـاصٌ مِـنَ الْمُفْضِـلِ الْوَهَّـابِ»[2].

١- النّآد: الدّاهية. «لسان العرب-نأد-٣: ٤١٣».

٢- البرهان في تفسير القرآن / ج ٤/ ص ٢٨٣.

شهر
ربیع الأول

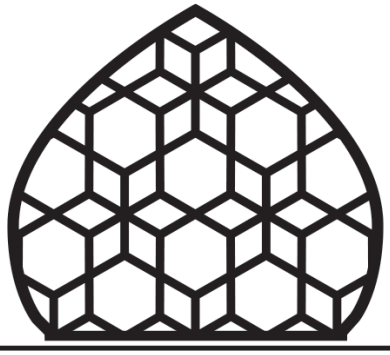

- الإمام العسكري عليه السلام أسير السجون
- أخلاق النبي الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله قبل البعثة والرعاية الإلهيّة
- من خصائص مدرسة الإمام الصادق عليه السلام

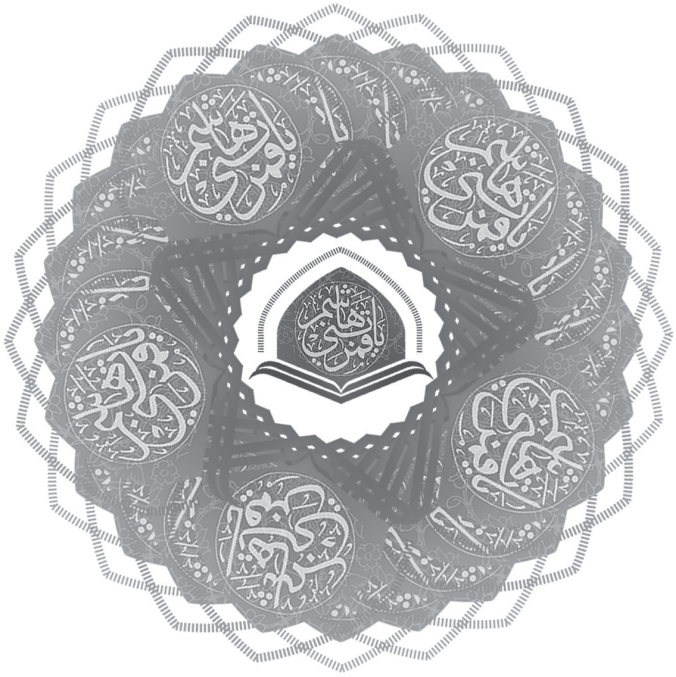

الإمام العسكري عليه السلام أسير السجون

عصام الفتلاوي

سُجن الإمام العسكري عليه السلام أكثر من مرّة وعلى يد أكثر من حاكم ظالم من بني العباس، فبعد شهادة أبيه الإمام الهادي عليه السلام سجن في بغداد على يد الحرس الأتراك، وما لبث مدة حتَّى أطلق سراحه وعاد إلى سامراء.

وسجن مرّة أخرى في الكوفة بأمر من المعتز العباسي، وتسرّب خبر سجنه إلى الناس، وكاتبه أبو الهيثم بكتاب جاء فيه: بلغنا خبر أقلقنا... فكتب عليه السلام إليه: «بعد ثلاث يأتيكم الفرج»، فقُتل المعتز في اليوم الثالث[1].

وذات مرّة حُبس الإمام عليه السلام عند علي بن نارمش وهو من أنصب الناس وأشدّهم على آل أبي طالب وقيل له: افعل به وافعل. فما أقام عنده عليه السلام إلّا يوماً حتَّى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً، فخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً[2].

وسجن عليه السلام أيضاً هو وأبو هاشم الجعفري في حبس المهتدي بن الواثق العباسي وإلى ذلك يشير أبو هاشم قائلاً: (كنت محبوساً مع أبي محمد عليه السلام في حبس المهتدي بن الواثق... فلمّا أصبحنا شغب الأتراك على المهتدي فقتلوه... وسلّمنا الله)[3].

وعن بعض المؤرّخين: إنَّ الإمام عليه السلام حبس في الحبس الذي في الجوسق عند صالح بن وصيف ومعه خمسة أو ستة، وذكروا أنَّ صالحاً وكّل به رجلين من أشر الناس، فصارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقال لهما صالح في ذلك؟!. فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة[4].

وفي بعض التواريخ أنَّ الإمام العسكري عليه السلام سجن في دار نحرير، في أيّام ملك المعتمد، وكان نحرير يضيّق عليه ويؤذيه[5]، كما أنّه عليه السلام سجن مع عدة من الطالبيين في سنة ٢٥٨هـ[6].

وفي بعض الأخبار: إنَّ المعتمد العباسي حين حبس الإمام عليه السلام عند علي بن جرين حبس جعفراً أخاه

١- الخرائج والجرائح: ج١/ ص٤٥١.
٢- الكافي: ج١/ ص٥٠٨.
٣- الغيبة للطوسي: ص٢٠٥.
٤- روضة الواعظين: ج١/ ص٢٤٨-٢٤٩.
٥- الكافي: ج١/ ص٥١٣.
٦- إعلام الورى: ص٣٧٣.

معه، وكان المعتمد يسأل علياً عن أخباره في كلّ وقت فيخبره أنّه يصوم النهار، ويُصلّي الليل.

فسأله يوماً من الأيام عن خبره ﷺ فأخبره بمثل ذلك. فقال له: امض الساعة إليه واقرءه منّي السلام، وقل له: انصرف إلى منزلك مصاحباً. قال علي بن جرين: فجئت إلى باب الحبس فوجدت حماراً مسرجاً، فدخلت عليه ﷺ فوجدته جالساً وقد لبس خفّه وطيلسانه وشاشته، فلما رآني نهض، فأدّيت إليه الرسالة فركب.

فلما استوى على الحمار وقف فقلت له: ما وقوفك يا سيدي؟.

فقال لي: «حتّى يجيء جعفر».

فقلت: إنَّما أمرني بإطلاقك دونه.

فقال لي: «ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعاً فإذا رجعت وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك».

فمضى وعاد، فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفراً لك؛ لأنّي حبسته بجنايته على نفسه وعليك، وما يتكلّم به. وخلى سبيله فصار معه إلى داره[1].

وهكذا كان الإمام العسكري ﷺ يُسجن بين الفترة والأخرى على يد الظلّام علّهم يمنعونه من القيام بأعباء الإمامة، أو يتخلّى الناس عنه. ولكنهم لم يعرفوا أنَّ إرادة الرَّب فوق كلِّ شيء، حيث أبى الله تعالى إلّا أن يُتمّ نوره وجعل أفئدة الناس يوماً بعد الآخر تهوي إليهم صلوات الله عليهم.

مكاتبات

بما أنَّ الإمام العسكري ﷺ قضى كثيراً من عمره الشّريف في السجون، أو تحت مضايقات السلطات ومراقباتهم الطويلة، لذا لم يكن بإمكان كثير من الشيعة التشرّف بمحضره والاستفادة منه مباشرة. وكان الإمام ﷺ يتواصل مع بعض الشيعة من خلال المكاتبات، منها:

١. ما يرتبط بالعقائد:

مثل ما ورد عن سهل بن زياد، سَهْلٌ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ع سَنَةَ خَمْسٍ وَ خَمْسِينَ وَ مِائَتَيْنِ قَدِ اخْتَلَفَ يَا سَيِّدِي أَصْحَابُنَا فِي التَّوْحِيدِ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ جِسْمٌ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ صُورَةٌ فَإِنْ رَأَيْتَ يَا سَيِّدِي أَنْ تُعَلِّمَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَقِفُ عَلَيْهِ وَ لَا أَجُوزُهُ فَعَلْتَ مُتَطَوِّلًا عَلَى عَبْدِكَ فَوَقَّعَ بِخَطِّهِ ع سَأَلْتَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَ هَذَا عَنْكُمْ مَعْزُولٌ اللهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ خَالِقٌ وَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ يَخْلُقُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَجْسَامِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ وَ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَ يُصَوِّرُ مَا يَشَاءُ وَ لَيْسَ بِصُورَةٍ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبْهٌ هُوَ لَا غَيْرُهُ لَيْسَ

١- بحار الأنوار: ج٥٠/ ص٣١٤.

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »[1].

وسُئل عليه السلام: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟.

فوقّع عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب»[2].

وقد سأل أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام عمن وقف على أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قائلاً : أتولاّهم أم أتبرّأ منهم ؟ فكتب عليه السلام:«لا تترحّم على عمك لا رحم الله عمك وتبرأ منه، أنا الى الله منهم بريء فلا تتولاهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد جنائزهم، ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً سواء من جحد إماماً من الله أو زاد إماماً ليست إمامته من الله أو جحد أو قال : قالت ثلاثة، إنّ جاحد أمر آخرنا جاحد أمر أولنا والزايد فينا كالناقص الجاحد أمرنا» [3].

٢.ما يرتبط بالمناقب: كما ورد عنه عليه السلام كتابه التالي:

« قَدْ صَعَدْنَا ذُرَي الْحَقَائِقِ بِأَقْدَامِ النُّبُوَّةِ وَالْوَلاَيَةِ، وَنَوَّرْنَا سَبْعَ طَبَقَاتِ أَعْلاَمِ الْفَتْوَى بِالْهِدَايَةِ. فَنَحْنُ لُيُوثُ الْوَغَى وَغُيُوثُ النَّدَى وَطَعَّانُ الْعِدْى، وَفِينَا السَّيْفُ وَالْقَلَمُ فِي الْعَاجِلِ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ وَالْحَوْضِ فِي الآجِلِ. وَأَسْبَاطُنَا حُلَفَاءُ الدِّينِ، وَخُلَفَاءُ النَّبِيِّينَ وَمَصَابِيحُ الاُمَمِ وَمَفَاتِيحُ الْكَرَمِ. فَالكَلِيمُ أُلْبِسَ حُلَّةَ الاصْطِفَاءِ لِمَا عَهِدْنَا مِنْهُ الْوَفَاءَ، وَرُوحُ الْقُدُسِ فِي جِنَانِ الصَّاغُورَةِ ذَاقَ مِنْ حَدَائِقِنَا الْبَاكُورَةَ »[4].

٣.ما يرتبط بالدعاء:

كتب عليه السلام إلى بعض مواليه: «ادع بهذا الدعاء: يا أسمعَ السامعين، ويا أبصَرَ المبصرين، ويا أنظرَ الناظرين، ويا أسرعَ الحاسبين، ويا أرحمَ الراحمين، ويا أحكمَ الحاكمين، صلِّ على محمد وآل محمد، وأوسِعْ لي في رزقي، ومُدّ لي في عمري، وامنن عليَّ برحمتك، واجعلني ممّن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل به غيري».

قال أبو هاشم: فقلت في نفسي: اللهم اجعلني في حزبك وفي زمرتك، فأقبل عليَّ أبو محمد عليه السلام، فقال: «أنت في حزبه وفي زمرته، إذ كنت بالله مؤمناً ولرسوله مصدقاً وبأوليائه عارفاً ولهم تابعاً، فأبشر ثم أبشر»[5].

٤ . ما يرتبط بالوصايا العامة:

وقد اشتملت وصايا الإمام ورسائله، بيان الأحكام الشرعيّة كما بيّنت قواعد التعامل مع الآخرين، وكان ذلك بمثابة الطّريق القويم الذي يسير عليه شيعته في إقامة علاقاتهم مع ملّتهم، ومع الأطياف

١- الكافي: ج١ ص١٠٣.

٢- المصدر نفسه: ج١/ ص٩٥.

٣- بحار الأنوار / ج ٥٠/ ص ٢٧٥.

٤- المصدر نفسه: ج٢٦/ ص٢٦٤-٢٦٥.

٥- كشف الغمة: ج٢/ ص٤٢١.

الأخرى من أصحاب الديانات، ومن هذه الوصايا :

قوله ﷺ : « أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد ﷺ، صَلّوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسَّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتّقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جُرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح فإنّه ما قيل فينا من حُسْن فنحن أهله وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهيرٌ من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، فإنّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصّيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام »[1].

وقال ﷺ : « أمرناكم بالتختّم في اليمين ونحن بين ظهرانيكم والآن نأمركم بالتختم في الشمال لغيبتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا وأمركم فإنّه أوّل دليل عليكم في ولايتنا أهل البيت ».

وقال ﷺ لهم : «حدثوا بهذا شيعتنا» [2].

وكتب الإمام الحسن العسكري ﷺ وصيّته إلى أحد أعلام أصحابه، هو علي بن الحسين بن بابويه القمي جاء فيها :

« أوصيك ... بتقوى الله وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة فإنّه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر والحلم عند الجهل، والتفقّه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى : ﴿ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ واجتناب الفواحش كلّها، وعليك بصلاة الليل فإنّ النبي ﷺ أوصى علياً ﷺ فقال: يا علي عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منّا، فاعمل بوصيّتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتّى يعملوا به، وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإنّ النبي ﷺ قال : أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج ... » [3].

٤ وصوّر الإمام الحسن العسكري ﷺ الواقع الذي كان يعيشه وما كان يحتويه من اختلاف الناس ومواليه بتوقيع خرج عنه ﷺ إلى بعض مواليه حيث طلب من الإمام ﷺ إظهار الدليل، فكتب أبو محمّد ﷺ :

«وإنّما خاطب الله عَزّ وجَلّ العاقل وليس أحد يأتي بآية ويظهر دليلاً أكثر ممّا جاء به خاتم النبيين

١- تحف العقول : ص٤٨٧- ٤٨٨.

٢-المصدر نفسه: ص٤٨٧- ٤٨٨.

٣- شعب الإيمان : ج٢ / ص٤٣ ، وعنه في الأنوار البهية، القمي : ٣١٩.

وسيّد المرسلين، فقالوا : ساحر وكاهن وكذّاب، وهدى الله من اهتدى، غير أن الأدلّة يسكن إليها كثير من الناس وذلك أن الله عَزَّ وجَلَّ يأذن لنا فنتكلّم، ويضع ويمنع فنصمت، ولو أحبّ أن لا يظهر حقاً ما بعث النبيين مبشّرين ومنذرين يصدعون بالحقّ في حال الضعف والقوّة، وينطقون في أوقات ليقضي الله أمره وينفذ حكمه. الناس في طبقات شتى، والمستبصر على سبيل نجاة متمسك بالحقّ، متعلق بفرع أصيل غير شاك ولا مرتاب، لا يجد عنه ملجأ، وطبقة لم تأخذ الحقّ من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه، وطبقة استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الردّ على أهل الحقّ، ودفع الحقّ بالباطل، حسداً من عند أنفسهم فدع من ذهب يذهب يميناً وشمالاً فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جَمعها في أهون السعي، ذكرت ما اختلف فيه موالي فإذا كانت الوصيّة والكبر فلا ريب ومن جلس مجالس الحكم فهو أولى بالحكم، أحسن رعاية من استرعيت وإيّاك والإذاعة وطلب الرياسة فإنهما يدعوان إلى الهلكة ».

وكتب عليه السلام لعلي بن الحسين القمي رحمه الله يوصيه فيها بانتظار الفرج، فقال عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلّا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين. أما بعد: أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين القمي وفّقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ فإنه لا تُقبل الصلاة من مانع الزكاة. وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[1]، واجتناب الفواحش كلها. وعليك بصلاة الليل؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخف بصلاة الليل فليس منا، فاعمل بوصيتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتَّى يعملوا عليه. وعليك بالصبر وانتظار الفرج؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله، قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتَّى يظهر ولدي الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وآله أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فاصبر يا شيخي ومعتمدي أبا الحسن، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فـ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2]، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير»[3].

١- سورة النساء: ١١٤.

٢- سورة الأعراف: ١٢٨.

٣- الأنوار البهية للشيخ عباس القمي رحمه الله: ص٣١٩-٣٢٠.

ومن وصايا الإمامُ العسكريُّ عليه السلام- لشيعَتِه -:« أُوصيكُم بتَقوى الله، والوَرَعِ في دِينِكُم، والاجتِهادِ للَّه، وصِدقِ الحَديثِ، وأداءِ الأمانَةِ إلى مَن ائتَمَنَكُم مِن بَرٍّ أو فاجِرٍ، وطُولِ السُّجودِ، وحُسنِ الجِوارِ، فبِهذا جاءَ محمّدٌ صلى الله عليه وآله، صَلُّوا في عَشائرِهِم واشهَدوا جَنائزَهُم، وعُودُوا مَرضاهُم، وأدُّوا حُقوقَهُم ؛ فإنَّ الرّجُلَ مِنكُم إذا وَرِعَ في دِينِه، وصَدَقَ في حَديثِه، وأدَّى الأمانَةَ، وحَسَّنَ خُلقَهُ مَع النّاسِ، قيلَ : هذا شِيعيٌّ، فيَسُرُّني ذلكَ. اتَّقُوا الله وكُونوا زَيناً ولا تَكُونوا شَيناً، جُرُّوا إلَينا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وادفَعوا عَنّا كُلَّ قَبيحٍ ؛ فإنّهُ ما قِيلَ فِينا مِن حَسَنٍ فنَحنُ أهلُهُ، وما قِيلَ فِينا مِن سُوءٍ فما نَحنُ كذلكَ . لَنا حَقٌّ في كِتابِ الله، وقَرابَةٌ مِن رسولِ الله، وتَطهيرٌ مِن الله لا يَدَّعِيهِ أحَدٌ غَيرُنا إلّا كَذّابٌ . أكثِروا ذِكرَ الله وذِكرَ المَوتِ وتِلاوَةَ القرآنِ والصَّلاةَ عَلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ؛ فإنّ الصَّلاةَ على رسولِ الله عَشرُ حَسَناتٍ . احفَظوا ما وَصَّيتُكُم بِهِ، وأستَودِعُكُمُ الله، وأقرأُ عَلَيكُمُ السّلامَ »[1].

أولاده عليهم السلام

لم يخلّف الإمام العسكري عليه السلام سوى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وقد أخفى الله تعالى مولد الإمام الحجة عليه السلام وستر أمره، كما أخفى ولادة موسى عليه السلام، وذلك لصعوبة الظروف وجور السلطان الذي قد جعل بعض العيون في دار الإمام لتجسس حاله، وبعد استشهاد الإمام عليه السلام بعث السلطان من يفتش داره ويطلب أثر ولده، وجيء بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهنّ، فأخبرت بعضهنّ عن احتمال حمل إحداهنّ، فأودعت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه وبعض النساء.

حكّام عصره عليهم السلام

عاش الإمام العسكري عليه السلام عهد العديد من الحكّام الظلمة وطغاة بني العباس، فعاش بقيّة ملك المعتز، ثم ملك المهتدي، ثم ملك أحمد بن جعفر المتوكل المعروف بالمعتمد.

وقد قتل المهتدي على يد الجنود الأتراك، لأنّه لم يخضع لهم، وكان قد عزم على قتل الإمام العسكري عليه السلام فأهلكه الله تعالى.

وكان المعتمد العباسي مشغولاً باللذائذ والملاهي والمفاسد ممّا جعله شيئاً فشيئاً ينحى عن الإدارة ويبقى مجرد صورة للحاكم، بينما كان أخوه أحمد الموفق هو الذي يدير شؤون البلاد، وقد شهدت البلاد في أيّام المعتمد فِتناً لا تحصى، ولما توفّي الموفق حل محلّه ابنه أحمد المعتضد الذي سار على نهج أبيه في الظلم والجور، وبقي المعتمد على ذلك حتّى سُم بالشّراب.

١- تحف العقول : ص٤٨٧ .

شهادته عليه السلام

استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ للهجرة مسموماً على يد المعتمد العباسي، ولما ذاع صيت شهادته ضجّت سامراء ضجة واحدة، وعطّلت الأسواق، وركب بنو هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والمعدّلون وسائر الناس إلى جنازته، ولما جهّز عليه السلام بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل للصلاة فما كان منه إلا أن كشف عن وجهه وعرضه على بني هاشم والقواد والكتّاب والقضاة وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه[1]، ولكن هذه الخطة لم تخفَ على الناس وعرفوا بأنَّ الإمام عليه السلام توفّي مسموماً شهيداً.

وقد صلى على جنازة الإمام عليه السلام ولده المهدي المنتظر عليه السلام في قصّة مشهورة، فعرف الناس جميعاً أن الإمام المهدي عليه السلام قد وُلد وله من العمر خمس سنوات ثم لما هجم الأعداء لاعتقال الإمام عليه السلام غاب الإمام عليه السلام بأمر الله تعالى إلى أن يأذن له بالظهور.

١- أعيان الشيعة: ج٢/ ص٤٣.

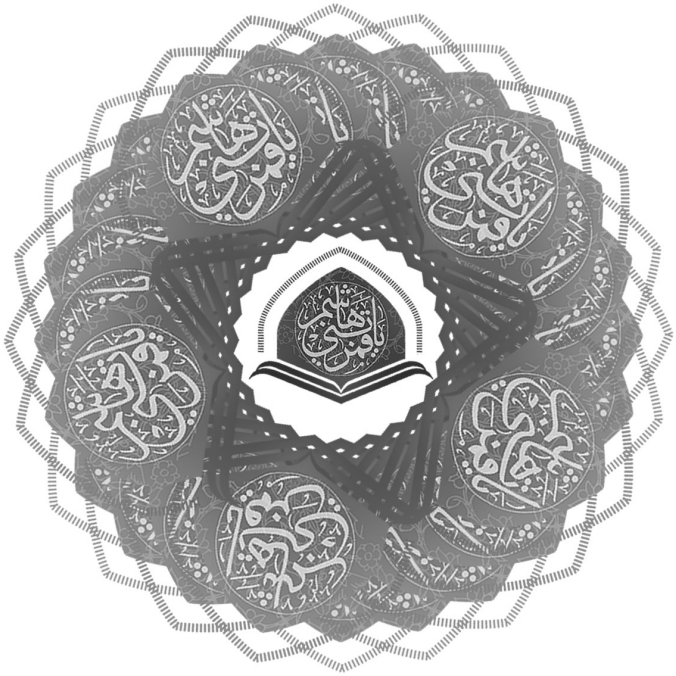

أخلاق النبي الأعظم محمّد ﷺ قبل البعثة والرعاية الإلهيّة

أ.د. جعفر محمّد أيّوب

المقدّمة

كان الرسول الأكرم ﷺ بشرًا لا كالبشر، نفسه مفطورة على الحبّ والخير، ومنبته أشرف منبت وأفضل معدن، وجيناته من أفضل الجينات التي يعود إليها أصل الإنسان، وهو أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، من رآه هابه، أخلاقه وشخصيّته لها من العظمة ما لا يمكن لأي باحث أن يحيط بها؛ لما لها من السّمو والطّهارة والعصمة والصّفاء والذَّكاء والرَّحمة والجلال والعظمة، ما يجعل أي باحث متهيبًا أن يبذل كل مجهوده لإبراز بعض من الفيوضات الإلهيّة والعناية الربانيّة لشخصيته وأخلاقه، ثم يكتشف أنَّ ما كتبه ما هو إلا هامش قليل من تلك الرّعاية الإلهيّة والفيوضات الرَّبّانيّة لنبيه الأعظم ﷺ.

البحث عن الرّعاية الإلهيّة في أخلاق النبي الأعظم وصفاته يمثّل حركة علميّة وفكريّة في غاية من الأهميّة لفتح نقاش عن سيرة الرسول الأكرم ﷺ، وتنقيتها من القصص المسيئة والأساطير الخياليّة والروايات المزوّرة التي نُسبت إلى النّبي الأعظم ﷺ، فخلطت الباطل بالحق، والفاسد بالصحيح، وأعطت صورة مشوّهة لأخلاق النبي الأكرم، وتنسب إليه فعل بعض الرّذائل والقبائح، والله سبحانه وتعالى قد قال فيه ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1]، وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء والرسل.

ومع أهميّة البحث، فإنّ هذا الجهد، بحسب طبيعة الدّراسة وقصرها، وبحدّ علم الباحث بموضوع الدراسة سوف يتركّز على رصد بعض مظاهر الرعاية الإلهيّة قبل البعثة من طريق الاهتداء بالآيات القرآنية وروايات أهل البيت ﷺ خزان علم الله، والأعلم بسيرة جدهم المصطفى، ودورها في الكمال الأخلاقي لبعض المحطات من سيرة حياة الرسول الأكرم ﷺ من نسبه، ومولده، وطفولته، وشبابه؛ لذا اقتصرت الدراسة على تحديد مفهوم الرعاية الإلهيّة، والتعرف إلى بعض مظاهر الرعاية الإلهيّة ودورها في الكمال الأخلاقي للنبي الأعظم ﷺ.

وقد كان المنهج الذي اعتمدناه لهذه الدراسة خارجيًا تاريخيًا، يتتبّع مواقف النبي محمد ﷺ وأقواله من جهة، وداخليًا من جهة أخرى يستلهم أصول التحليل في الكشف عن مضامين الآيات القرآنيّة وأقوال آل

١- القلم، ٤.

البيت التي تعكس حياة النبي الأعظم محمد ﷺ بصورة واضحة وكاملة وصادقة، دون الوقوع في التأويل.

وقد حرصنا على المشاركة في مؤتمر الرسول الأكرم ﷺ بهذه الدّراسة تحت عنوان (أخلاق النبي الأعظم ﷺ قبل البعثة والرعاية الإلهيّة)، ذلك لأنّ الحاجة أصبحت ضرورية وملحّة؛ لدفع حالات التشويه والإساءة لنبينا الأعظم ﷺ في الإعلام المعادي للإسلام من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ دراسة سيرة المصطفى ﷺ قبل البعثة من خلال المرويّات من غير أهل البيت عليهم السلام قد تعمل على تشويه صفات النبي وأخلاقه بما لا يليق بمقام النبوة وخاتم الأنبياء وحامل الرسالة الإلهيّة، في حين إنَّ دراسة أخلاقه من خلال النّصوص القرآنيّة ومرويّات أهل البيت الصحيحة تنسجم مع سلوكه وصفاته وأخلاقه وتليق بمقامه وعلوّ أخلاقه كما وصفه القرآن الكريم.

إشكاليّة الدِّراسة

رسم بعض المؤرخين صورًا لصفات الرسول الأعظم وأخلاقه قبل البعثة تختلف عمّا يتحدّث عنه القرآن الكريم والعترة الطاهرة، واتخذوا الطبيعة البشريّة لرسول الله ﷺ دافعًا ذرائعيًا ومسوّغًا للإساءة لمقام النبي ﷺ وتشويه صورته وقبول الروايات التي تتجرأ بالإساءة وتبالغ في الأذى لشخص رسول الله، بأن النبي ﷺ بشر وكلّ البشر يخطأ ويسهو وينسى ويغفل، ويمكن أن يميل عاطفيًا كما هو طبع البشر.

إنَّ حكمة الله واصطفاءه ورعايته لنبيّه الأعظم محمد ﷺ لحمل الرسالة الإلهيّة وإرساله للبشريّة تقتضي ذلك الكمال الأخلاقي العظيم لنبيّه وتمتّعه بصفات خاصّة تؤهله لحمل أعباء الدعوة وتبليغ الرسالة قبل البعثة، وإنَّ جميع ما يصدر عنه قبل البعثة وبعدها لا يمكن أن يتسرّب إليه الخطأ والاشتباه والنسيان والغفلة والميول الشهواني، مهما كان منشؤه، وإنَّ إيجاد المسوّغات لقبول الشبهات المثارة حوله قبل البعثة، مثل: فعل الذنوب، والنسيان، والغفلة، والظن السيء، يزعزع ذلك اليقين ولا يطمئن الناس إلى تأهل النبي الأعظم لحمل الرسالة الإلهيّة، وهو خاتم الأنبياء وأعظمهم، ويعطي فرصة لأعداء الإسلام والقوى الاستكباريّة لاستغلال هذه الاساءات لشخصيّة النبي العظيمة.

مما يولّد إشكالًا وشعورًا بالتناقض لقارئ السيرة المشوّهة عن النبي الأعظم ﷺ، إذ يظهر كأنّه شخص أقل من مستوى الإنسان العادي في أخلاقه وصفاته قبل البعثة، والصّورة التي يعرضها القرآن الكريم والسنة المطهرة لأهل البيت عليهم السلام، ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1]، وعلى أنّه مثل أعلى في الخلق في جميع مراحل حياته وفي كلّ لحظة من لحظات حياته قبل البعثة وبعدها.

لذا، فإنَّ هذه الدّراسة تحاول البحث عن بعض مظاهر الرعاية الإلهيّة للنبي محمّد ﷺ قبل البعثة،

١- القلم، ٤.

وتسعى إلى الكشف عن دور الرعاية الإلهيّة في الكمال الأخلاقي للنبي محمّد ﷺ قبل البعثة؛ فتردّ الشبهات المثارة على النبي ومعالجة الإشكالات الأخلاقيّة بحقّ النبي محمد ﷺ قبل البعثة.

وقد اخترنا موضوع (أخلاق النبي محمّد ﷺ قبل البعثة والرعاية الإلهيّة) موضوعًا للبحث ذلك لأنَّ ربّ العالمين قد أشار إلى ميزة الخلق العظيم للنبي الأعظم ﷺ في محكم كتابه، ووصف رسوله بأنَّه على خلق عظيم، وأنَّ النبي ﷺ أولاها عناية كبرى، وجعلها الهدف والغاية من بعثته ورسالته، فقال: «إنَّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»[1]. وردّ الاساءات والشبهات التي لا تليق بمقام النبي وأخلاقه العظيمة التي تتّصف بأعلى درجات الطّهر والحكمة والشجاعة والعصمة قبل البعثة وبعدها.

من السياق المتقدّم، يمكن طرح التّساؤلات الآتية: ما مفهوم الرّعاية الإلهيّة؟ وما مظاهر الرعاية الإلهيّة للنبي محمّد ﷺ قبل البعثة؟ وما دورها في الكمال الأخلاقي للنبي محمّد ﷺ ؟

مصطلحات الدّراسة

سوف نوضّح مصطلحات الدِّراسة ليكون القارئ على بيّنة ممّا ستتضمّنه الدّراسة، ونعني بمصطلحات الدّراسة هنا المفاهيم المتّصلة بموضوعها الأساس التي يتوقّع تكرار اعتمادها في الدّراسة، كما يتوقّع فهم نتائج الدّراسة على معرفة حدود دلالات كلّ مفهوم من تلك المفاهيم. ويمكن عرض المصطلحات على النحو الآتي:

أ-الأخلاق

الأخلاق في اللغة كما جاء في المعجم الوسيط هي جمع «خُلُق» بضمّتين، وتعني حالة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شرّ من غير فكر ورويّة[2] وتعني مجموعة من صفات الإنسان النفسيّة والسلوكيّة التي توصف بالحسن أو القبح.

وجاء في لسان العرب أنَّ الخلق الدّين والطبع والسجية، وحقيقته أنَّه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسها وأوصافها المختصّة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظّاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة[3]. وبعبارة أخرى فإنَّ الأخلاق يوجّهها الدّين وقوامها الطبع والسّجيّة.

ويرى مطهري أنَّ الأخلاق هي عبارة عن مجموعة خصال وسجايا وملكات اكتسابية قبلها الإنسان باعتبارها أصولاً أخلاقيةً. أو بعبارة أخرى هي إطار وقالب روحي صنعت فيه[4].

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج١٦، ص٢١٠.

٢- المعجم الوسيط، مادة خلق.

٣- بن منظور، لسان العرب، مادة: خلق، حـ٢، ص ١٢٤٤-١٢٤٥

٤- مطهري، فلسفة الأخلاق، ص١٩.

ولـو تتبّعنـا معنـى الأخـلاق عنـد أهـل اللغـة لوجدنـا أنَّهـا تؤكّـد السّـجيّة الخلقيّـة والعفويّـة، والطبـع والمـروءة والدِّيـن، وتشـترط أن تصـدر الأفعـال بسـهولة مـن غـير فكـر ولا رويّـة[١].

تأسيسًـا عـلى مـا تقـدّم مـن التعريفـات لمفهـوم الأخـلاق، فـإنَّ معنـى الأخـلاق يمكـن أن يتحدّد مـن خلال مبدأيـن: المبـدأ الأول هـو مبـدأ السّـجيّة والطّبع والرّسـوخ والثّبات والـدّوام، أما المبـدأ الثاني هو مبـدأ التلقائية حيـث يجـري السـلوك بسـهولة ومـن غـير تكلّـف ولا فكـر. وهـذا يعني أنَّ الأخـلاق هـي مجموعـة مـن النوايـا والسـلوك، تصـدر مـن الإنسـان الخلـوق بشـكلٍ تلقائي، تمثـل فعل الخـير، ويوجههـا الدّين.

ب- الرعاية الإلهيّة

الرعايـة في اللغـة كـما جـاء في المعـاني الجامـع تعنـي الحمايـة، أو الدّعـم أو المباركـة أو الموافقـة، ومصدرهـا رَعَـى، [٢] وفي المعجـم الوسـيط تعنـي المحافظـة، [٣] وفي لسـان العـرب تعنـي يحـوط ويحفـظ [٤].

نسـتخلص مـن هـذه المعـاني المتقدمـة للرعايـة بأنّهـا أشـمل مـن أن تعنـي الحفـظ والتـي تختـص بدفـع ضرر مـا، أو المباركـة والتـي تختـص بالتأييـد فقـط، وإنَّـما تعنـي كلّ مـا تقـدّم مـن الحفـظ والدعـم والحمايـة والعنايـة؛ لأنَّ الرعايـة تعنـي العنايـة الشّـديدة والمتابعـة، ويتعـدّى ذلـك الحفـظ فقـط. وقـد ورد في موسـوعة المصطلحـات الإسـلاميّة (أنَّ الفـرق بـين الحفـظ والرّعايـة هـو أن نقيـض الحفـظ هـو الإضاعـة، ونقيـض الرّعايـة هـو الإهمـال)[٥]، وعـلى هـذا يكـون الحفـظ هـو رفـع المكـاره عـن الـشّيء لئـلا يهلـك، والرعايـة تعنـي فعـل السـبب الـذي يـصرف المكـاره عنـه. وفي قواميـس ومعاجـم اللغـة، الرعايـة تعنـي فعـل السـبب الـذي يـصرف المكـاره عنـه ومـن ثـم يقـال فـلان يرعـى العهـود بينـه وبـين فـلان أي يحفـظ الأسـباب التـي تبقـى معهـا تلـك العهـود[٦].

وقـد ورد ذكـر الرّعايـة في القـرآن الكريـم ﴿ **فَـمَا رَعَوْهَـا حَـقَّ رِعَايَتِهَـا** ﴾[٧] فالرّعايـة يمكـن أن تكـون رعايـة الأعـمال ورعايـة الأحـوال ورعايـة الأوقـات بحفظهـا عـن إيقـاع الخلـل فيهـا، وفي قولـه تعـالى ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللهَ وَآمِنُـوا بِرَسُـولِهِ يُؤْتِكُـمْ كِفْلَـيْنِ مِـنْ رَحْمَتِـهِ**﴾[٨] أي نصيبـين نصيبًـا مـن معـارف الصفـات الفعليّـة ونصيبًـا مـن معـارف الصفـات الذّاتيّـة ﴿**وَيَجْعَـلْ لَكُـمْ نُـورًا تَمْشُـونَ بِـهِ**﴾ وهـو نـور الكشـف

١- انظر، القاموس المحيط، فصل الخاء: باب القاف، ص ٢٣٦؛ ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٥١.

٢- مجمع اللغة العربية، المعاني الجامع، https://www.almaany.com/ar/dict/ar

٣- المعجم الوسيط، مادة رعى، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

٤- ابن منظور، لسان العرب، مادة رعى، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

٥- موسوعة المصطلحات الإسلامية، https://terminologyenc.com/ar/home

٦- ابو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، https://www.arabdict.com/ar

٧- الحديد، ٢٧.

٨- الحديد، ٢٨.

والمشاهدة جعله للمؤمن على تقواه وإيمانه برسوله الأعظم ﷺ، وقيل هو نور العلم النافع الذي يتمكّن معه من السير في الحضرات الإلهيّة كما يشير إليه وصفه بقوله عز وجل: ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ وكل ذلك في الحقيقة فضل الله تعالى[1].

أمّا الرّعاية الإلهيّة لأنبيائه في القرآن فقد أشار إليها في كثير من آياته المباركة، التي خصّها الله تعالى بأنبيائه ورسله ﷺ، وتحدثت عن بعض من جوانب هذه الفيوضات الإلهيّة، ومن هذه النماذج « أيّدتك بروح القدس»، « واصطنعتك لنفسي»، « إنّا خلصناهم» هذه بعض من تجليّات الرعاية الإلهيّة لأنبيائه، وغيرها الكثير سيأتي عليها الكلام في متن البحث. والخلاصة أنّ تعريف الرعاية الإلهيّة لأنبيائه تتضمّن معاني الاصطفاء والتأييد والحفظ والمباركة والدّعم والتّنشئة.

من هذا المنطلق، فإنّ الرعاية الإلهيّة يمكن أن تعني في واقعها فيوضات ربّانيّة خاصّة لنخبة من أوليائه اقتضتها حكمة الله سبحانه وتعالى لهم.[2] وعليه يمكننا القول إنَّ الرّعاية الإلهيّة هي الفيوضات الإلهيّة والإمدادات الغيبيّة والألطاف الربانيّة على نخبة من أوليائه الذين اصطفاهم بحكمته فتؤهلهم لحمل لواء الرسالة الإلهيّة وتساعدهم لتهيئة الظروف المناسبة لنشر دعوته واستقامة الحق فيهم. ويمكن الاهتداء إلى بعض من جوانب هذه الرعاية الإلهيّة لأوليائه النجباء من خلال النصوص القرآنيّة ومن روايات أهل البيت ﷺ خزائن علم الله.

مظاهر الرعاية الإلهيّة ودورها في الكمال الأخلاقي للنبي الأعظم.

من دلالة التعريف للرعاية الإلهيّة لصفات وأخلاق النبي الأعظم ﷺ يمكن الاهتداء إلى بعض من مظاهر الرعاية الإلهيّة من الآيات القرآنية وروايات أهل البيت ﷺ. وسوف ننطلق لدراسة بعض هذه المظاهر والتعرف إلى دورها في الكمال الأخلاقي للنبي الأعظم ﷺ قبل البعثة، بدراسة سيرة النبي الأعظم ﷺ قبل البعثة على النحو الآتي : أولًا: نسبه، ثانيًا: مولده، ثالثًا: طفولته، رابعًا: شبابه.

أولًا: نسبه

من رعاية الله لنبينا الأكرم ﷺ فقد اصطفاه الله عزّ وجلّ من خير الأنساب من العرب، والنبي الأعظم محمد ﷺ غنيّ عن تعريف نسبه، فهو(محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب – واسمه شيبة – بن هاشم – واسمه عمرو – بن عبد مناف – واسمه المغيرة – بني قصي – واسمه زيد – بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن كنانة بن خزيمة بن مدركة– واسمه عامر – بن إلياس بن مضر بن عامر

١– شهاب الدين الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٢٧، ص١٩٥.

٢– ضياء زين الدين، علي في التزام الحق، https://www.haydarya.com/maktaba_moktasah

بن نزار بن معد بن عدنان)[1]. بن أد بن أدد بن هميسع بن يشجب بن أمين بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبرهيم بن تاريخ بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ - وهو أدريس النبي- بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم [2]عليه السلام فهو باختصار ينتسب مع بقيّة أجداده الطاهرين إلى النبي إبراهيم عليه السلام.

أما أمّه فهي من أشرف نساء قريش نسبًا وموضعًا، فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله « كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري »[3].

وقد روي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: « إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِم، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِم» [4].

وجاء عن الإمام الهادي عليه السلام فِي الزِّيارَةِ الجامِعَةِ الكَبيرَةِ، « السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ ....، وَسُلالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعُتْرَةَ خِيرَةِ رَبِّ العالَمِينَ»[5] والسلالة تقال للشيء ينفصل من شيء آخر، والمراد من السلالة هنا الأولاد، لأن الأبناء جزء من الآباء[6]، والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله من سلالة الأنبياء العظام عليهم السلام وذراريهم، وتميّز النبي الأعم صلى الله عليه وآله بأخلاقه العظيمة ومكارم أخلاقه ناتج عن طهارة أصله ومولده.

والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام أولاد الأنبياء أمثال: النّبيّ نوح عليه السلام والنّبيّ إبراهيم عليه السلام والنّبيّ إسماعيل عليه السلام فكانوا يتناقلون من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة، ولم يتلوّث آباؤهم الأطهار عليهم السلام بالشرك أبداً، بل كانوا في جميع سلسلة مراتبهم من أهل التوحيد والإيمان، كما ورد هذا المعنى في فقرات زيارة الوارث، المرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام « أشهد أنّك كنتَ نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهليّةُ بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها[7].

وخاتم الأنبياء والرّسل محمد صلى الله عليه وآله صفوة الأنبياء والمرسلين، والاصطفاء أخذ صفوة الشيء، ويقرب من معنى الاختيار، والفرق أنّ الاختيار أخذ الشيء من بين الأشياء بما أنّه خيرها، والاصطفاء أخذه من بينها بما أنّه صفوتها وخالصها[8]، وهو أفضل الأنبياء لأنَّه أوّل من أقرّ بربه جل جلاله، وأول من

١- المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢١٠.
٢- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٩٧.
٣- الطوسي، الامالي، ص٣٤٠.
٤- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٢٣ .
٥- المجلسي، م.ن، ج١٠٢، ص١٦٣.
٦- السيد محمد الوحيدي، أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ص٤٣.
٧- عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٤٢٥؛ المجلسي، م.س.، ج٩٨، ص٣٣٤.
٨- الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٧، ص٤٥.

أجاب ببلى عندما أخذ الله الميثاق من النبيين قبل خلق آدم[1].

وجاء في المأثور عن الصادقين عليهما السلام في روايات كثيرة مستفيضة، أنَّ المراد من قوله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾[2]، هم ذرية النبي صلى الله عليه وآله من أولاد فاطمة عليها السلام وهم الدَّاخلون في آل إبراهيم في قوله:«إنَّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم...»، قد نص النبي صلى الله عليه وآله على علمهم بالقرآن وإصابة نظرهم فيه وملازمتهم إياه بقوله في الحديث المتواتر المتفق عليه: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتَّى يردا علي الحوض»[3]

-الرعاية الإلهيّة لآدم ونوح وإبراهيم ومحمد وأهل بيته الأطهار باصطفائهم وامتيازاتهم التي عرضها القرآن الكريم على باقي نسل الخلق واضح وبشكل جلي غير قابل للنكران، وهو ثابت لخصائص الرسول الأعظم وأخلاقه العظيمة بطريقة أولى لثبوت فضله وتقدمه على سائر النبيين والأئمة الأطهار والأولياء الصالحين، لأنه أول من أقرّ بالربوبيّة إلى الله قبل الخلق، وقد أحاط الله سبحانه وتعالى بالرعاية رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار وهم في الأصلاب الشامخة لعلمه بأنَّهم لا يعصونه ولا يخالفونه طرفة عين أبدًا، فاستحقوا أن يكونوا محلّ رعايته المقدّسة، وجزيل نعمته وكرم عطائه على الناس والعالمين جميعًا.

- رعاية الله للجينات الوراثية لتكون صفات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله راسخة في جيناته التي ورثها من آبائه الموحّدين والصدّيقين والأنبياء، فقد وصف الإمام علي عليه السلام الرعاية الإلهيّة للمنبت الطيب لرسول الله صلى الله عليه وآله بكلمات موجزة، « مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ»[4].

وفي خطبة أخرى، «حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ الله سُبْحَانَه وتعالى إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ الأصول مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه، عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ»[5].

كانت رعاية الله للنبي الأعظم أن خلقه من نور يطوف حول العرش ووضعه في الأصلاب الشامخة، وفي أشرف منبت، وأفضل مستقر، وأفضل مستودع، من كرائم الأصلاب وأطهر الأرحام، وانحدر هذا النور من أسرة كريمة لم تدنسها الأرجاس والموبقات وأنجاس الجاهليّة. فقد روي عن النبي الأعظم أنَّه قال : « خلقني الله تبارك وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثم

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص١٠٤.
٢- آل عمران، ٣٣.
٣- الطباطبائي، م.س.، ج١٧، ص٤٤.
٤- الشريف المرتضى، نهج البلاغة، ج١، ص١٨٧.
٥- الشريف المرتضى، م.ن، ج١، ص١٨٥.

نقلنا إلى صلب آدم، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطّاهرين إلى أرحام الطّاهرات، فقلت يا رسول الله فأين كنتم وعلى أي مثال كنتم؟ قال : كنا أشباحًا من نور تحت العرش نسبّح الله تعالى ونحمده»[1].

وقد ثبت بالإجماع لأهل البيت عليهم السلام على إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله فقد روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، فقيل له: فماذا كانوا يعبدون ؟ فقال: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسّكين به»[2].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام (يقول: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إنَّ الله جلّ جلاله يقرئك السلّام ويقول: إنِّي قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فقال: يا جبرئيل بيّن لي ذلك، فقال: أمّا الصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطلب، وأما البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما الحجر الذي كفلك فأبو طالب بن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد)[3].

يدلّل ذلك على طهارة أسرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وتميّزها من بقيّة الناس، وأنَّ القطع بعدم مساس أجسادهم النار في يوم القيامة يشير إلى عدم كفرهم وأتباعهم الجاهليّة وأنَّهم أسرة حازت على رضا الله بأخلاقها وسلوكها وتعبدها فكانت طاهرة من الرجس والضّلالة. كل ذلك يثبت رعاية الله للنطفة المحمديّة المباركة وهي في أصلابها لتكون من الأصلاب الطّاهرة من الرجس وعبادة الأوثان، وقادرة على تحمّل مسؤولية حمل لواء الرسالة الإلهيّة بأخلاقها العظيمة ولياقتها الذّاتية الموهوبة وقوّة تحملها للصعاب والأذى وبإرادتها الفولاذية التي لا تفل. ويكون ذلك ضمانًا إلهيًّا لاستقامة الحقّ فيها.

ثانيًا: مولده

جاء في أكثر الروايات أنَّ مولد النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله في العام الذي غزا فيه أبرهة مكة لهدم الكعبة، وهو المعروف بعام الفيل الموافق لسنة (٥٧٠م) من ميلاد المسيح[4].

روي عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، أنَّهم قالوا: من صام يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول وهو مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله كتب الله له صيام سنة[5]. مما يدلّ على تعظيم الله سبحانه وتعالى لهذا اليوم المقدّس؛ تكريماً لهذا المولود الطاهر وتشريفًا لنبيه الأعظم محمد صلى الله عليه وآله.

وقد ورد عن الصادقين عليهما السلام في فضل صيام أربعة أيام في السنة بقوله: « يوم السابع عشر من ربيع الأول وهو اليوم الذي ولد فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فمن صامه كتب الله له صيام ستين سنة، ويوم السابع والعشرين من رجب وهو اليوم الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فمن صامه كان

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٦، ص٢٠٢؛ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ١٧٥.
٢- الصدوق، م.س.، ص١٧٥.
٣- المجلسي، م.س.، ج١٥، ص١٠٨.
٤- هاشم معروف الحسني، سيرة المصطفى، ص٤١.
٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٥، ص ٣٥١.

صيامه كفارة ستين شهرا، ويوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة فيه دحيت الأرض، ويوم الغدير وفيه نصب رسول الله ﷺ .... يوم الاثنين لعشر ليالي خلون من ربيع الأول، وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك في النصف من محرم[1]. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان قدوم الفيل في النصف من محرم، ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة»[2].

وجاء رجل إلى موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: «جعلت فداك إنّي أريد الخروج فادع لي، قال: ومتى تخرج؟ قال: يوم الاثنين، قال: ولم تخرج يوم الاثنين؟ قال: أطلب البركة لأنَّ رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين، فقال عليه السلام: كذبوا ولد رسول الله ﷺ يوم الجمعة وما من يوم أعظم شؤمًا من يوم الاثنين يوم مات فيه رسول الله ﷺ وانقطع فيه وحي السماء، وظلمنا فيه حقّنا، ألا أدلك على يوم سهل لين ألانَ الله تبارك وتعالى فيه لداوود الحديد، فقال الرجل: بلى جعلت فداك، قال : أخرج يوم الثلاثاء»[3].

على الرغم من اختلاف الروايات حول اليوم الذي فيه ولد الرسول الأعظم ﷺ إلّا أنّ الاتفاق بين الإماميّة أنَّ رسول الله ﷺ ولد في يوم الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأول، وأنَّ الاتفاق السّائد بين الجميع أنَّ رسول الله ﷺ ولد في عام الفيل سنة (٥٧٠م)، [4] ومن ثم فالمولد المبارك لرسول الله ﷺ في يوم الجمعة من السابع عشر من شهر ربيع الأول لسنة ٥٧٠م.

ليس همّنا هنا في هذا البحث النّظر في المرويّات لتحديد يوم مولده أكثر من اهتمامنا بتوضيح الرّعاية الإلهيّة والكرامات الرّبّانيّة لهذا المولود العظيم، وما يتميّز به من خصوصيّات عن باقي البشر. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام « أنَّ رسول الله ﷺ لما ولد فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام»[5]، أي أنَّ آمنة رأت نورًا يخرج من المولود ممّا يميّز هذا المولود العظيم عن باقي البشر ويدلّل على العناية الإلهيّة لحظة ولادته، والكرامات التي خصّه الله سبحانه وتعالى بها.

وورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، عن آبائه، عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام، عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في حديث مع يهودي، قال له اليهودي: «فإنَّ هذا عيسى بن مريم يزعمون أنَّه تكلّم في المهد صبيًا، قال له الإمام علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ سقط من بطن أمّه واضعًا يده اليسرى على الأرض، ورافعًا يده اليمنى إلى السماء، ويحرك شفتيه بالتوحيد، وبدا فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، ...»[6].

١- الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٢٦-٢٧.

٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٢٤. علي دعموش العاملي، السيرة النبوية برواية أهل البيت عليهم السلام، ، ج١، ص١١٥.

٣- المجلسي، م.س. ج٥٦، ص٣٧؛ علي دعموش العاملي، م.س.، ، ج١، ص ١١٦.

٤- الطبرسي، اعلام الورى، ج١، ص٤٢؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص٤.

٥- ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣١؛ الكليني، الكافي، ج١، ص٤٥٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٥،

٦- الطبرسي، الاحتجاج، ص١٢٠؛ المجلسي، م.س.، ج١٥، ص٢٦١؛ علي دعموش العاملي، سيرة النبوية برواية أئمة أهل البيت عليهم السلام، ص١٢١

وبهذا فإنَّ الإمام عليًّا عليه السلام يؤكّد أن محمدًا صلى الله عليه وآله هو أيضًا تكلّم كما تكلّم نبي الله عيسى، ولهج لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بالذكر، وهو يرفع يده إلى السماء لحظة ولادته وإطلاله على وجه الأرض. ممّا يؤكد ذلك أنّ هذا المولود ليس كباقي البشر، إنَّه مولود مسدّد من الله ومغمور بالعناية الربانيّة من لحظة ولادته، إنّه نور من أنوار الله أضاء الكرة الأرضيّة .

إنَّ هذه الكرامة والحضانة الربانيّة لسيد الكائنات النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله بخصوصيّة العبادة لله وتوحيده فور ولادته، كما وضحته الرّواية عن الإمام علي عليه السلام، ليست ببعيدة عن خاتم الأنبياء والرسل، فقد تحقّقت المعجزة لنبينا عيسى عليه السلام بالتكلّم وهو في المهد، فكيف لا تتحقّق الحكمة الإلهيّة والفيوضات الرّبّانيّة لرسوله الأعظم صلى الله عليه وآله، وصفوة رسله، وسيد البشر أجمعين، بعدم الغفلة عن الرّب المعبود والاتصال الروحي بالسماء منذ ولادته.

تُبين هذه الرواية وما سبقها عظمة ذلك المولود الطاهر الذي أطلّ على الوجود، وملأ الوجود ضياءً، وغطى هذا الكوكب نورًا وبركة وجلالًا، وتوضح لنا أنَّ النبي يستقي علمه وأخلاقه وعبادته من الله جلت قدرته بما حفّه برعايته وكرمه وخصّه ببركته العظيمة وطهّره من رجس الشيطان منذ طفولته ولحظة ولادته، ولم يأخذ علومه وأخلاقه من مدارس فلسفيّة ولا من معلمي الأخلاق والحكمة، ولم تكن من عارض بشري، ولا يحتاج أن يتطابق نموه البيولوجي مع نموّه الفكري كما في عامة البشر. فقد ألهمه الله منذ لحظة ولادته بالاتصال بالسّماء، وذكر الله والتّهجّد والعبادة، وألقى في قلبه العلوم، وصار مخزون علم الله، وصار الامتثال لأمر الله تعالى بما يلهمه سجيّة المصطفى وأخلاقه وعلمه، وصار يتكلّم بما يوحى له وينظر بعين الله ويمشي بنور الله.

ويصف الإمام علي عليه السلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في طفولته، بأنّه «خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا »[1]، ويصف الرعاية الإلهيّة للنبي الأكرم في طفولته بقوله : «ولَقَدْ قَرَنَ الله بِه صلى الله عليه وآله، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه»[2].

هذا النصّ من أمير المؤمنين يشهد على أنّ النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته وهو مولود حديث كان محلًّا للرعاية الإلهيّة بمكارم الأخلاق والسير بدرب الكمال الإنساني، من خلال ما أمّده الله بأعظم ملائكته يرافقه ليلًا ونهارًا يوحي له علوم الله ويعرفه بمعالي الأخلاق؛ ولذا ليس باستطاعة أيّ منصف من أهل قريش ممّن لم يؤمن بدعوته أن يعيب على رسول الله صلى الله عليه وآله بشيء من قيمه الأخلاقية قبل البعثة، مع أنّه قد عاش بينهم أربعين سنة، لأنَّه كان في رعاية الله بما وهبه من مكارم الأخلاق العظيمة، والتّسديد الإلهي بطريق الحق وحقيقة المعرفة، والتنزيه من الرجس والآثام، فكان الشّائع والسّائد عند أهل قريش أنَّه الصَّادق الأمين.

---

١ - محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٤، ص٣٢٠٥؛ الشريف المرتضي، نهج البلاغة، ج٧، ص١١٧.

٢ - الشريف المرتضي، م.س.، ج ٢، ص ١٥٧.

الرّعاية الإلهيّة للنبي الأعظم ﷺ ومن سبقه من الأنبياء والرسل ﷺ لا ترتبط بمكان إقامتهم ولا بزمان بعثتهم، ولا بسنوات عمرهم؛ فقد نصّ القرآن الكريم في آياته المباركات على الرّعاية الإلهيّة للنبي موسى ﷺ وهو حديث الولادة، بما ألهم الله سبحانه وتعالى أمّه بأن تضعه في التّابوت وتلقيه في اليم ثم بعد ذلك ردّه إليها، ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي، إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[1].

[redacted]

والرّعاية الإلهيّة في إخفاء سرّه عند أمّه، بقوله: ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ موسى فَارِغًا، إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا على قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[6] الإبداء بالشيء إظهاره، والربط على الشيء شدّه وهو كناية عن التثبيت. والمراد بفراغ فؤاد أمّ موسى فراغه وخلوه من الخوف والحزن وكان لازم ذلك أن لا يتوارد عليه خواطر مشوشة وأوهام متضاربة يضطرب بها القلب فيأخذها الجزع فتبدي ما كان عليها

١- طه، ٣٩.

٢- ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٠، ص١١.

٣- القصص، ٩.

٤- الشيخ الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢١.

٥- طه، ٣٩.

٦- القصص، ١٠.

أن تخفيه من أمر ولدها[1]. بسبب الرعاية الإلهيّة واللطف الإلهي شعرت أمّ موسى بالاطمئنان وهدوء النفس والثبات بعد أن أوشكت أن تصرخ وتفضح نفسها بإفشاء سرّ ابنها موسى.

من ظاهر السياق، أنَّ سبب عدم إبدائها له فراغ قلبها وسبب فراغ قلبها الربط على قلبها وسبب الربط هو قوله تعالى لها فيما أوحى إليها: ﴿**لا تخافي ولا تحزني انا رادوه إليك...**﴾، وقوله: ﴿**ان كادت لتبدي به لولا...**﴾، أي أنَّها قربت من أن تظهر الأمر وتفشي السر لولا أن ثبّتنا قلبها بالربط عليه، وقوله: ﴿**لتكون من المؤمنين**﴾ أي الواثقين بالله في حفظه فتصبر ولا تجزع عليه فلا يبدو أمره. والمجموع أعني قوله: ﴿**ان كادت لتبدي به...**﴾ إلى آخر الآية في مقام البيان لقوله: ﴿**وأصبح فؤاد أم موسى فارغا**﴾ ومحصل معنى الآية وصار قلب أم موسى بسبب وحينا خاليًا من الخوف والحزن المؤديين إلى إظهار الأمر، ولولا أن ثبّتنا قلبها بسبب الوحي لتكون واثقة بحفظ الله له لقربت من أن تظهر أمره لهم بالجزع عليه[2].

وهكذا، قال الله سبحانه وتعالى بشأن النبي عيسى ﷺ، ﴿**وأيدناه بروح القدس**﴾[3]، وقوله تعالى ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[4] هذه الرعاية الإلهيّة والفيوضات الرّبّانيّة بالإمداد بروح القدس وتنزيل الكتاب والاصطفاء بالنبوة هي خطّة إلهيّة وإعداد ربّاني ورعاية شديدة لتأهيل شخص النبي لتحمل رفع لواء الرّسالة الإلهيّة.

[redacted]

من مظاهر الرّعاية الإلهيّة لنبيّه محمد ﷺ أن جعل له ملكًا فائق القدسيّة يرافقه حين ولادته، وهو مخلوق إلهي سماوي من الملائكة أعظم من الملك جبريل وميكائيل نزل على النبي قبل البعثة وفور فطامه ليرافقه ليلًا ونهارًا، ومهمّته هي تسديد النبي نحو مكارم الأخلاق، وتعريفه بطريق الحق، ويسلك به نحو الهداية الربانيّة، ويلهمه من علوم الله. فقد جاء في البحار (عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[5]

١- ناصر مكارم الشيرازي، م.س.، ج١٢، ص١٨٩.
٢- الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٦، ص١٢.
٣- البقرة، ٨٧.
٤- مريم، ٣٠، ٣١.
٥- الاسراء، ٨٥.

قال: خلق أعظم من جبريل وميكائيل، كان مع رسول الله وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت [1]). ومهمّة هذا المخلوق الملكوتي كما في رواية أخرى أنّ هذا الملك (كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمة من بعده)[2]. وفي رواية أخرى كذلك أنّه (كان مع رسول الله ﷺ يسدّده ويرشده، وهو مع الأوصياء من بعده)[3] . هذه الحراسة الرّبّانيّة الشديدة من الوقوع في الزّلل والخطأ، والامداد الإلهي بالعلوم الإلهيّة، وتوجيه الوحي المستمر إلى طريق الحق والإضاءة الدَّائمة بمعالي مكارم الأخلاق، والحضانة الرحمانيّة الإلهيّة منذ طفولته، تمنع بالضّرورة وقوع النبي طوال حياته في السهو والنسيان والغفلة وباختياره، ولا يمكن له إلا فعل الخيرات، ولا يمكن له إلا النطق بالحق، ولا يصدر منه إلّا أعلى مكارم الأخلاق وأنبلها، وألطف مستويات الرحمة وأفضلها. كلّ ذلك من ألطاف الله تعالى على نبيّه ليصنع منه النبي الأعظم وذا الخلق العظيم.

ثالثًا: طفولته

تشير الرّوايات عن الإمام الصادق إلى أنَّ وفاة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي الأعظم ﷺ بعد شهرين من ولادة الرسول الأكرم، وتشير أكثر الكتب التاريخيّة إلى أنّ وفاة آمنة بنت وهب والدة الرسول الأكرم ﷺ بعد السادسة من عمره الشريف[4].

وبعد وفاة والديه كفله جدّه عبد المطلب، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: « كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة، لا يفرش لأحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله ﷺ وهو طفل يدرج حتَّى جلس على فخذيه، فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني فإنّ الملك قد أتاه»[5].

ويتّضح من الرواية السابقة، كما يبدو، أنَّ جده عبد المطلب لديه علم بشأن النبي الأكرم ﷺ، وما سيتحمله من مسؤوليّة الرّسالة الإلهيّة، وما اصطفاه الله بالنّبوّة، من خلال العلامات والعناية الإلهيّة الخاصة به؛ لذلك كان يعامله بما يليق بمقامه وعلوّ شأنه منذ طفولته.

وهكذا هو الحال عندما كان في كفالة جدّه عبد المطّلب، فقد أحاطه بالحب والحنان والعطف والتعظيم والمحافظة عليه من الأعداء والجهّال وأهل الكفر والضّلال، حتَّى أدركت عبد المطلب الوفاة فبعث إلى أبي طالب عمّ الرسول الأكرم ﷺ وقال له: « يا أبا طالب أنظر أن تكون حافظًا لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولا ذاق شفقة أمه، أنظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٦٥، ح٢٣؛ الكليني، الكافي، ج١، ص٢٧٣، ح٣؛
٢- الكليني، م.س.، ج١، ص٢٧٣، ح٤؛ المجلسي، م.س.، ج١٨، ص٢٦٥، ح٢٥؛
٣- المجلسي، م.س.، ج١٨، ص٢٦٧، ح٢٨.
٤- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٦.
٥- الكليني، الكافي، ج١، ص٤٤٨.

بمنزلة كبدك، فإنّي تركت بني كلهم وأوصيك به لأنّك من أمّ أبيه، يا أبا طالب إن أدركت أيامه فاعلم أنّي كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، إن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك فإنّه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي، يا أبا طالب ما أعلم أحدًا من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه ولا أمّه على حال أمّه فاحفظه لوحدته، هل قبلت وصيّتي؟ قال: نعم قد قبلت، والله على ذلك شاهد فقال عبد المطلب: فمدّ يدك إليّ، فمدّ يده فضرب بيده إلى يده، ثم قال عبد المطلب: الآن خفف عليّ الموت، ثم لم يزل يقبله ويقول: أشهد أنّي لم أقبّل أحدًا من ولدي أطيب ريحًا منك ولا أحسن وجهًا منك ويتمنى أن يكون قد بقي حتّى يدرك زمانه»[1]، بعدها مات عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، فضمّه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار وكان ينام معه حتّى بلغ لا يأمن عليه أحدا[2].

الملاحظ هنا، أنَّ أسرار طفولة اليتيم النبي محمد ﷺ كانت عند جدّه عبد المطلب عندما قال بأنّه أبصر الناس وأعلم الناس بمحمد ﷺ وخاصّة أنّ أباه عبد الله قد توفي بعد شهرين من عمره الشريف فكفله حينها جدّه مودع الأسرار، ولا شكّ أنَّ هذه الأسرار تتعلّق بالنّبوّة، وعلاماتها وصفاتها وأخلاقها، التي يريد جدّه أن يخفيها للمحافظة على النبي الطفل اليتيم من المشركين والمعارضين، وفي الوقت نفسه يوصي به وبأسراره إلى عمّه أبي طالب، ويؤكّد عليه بنصرته واتباعه كذلك، والنبي ما زال طفلًا ابن ثمان سنين، ويصّر على التعهّد بالمحافظة عليه بقوله: مدّ يدك، ليأخذ منه التزامًا وتطمئنّ نفسه.

وعن جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام، لما أوتم النبي ﷺ من أبويه؟ قال لئلا يجب عليه حقّ لمخلوق[3]، فحقّ الرعاية والعناية لله ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾[4]، فقد أفاض الله بألطافه على نبيّه حين توفى والده وهو في رحم أمّه فآواه الله بجدّه، وحين توفّيت أمّه وهو في السادسة من عمره فآواه الله بحب جدّه أكثر، وحين توفّى جده وهو في الثامنة من عمره فآواه الله بعمّه[5]. رعاية الله وتنشئته لم تترك النبي في طفولته وهو يتيم بموت أبيه ثم أمه، ثم جدّه، وينتقل من حضن محبّة إلى حضن محبّة آخر تحت رعاية الله ولطفه.

التّسديد الإلهي والعناية الرّبّانيّة والحضانة الإلهيّة لرعاية النبي الأكرم لتهيئته لحمل الرسالة

١- المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج٥، ص٢٥٢.

٢- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص١٧٢.

٣- الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٤٦، ح١٦٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٦، ص١٤١، ح١؛ علي دعموش العاملي، السيرة النبوية برواية أهل البيت عليهم السلام، ص١٣٠.

٤- الضحى، ٦.

٥- مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٢٧٨.

السماوية منذ فطامه وفي يتمه، وبجعل ملك معه يرافقه ويرشده إلى مكارم الأخلاق العظيمة ويسلك به طريق الحق، وقد ذكرت الروايات التي تشير إلى هذه الرعاية الإلهيّة للنبي الأكرم وهو طفل، ممّا يمنع الشّكّ في أخلاق النبي الرّفيعة، ويدفع الشبهات المثارة حوله بأيّ عمل قبيح، وتنسف الموروث الرّوائي الذي يبتدع الإساءات بحقّ النبي قبل البعثة.

فقد روي أنّ بعضًا من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام سأله عن قول الله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**﴾ فقال عليه السلام: «يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدّون إليهم الرّسالة، ووكل بمحمد ملكًا عظيمًا منذ فصل عن الرضاعة يرشده إلى الخيرات، ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشّر ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أنّ ذلك من الحجر والأرض فيتأمّل فلا يرى شيئًا»[1]. يتضح من الآية الشريفة ورواية الإمام أنّ هناك حراسة إلهيّة للنبي وهو طفل من الشياطين والوساوس وتصدّه عن الشرور والقبائح، وهناك رصد من ملك عظيم يوحي إليه مكارم الأخلاق ويسلك به طريق الخيرات ويلهمه العلم بالغيبيات من أمامه ومن خلفه ومن كلّ اتجاه.

وتشير الروايات أنَّ هذه الرّعاية الإلهيّة والحراسة الربانيّة لنبيّه الأعظم محمد صلى الله عليه وآله عن طريق ذلك الملك العظيم في كل لحظة من لحظات حياته ليلًا ونهارًا، فقد روي عن علي عليه السلام قال: (ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره[2]).

و الرعاية الإلهيّة للنبي الأعظم في طفولته شملته كما شملت أنبياءه السابقين كالنبي موسى عليه السلام منذ أن كان رضيعًا، بما ألهم الله تعالى أمه بأن تلقيه في النهر ولا تحزن عليه، ثم بعد ذلك ردّه الله عليها. كذلك الرعاية الإلهيّة شملت الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وهو خاتم الأنبياء والرسل وأعظمهم، منذ طفولته، ووضعه الله تعالى في حضانته التربوية الربوبيّة، وسخّر له ملكا يسلك به مكارم الأخلاق ويضيء له درب الاستقامة ويعصمه من الزلل والهفوات في جميع لحظات حياته قبل البعثة النبوية. ويكون بعد أربعين سنة حاملًا للرسالة الإلهيّة وخاتمًا للانبياء والرسل، ويصدّ باب الافتراء والتشويه أمام الكاذبين وأهل الجهل والبسطاء بتشويه أخلاق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في طفولته وفي شبابه وقبل البعثة، بصفات لا تليق بمقامه ولا تنسجم مع أخلاق الأنبياء فضلًا عن سلوك أعظم الأنبياء والمرسلين وخاتمهم.

عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ**

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٦١.

٢- الشريف المرتضى، نهج البلاغة، ص٣٠٠، خ١٩٢؛ المجلسي، م.س.، ص٢٧١، ح٣.

لَتَهْدِي إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم.﴾[1] قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدّده وهو مع الأئمة من بعده[2].

ذلك يعني أن النبي الأعظم محمداً ﷺ يتلقى تعاليمه وأخلاقه ومعارفه مباشرة من الله من طريق الوحي أو المخلوق الملائكي فيقع العلم والفهم في قلبه وهو طفل وقبل البعثة النبوية ونزول الوحي عليه في غار حراء، وليس علم رسول الله ﷺ وأخلاقه شيئًا يتعلّمه من الناس الذي يكبرونه سنًا.

وأما عن تزوّده الرّوحي وعبادته فكان وهو طفل يصلّي لله وهو ابن أربع سنين ويعتكف ويطوف بالبيت، فقد روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «حج رسول الله ﷺ عشرين حجة متسترًا»، منها عشرة حجج، أو قال: سبعة - الوهم من الراوي - قبل النّبوة، وقد كان صلى قبل ذلك وهو ابن أربع سنين، وهو مع أبي طالب في أرض بصرى، وهو موضع كانت قريش تتجر إليه من مكة[3]. ومن ثم فالرعاية الإلهية لنبيه الأعظم ﷺ تبدأ منذ بداية وجوده.

رابعًا: شبابه

في شبابه كانت الرّعاية الإلهيّة كما كانت منذ طفولته، مستمرّة بالإمداد الإلهي بالملك العظيم، ويحدثه ويناديه برسول الله قبل البعثة، كما جاء في رواية عندما (سأل بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿**إلا من ارتضى من رسول فإنَّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا**﴾ فقال عليه السلام: يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليهم تبليغهم الرسالة، ووكّل بمحمد ملكا « عظيما » منذ فصل عن الرّضاع يرشده إلى الخيرات، ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشر ومساوي الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أنَّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئا)[4].

ويتضح من الرواية السابقة، أنَّ النبي الأعظم بالرغم من أنّه لم يصل إلى درجة الرسالة النبويّة بعد في شبابه إلّا أنّ الملك العظيم الموكّل به يناديه بالرسول ممّا يعني أنّ هذا الشاب تحت صناعة الله لحمل لواء الرسالة الإلهيّة. ويتّصف بصفات الأنبياء وأخلاقهم، وأنَّ الله أكرمه بأن أبعد عنه وساوس الشيطان ودفع عنه الخطأ والزلل. وتؤكّد بعض الروايات أنّه بفضل الامداد الغيبي بالملك السماوي الذي يلازمه في طفولته وفي شبابه انكشف له طريق الحق، وسدّد نحو كمال الخلق، وأخبر بعلوم الله، فقد روي (عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وكذلك أوحينا

١- الشورى، ٥٢.

٢- الكليني، الكافي، ج١، ص٢٧٣ ح١؛ المجلسي، م.س.، ج١٨، ص٢٦٤، ح٢٢.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٦١.

٤- المجلسي، م.ن.، ج١٥، ص٣٦١-٣٦٢.

إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده)[1]. أي قبل البعثة، قبل أن (ينزل عليك الكتاب وتنزل عليك الشريعة بتعاليمها وقبل أن تفرض التفاصيل العبادية والعقائدية في الدين الإسلامي)[2] كان الوحي (الروح) أو المخلوق الملائكي يرشده ويسلك به طريق الحق فلم يسجد لصنم ولم يكفر ولم يزل ولم يخطأ بل كان يصلّي لله ويحجّ بيت الله ويتصدّق على الفقراء ويتصف بأخلاق عظيمة بفضل هذه الرعاية الربانيّة والفيوضات الإلهيّة.

وفي السياق نفسه، وقبل أن يدري النبي ما الكتاب ولا الإيمان، فإنّه لا يمكن القبول بما ينسب إلى شخصيّة النبي الأعظم ﷺ، التي تتميّز بأعلى درجات الطّهر منذ الولادة، بالضّلال في الدين قبل البعثة في تفسير قوله تعالى ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ**﴾[3]، وإنّما تعني (وجدك ضالًا عن النبوة فهداك إليها، أو عن شريعة الإسلام التي نزلت عليه بعد البعثة وأمر بتبليغها إلى الخلق وهي أعظم النعم عليه)[4]. بمعنى أنَّه من النّعم الإلهيّة والفيوضات الربانيّة للنبي الأكرم ﷺ بعد البعثة والتي لم يحصل عليها قبل البعثة هي النبوة ونزول الشريعة الإسلامية لتبليغها للناس.

ومن مظاهر الرعاية الإلهيّة والحضانة الربانيّة لنبيه في شبابه قبل البعثة اعتكافه في غار حراء وتعبده فيه، ليتزوّد بالطمأنينة والسكينة الإلهيّة بالاتصال بالمعبود ويقضي ساعات في التأمل والتفكر والعبادة في داخله بعيدًا عن ضوضاء الدّنيا وزخارفها وحلوها ومرها. فقد ورد في بعض الكتب المعتبرة أنَّه كان (يجاور في حراء من كل سنة شهرا، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتَّى جاءت السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة، ...)[5].

وهنا يتّضح لنا من الكلام السابق، أنَّ النبي في شبابه وقبل البعثة كان متعبّدًا في غار حراء، وأنَّ الملك العظيم الملازم له يرشده ويخبره، وكان يطوف بالبيت الحرام سبعًا، وكان يتصدّق على الفقراء، وكان محبًا للخلوة مع الله وفي التّفكّر، ومنعزلًا عن اللهو والعبث، وأنَّه يعمل باستمرار على تقوية ارتباطه الرّوحي بالله عزّ وجل واستشعاره بعالم الغيب.

١- الكليني، الكافي، ج١، ص٢٧٣.

٢- الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٨، ص٨٠.

٣- الضحى، ٧

٤- الشريف المرتضي، تنزيه الأنبياء، ص١٦٨.

٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص ٣٦٦.

الصّفات الأخلاقيّة للنبي التي عرضها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1] ليست أوصافاً للمدح والثّناء فقط، وإنّما تحتشد خلفها عناية إلهية وحراسة ربّانيّة وحقائق ثابتة لصفات الأنبياء، كل الأنبياء، هذا فضلاً عن أنّها تكشف عن شخصية النبي الأعظم ﷺ، الذي يحمل لواء الرسالة الإلهيّة الخالدة. هذه الصفات تمنع بالضّرورة تصوّر وقوع النبي في الأخطاء والنسيان والغفلة والسهو في جميع مراحل حياته، في طفولته أو شبابه أو كهولته، قبل البعثة أو بعدها.

الرّعاية الإلهيّة، والتّسديد الغيبي، وحضور المد الإلهي، وتوافق سلوك النبي وذهنه وعلمه مع مرتكزات النّبوّة ومميزاتها، فضلاً عن شخصية الخاتم للنبوة، كلها ثوابت لا تتغير، قبل البعثة أو بعدها، في شخصية النبي ﷺ. وما عرضه القرآن الكريم من مميّزات للأنبياء هي في الحقيقة توصيف لمنصب النبوة ومقامها، والنبي الأعظم محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل هو أولى بهذه الصّفات، وأفضلهم وأعلاهم درجة في هذا المنصب والمقام والاصطفاء، واشتماله على كلّ الخصائص والصّفات العالية للنبوة، من الرّحمة والطهارة والأسوة والسّمو الرّوحي وغيرها.

التأهيل الاكتسابي والعناية الرّبّانيّة والتسديد بالروح الملائكية للوصول إلى الكمال الإنساني وتسنّم أعلى درجات القرب الإلهي قد نضج قبل نزول الوحي في غار حراء وقبل البعثة، ولعلّ هذا ما يشير إليه قول الإمام الصّادق ؈: (إنَّ الله عزّ وجل أدّب نبيّه فأحسن أدبه فلمّا أكمل له الأدب قال: ﴿**إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾، ثم فوّض إليه أمر الدّين والأمّة ليسوس عباده، فقال عز وجل: ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ وإنَّ رسول الله ﷺ كان مسدّدًا موفّقًا مؤيّدًا بروح القدس، لا يزل ولا يخطئ في شئ مما يسوس به الخلق[2]). وروح القدس المقصود بها هنا ربما، كما ورد في تفسير الأمثل، (هي قوّة خفية غيبيّة إلهيّة تعين على فعل الطّاعات وتحمّل الصّعاب، وتقي من الزّلّات وفعل القبائح والذّنوب[3]). وربما يشير الإمداد الإلهي بروح القدس إلى (الملك الفائق القدسيّة الذي أمدّه الله بنبيّه[4]) يرشده إلى الخيرات، ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوي الأخلاق كما أشارت الروايات التي عرضناها حين الكلام عن طفولته. ومن ثم فالطّبع البشري للنبي الأعظم ليس مسوغًا للنيل منه بالشبهات قبل البعثة وفي شبابه بالخصوص مثل: الميل العاطفي والضّلالة والغفلة عن ربّ الأرباب والنسيان والوقوع في الخطأ مهما كان منشؤه. فهو لم يزل ولم يخطئ في أيّ شيء لأنّه مسدّد ومؤيّد بالإمداد الغيبي والرّعاية الإلهيّة.

١- القلم، ٤

٢- الكليني، الكافي، ج١، ص٢٦٦.

٣- ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص١٥.

٤- ناصر مكارم الشيرازي، م.ن.، ج١، ص١٦.

ومن رعاية الله لرسوله الأعظم وأهل بيته الأطهار بأن أمدهم بالعلم، ومنع أي مدخلات تزيغ بالعقل عن تبصّره، فهم الرّاسخون في العلم، وهم على هدى مستقيم، وقد ورد عن أحدهما عليهما السلام في قوله الله عز وجل: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[1] فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الرّاسخين في العلم،[2] والعقل نور ربّاني يفرق بين الحقّ والباطل ويستبان به المعارف والعواقب ويترك به فعل القبائح والمنكرات، والعقل محل للحكمة الإلهيّة والمعارف الربانيّة وهي توجب محبّته تعالى، وكلّما كان العقل أكمل وأتقن كان الخلق أكمل وأحسن؛ لذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[3]، لأنَّ عقله فوق جميع العقول وأسناها، ومعرفته فوق جميع المراتب وأعلاها، ومحبّته فوق جميع الدّرجات وأقصاها، فخلقه فوق جميع مستويات الأخلاق وأقواها، ولذلك اتصف بالعظمة البالغة التي لا تبلغ العقول إلى منتهاها[4].

وأكثر من ذلك، فإنَّ للمعصومين أهلية اكتسابية من طريق أعمالهم، ولهم لياقة ذاتية موهوبة من الله وبلطفه تعصمهم من الوقوع في المعصية، مع امتلاكهم القدرة والاختيار، ويضرب صاحب تفسير الأمثل مثالاً على ذلك أن (لا نرى عاقلًا يرفع جمرة من النار ويضعها في فمه، مع أنّه غير مجبر ولا مكره على الامتناع عن هذا العمل، فهذه الحالة تنبعث من أعماق وجود الإنسان نتيجة المعلومات والاطلاع، والمبادئ الفطريّة والطبيعيّة، من دون أن يكون في الأمر جبر وإكراه[5]). من السياق المتقدّم، فإنَّ الرسوخ في العلم والأخلاق العظيمة والأعمال الطاهرة واللياقة الذّاتية والتّسديد الإلهي كوّنت شخصية النبي الأعظم، وشكّلت هذه المرتكزات ممانعة من أيّ ضلالة وجهالة، ونسفت أيّ تصوّر حول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بأيّ نسبة من الغفلة في حضرة المعبود أو نسيان تعاليمه أو الانحراف عن صراطه المستقيم أو الجهل بكمال رضا الله أو الميول نحو الأهواء والرغبات عن طاعة الله أو التفكير في معصية الله.

إنَّ مجمل هذه الصفات الأخلاقية والمنازل الرّفيعة من التقوى والرعاية الإلهيّة يلزم بالضرورة العصمة الكاملة للنبي الأكرم من اقتراف أي قبيح قبل البعثة، فيثق به الناس بما يأتي به من السماء بعد البعثة، ويكون عندهم أولى من أنفسهم، وتكون طاعته من طاعة الله، (فإذا جاء الأمر بالانقياد مطلقًا، جاء الأمر بالطاعة المطلقة، ولابد وأن يكون المطاع والمنقاد له معصومًا حتّى من الخطأ والنسيان)[6].

١- آل عمران، ٧.

٢- الكليني، الكافي، ج١، ص٢١٣.

٣- القلم، ٤.

٤- الكليني، م.س.، ج١، ٢٩١.

٥- ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٣، ص٢٣٧.

٦- السيد علي الميلاني، العصمة، ص٢٣.

ونعني بالعصمة هنا أنَّها مظهر من مظاهر الرعاية الإلهيّة، وهي حالة معنويّة باطنيّة، وهي لطف من ألطاف الله سبحانه وتعالى، (فلا تكون كسبيّة ولا تحصل بالاكتساب بل تحصل بفعل الله سبحانه وتعالى، وهي لطف يفعله الله بنبيّه بحيث يمنعه من الوقوع في المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليها[١]).

ولما بلغ العشرين ظهرت فيه العلامات، وجعل أصحاب الكتاب يقولون فيه ويتذاكرون أمره، ويتوصّفون حاله، ويقرّبون ظهوره، فقال يومًا لأبي طالب يا عم إنِّي أرى في المنام رجلًا يأتيني ومعه رجلان فيقولان هو وإذا بلغ فشأنك به، والرجل لا يتكلّم، فوصف أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم، فلما نظر إلى رسول الله قال: هذه الرّوح الطّيّبة هذا والله النبي المطهر، فقال له أبو طالب فاكتم على ابن أخي لا تغرّ به قومه والله إنَّما قلت لعلي ما قلت، ولقد أنبأني أبي عبد المطلب بأنَّه النبي المبعوث، وأمرني أن أشدّ ذلك لئلا يغرى من الأذى». [٢]

وبالتأمل في قول أبي طالب عندما يقول إنَّ أبي عبد المطّلب أنبأني بأنَّ محمداً ﷺ النبي المبعوث، يدلّ دلالة واضحة، أنَّ أبا طالب وعبد المطلب كانا يعلمان بأمر نبوّة محمد ﷺ منذ ولادته على أقلّ تقدير، وشهدا علامات النّبوّة، ولعلّ عبد المطلب قد عرف بشأن النبوّة لمحمد ﷺ من خلال الصّفات الأخلاقية العالية منذ صغره والملامح الشخصية الخاصة الظّاهرة عليه والتي تميّزه عن بقيّة البشر، والبركات والكرامات والرعاية الإلهيّة التي رافقته منذ ولادته، ومن موروثه الثقافي الذي انتقل إليه من أخبار الأنبياء السّابقين، والمصادر التاريخيّة وكتب الحديث، والثقافة التبشيريّة التي كانت سائدة بين الناس آنذاك قبل ولادة النبي بزمن، والتي كانت تنبئ بنبوّة خاتمة بعد نبي الله عيسى ﷺ، وهذا لا يمنع أن بعض الأحبار والكهّان ربما يعلمون من طريق الإنجيل والتوراة بصفات النبي المبشر به.

ومن الصفات الأخلاقية العاليّة التي عرف بها النبي ﷺ بين قومه الصادق الأمين، (فكان عامة الناس يعرفونه باسم محمد الأمين[٣])، واتخذه قومه (لوضع الحجر الأسود في موضع بالكعبة حين اختصمت قريش وهو ابن خمس وعشرين، وذلك عندما هدمت الكعبة بسبب سيل أصابها فهدمها، ولما أراد أهل قريش أن يضعوا الحجر اختصموا فيه وقالت كلّ قبيلة نحن نتولّى وضعه، فأقبل رسول الله وكانت قريش تسميه (الأمين) فلما رأوه مقبلًا قالوا قد رضينا بحكم محمد بن عبد الله فبسط رسول الله رداءه ووضع الحجر في وسطه وقال ليحمل كلّ قبيلة بجانب من جوانب الرداء ثم ارفعوا جميعًا ففعلوا ذلك، ..، ولما بلغ الموضع أخذه رسول الله ﷺ ووضعه بموضعه الذي هو به)[٤] فكان الشائع

١- السيد علي الميلاني، العصمة، ص١٥.
٢- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١١.
٣- اليعقوبي، م.ن.، ج٢، ص١٩.
٤- اليعقوبي، م.ن.، ج٢، ص١٤.

السائد عند أهل قريش أنّه الصّادق الأمين، وكان معروفًا برجاحة عقله وإنصافه، وكلمته نافذة في أهل قريش؛ حتّى رضوا بأن يكون حكماً بينهم في وضع حجر الكعبة.وتزوّج رسول الله ﷺ السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ وله خمس وعشرون سنة، [1] وجاء في تاريخ اليعقوبي أنَّ رسول الله جاء في نفر من أعمامه تقدّمهم أبو طالب فخطب أبو طالب فقال « الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريته اسماعيل، وجعل لنا بيتًا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به، ثم إنّ ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه وإن كان في المال قل فإنَّ المال رزق حائل وظلّ زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وصداق ما سألتموه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم، ونبأ شايع»[2].

وهنا يشير أبو طالب ﷺ إلى طهارة النبي وأسرته وصلبه وعلو شأنهم عند الله بأن جعلهم من نسل الأنبياء والأوصياء، فهم من صلب إبراهيم وذرّيّة إسماعيل ﷺ، وأشار إلى علوّ منزلتهم وشهرتهم بين الناس وانقياد الناس إليهم بأن جعلهم حكّامًا، وأنَّ النبي محمداً ﷺ بالخصوص له منزلة عظيمة شائعة سائدة بين الناس، وأنّه لا يُقاس بأيّ رجل من رجال قريش، وهذه كلّها فيوضات إلهيّة ورعاية ربّانية لهذه الأسرة الكريمة ولهذا الشّاب الطّاهر المبارك.

صفات الرسول الأكرم ﷺ وأخلاقه العظيمة هي أعلى درجات الطّهر والحكمة والشّجاعة والعصمة، تتجلّى فيها كلّ الصّفات الفاضلة والنّبيلة وتشتمل على جميع القيم الإنسانية السّامية . وهي صفات متكاملة متجانسة مع روح الشّريعة الإسلامية التي حملها بعد البعثة وطبيعة الوحي الملازم له في سيرته طوال حياته، ولا تليق الدّسائس والمساس بشخصيته كالغفلة والخطأ والنّسيان والضّلالة وغيرها من القبح والرّجس. وعن الإمام أبي الحسن الرضا ﷺ أنَّه قال: (... إنَّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجل لأمور عباده شرح لذلك صدره، وأودع عقله ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعدهنّ بجواب، ولا يحير فيه عن الصَّواب، فهو معصوم مؤيّد وموفّق ومسدّد، قد أمن من الخطايا والزّلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[3]) فالرعاية الإلهيّة والفيوضات الربانيّة واضحة في الحديث ولا تحتاج إلى بيان، وزاد الحديث في توضيح الرّعاية الإلهيّة لأصفيائه بأن عدّد بعضًا من صورها، مثل: شرح صدره، جريان ينابيع الحكمة في عقله، ويلهمه العلم إلهامًا، لا يعجز عن الإجابة عن أيّ سؤال، ولا يخطأ في الإجابة ولا يحيد عن الصّواب، وهو معصوم، ومؤيّد، وموفّق، ومسدّد، بعيد عن الوقوع في

١- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤.
٢- اليعقوبي، م.ن.، ج٢، ص١٥.
٣- الكليني، الكافي، ج١، ص٢٠٢.

الزلل والخطأ، وكل هذه الفيوضات الربانيّة والرّعاية الإلهيّة وكراماته خاصة لأصفيائه محمد وأهل بيته الأطهار حتَّى يكونوا حجّة على الخلق جميعًا.

وعلينا في الأخير، الاعتراف بنقص عقولنا عن استيعاب ما لا تحيط به العقول ولا تدركه الأوهام والظنون من قدرة الله على رعاية أنبيائه، وأنّ بعضًا من مظاهر الرّعاية الإلهيّة لنبيّه الأعظم ﷺ لا نستطيع أن نجد لها تفسيرًا بغير إرادة الله وقدرته وعظمته وحكمته وحده.

والخلاصة أنَّ مظاهر الرّعاية الإلهيّة لشخصيّة النبي الأكرم محمد ﷺ في صفاته وأخلاقه العظيمة كما مرّ بنا في البحث في مراحل سيرته (النسب، والمولد، والطفولة، والشباب) ودورها، يتلخّص في تكوين شخصيّة النبي الأكرم ﷺ وأخلاقه العظيمة بشكلٍ شامل من أصل تكوينها النّوري حتَّى جعلها الله في الأصلاب الطّاهرة وفي المولد والطّفولة والشّباب وفي جميع مراحل الحياة، وتشمل جميع جوانبها وأبعادها، الظاهرة منها والخفيّة، قبل البعثة وبعدها، وهي أسمى من أن يستطيع أحد من الناس الوصول إليها، ليحمل لواء الرسالة الإلهيّة الخالدة، وتكون طاعته من طاعة الله عز وجل، وأمره من أمر الله العزيز الجبار.

الخاتمة

النتيجة التي نصل إليها هي أنَّ الرعاية الإلهيّة هي الفيوضات الإلهيّة والإمدادات الغيبيّة والألطاف الرّبّانيّة على نبيّه المصطفى محمد ﷺ الذي اصطفاه بحكمته؛ فتؤهله لحمل لواء الرسالة الإلهيّة وتساعده في تهيئة الظّروف المناسبة لنشر دعوته واستقامة الحق فيه.

وناقشنا بعضًا من مظاهر الرّعاية الإلهيّة لنبيّه الأعظم من خلال النّصوص القرآنيّة ومن روايات أهل البيت عليهم السلام، في صفاته وأخلاقه العظيمة بدراسة سيرته المطهرة من النسب، والمولد، والطفولة، والشّباب، قبل البعثة. وبيّنّا أنَّ الرّعاية الإلهيّة لنبيّه الأعظم محمد ﷺ قد شملت بداية خلق النور المحمدي وقبل خلق آدم عليه السلام وجعله في صلب آدم والأنبياء المعصومين وآبائه الموحّدين، حتَّى مولد النور المسدّد من الله، الذي سقط على الأرض فور ولادته وهو يحرّك شفتيه بالتوحيد، ومن رعاية الله وفيوضاته على نبيه في طفولته وشبابه أن قرن له أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق الحق ومحاسن الأخلاق للتسديد الرباني والحراسة الإلهيّة .

الرّعاية الإلهيّة بالتّسديد الرّبّاني والألطاف الإلهيّة والاتصال الرّوحي والتّزوّد بالعبادة واستشعار عالم الغيب والأعمال الطّاهرة والأخلاق العظيمة في مراحل حياته قبل البعثة، كوّنت شخصية النبي الأعظم، وشكّلت مرتكزات ممانعة من أيّ ضلالة وجهالة وغفلة ونسيان، تعصمه من فعل أيّ قبيح، وتميّزه بلياقة ذاتيّة موهوبة من الله العزيز الجبار، قادرة على تحمّل مسؤوليّة حمل لواء الرّسالة الإلهيّة الخالدة، فأكرمه الله وفوّضه بأمر الدّين والأمّة، وصارت طاعته من طاعة الله، وأمره من أمر الله.

في النهاية، أكّدت الدراسة أنَّ الرعاية الإلهيّة لشخصية النبي الأعظم ﷺ وصفاته العظيمة التي شملت جميع مراحل حياته تمنع الشّك في أخلاق النبي ﷺ العظيمة، وتدفع الشبهات المثارة حول أخلاقه أو فعل أي قبيح أو غفلة أو نسيان، وتنسف الرّوايات التي تسيء لشخصيّة الرسول الأكرم ﷺ قبل البعثة.

وقد اقترح الباحث ضرورة فتح آفاق جديدة نحو دراسة سيرة النبي الأعظم ﷺ بمرويّات أهل البيت عليهم السلام لتعطينا صورة دقيقة لسيرة جدّهم المصطفى محمد ﷺ ودفع الشبهات وتنقية المرويّات التي تسيء للنبي الأعظم ﷺ. ودراسة ما لم يستكمله البحث من مظاهر الرعاية الإلهيّة في مهنة النبي الأعظم ﷺ كالرعي والتجارة وغيرها في سيرة النبي محمد ﷺ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله(٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين ﷺ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
* ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر(٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٤٩م.
* ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية؛ وثقه: علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود، ط١، بيروت: دار الكف العلمية، لات.
* ابن مسكويه، احمد بن محمد، (٤٢١هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق؛ حققه: ابن الخطيب، ط١، القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٩٢هـ.
* أبو هلال العسكري، الحسين بن عبد بن سهل بن مهران(٣٢٥هـ/ ١٠٠٥م)، الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، ط٢، القاهرة: مؤسسة الإسراء، ١٩٨٧م.
* أبو هلال العسكري، الحسين بن عبد بن سهل بن مهران(٣٢٥هـ/ ١٠٠٥م)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط٢، القاهرة: دار العلم.
* الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي، (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م)، تفسير روح المعاني؛ حققه: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.
* الاصبهاني، الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان(٥٣٥هـ/ ١١٤١م)، أخلاق النبي وآدابه، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦.
* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، طب٢، بيروت: دار احياء التراث العربي، ج١٥، ١٩٩٧م.
www.baheth.info/ahh.jsp.
* ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن علي السروي(٥٨٨ه/ ١١٩١م)، مناقب آل أبي طالب؛ تصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م- ١٣٧٥ هـ.
* الحسني، هاشم معروف، سيرة المصطفى، ط٢، بيروت: دار العلم، ١٩٩٠.
* الحمداني، أحمد ثجيل، السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق، العراق: كربلاء، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٧.
* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط ٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م.
* زين الدين، محمد أمين، الأخلاق عند الإمام الصادق، لاطب، قم: منظمة الاعلام الإسلامي، ١٤٠٣ه.
* الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسى(٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، الشافي في الإمامة؛ حققه وعلق عليه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب؛ راجعه فاضل الميلاني، ط٢، طهران: مؤسسة الصادق، ٢٠٠٦م.
* الشريف المرتضى، علي بن الحسين(٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، ، نهج البلاغة في كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب، لبنان، بيروت، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.
* الشريف المرتضى، علي بن الحسين(٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، تنزيه الأنبياء؛ صححه وعلق عليه: فاطمة قاضي شعار، ط١، قم: مدرسة العليا للشهيد مطهري، ١٤٢٢هـ.
* الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨٩م- ١٤١٠ه.
* الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الإرشاد للشيخ المفيد، لا طب، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٢م.
* الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ايران، مكتبة مدرسة الفقاهة، ج١٨، ٢٠/ ٢/ ٢٠١٧.
http//:ar.lib.eshia.ir.
* الصغير، عمار عبد الرزاق علي، الإساءة إلى النبي محمد في الآراء التفسيرية، لاطب، كربلاء: دار الرسول الأعظم، ٢٠١٩.
* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(٣٨١هـ/ ٩٩١م)، كمال الدين وتمام النعمة؛ تحقيق: علي أكبر غفاري، قم: مؤسسة النشر لجماعة المدرسين، ١٩٨٥.
* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عيون أخبار الرضا؛ تحقيق: السيد مهدي الحسيني الاجوري، قم: دار العلم، ١٣٧٧ه.
* الطباطبائي، السيد محمد حسين، تفسير الميزان، ط١، بيروت: الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧.
* الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب(٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الاحتجاج؛ تحقيق: السيد محمد باقر الموسوي الخرساني، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨١م.
* الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه أبو الحسن الشعراني، ط٢، بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٦.
* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م.
* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم: دار الثقافة، ١٩٩٤.
* العاملي، علي دعموس، السيرة النبوية برواية أئمة أهل البيت، ط١، بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٨.
* القمي، عباس، مفاتيح الجنان، الكويت: السالمية، مكتبة الفقيه، ٢٠١٣.
* القندوزي، سليمان بن أبي إبراهيم الحيفي(١٢٩٤هـ/ ١٨٨٢م)، ينابيع المودة، استانبول: مطبعة أحتر، ١٨٨٤م-١٣٠١هـ.
* الكشّي، أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز(٣٤٠هـ/)، رجال الكشّي؛ تحقيق: السيد أحمد الحسيني، كربلاء المقدسة: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٠ م.
* الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي البغدادي(٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، أصول الكافي؛ طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
* المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي(١١١١هـ/ ١٧٠٠م)، بحار الأنوار؛ تحقيق محمد مهدي الموسوي الخرسان، طهران: المطبعة الإسلامية، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
* المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي(١١١١هـ/ ١٧٠٠م)، مرآة العقول؛ تصحيح السيد هاشم الرسولي، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٤٤م- ١٣٦٣هـ.
* المسعودي، علي بن الحسين(٣٤٦هـ/ ٩٥٦م)، مروج الذهب، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٢.

* مطهري، مرتضى، فلسفة الأخلاق؛ ترجمة وجيه المسبح، ط٢، بيروت: أم القرى، ٢٠٠٩.
* معلوف، لويس، المنجد، مج١، ط١٩، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ٢٠١٠.
* الميلاني، السيد علي الحسيني، العصمة، قم: مركز الابحاث العقائدية، ١٤٢١هـ.
* النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي(٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، رجال النجاشي، قم : نشر جماعة المدرسين، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
* الوحيدي، السيد محمد، أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، حققه: الشيخ هاشم الصالحي، ط١، بيروت: الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٧.
* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب(٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، تأريخ اليعقوبي، لا طب، النجف الأشرف: مطبعة الغري، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩ م.

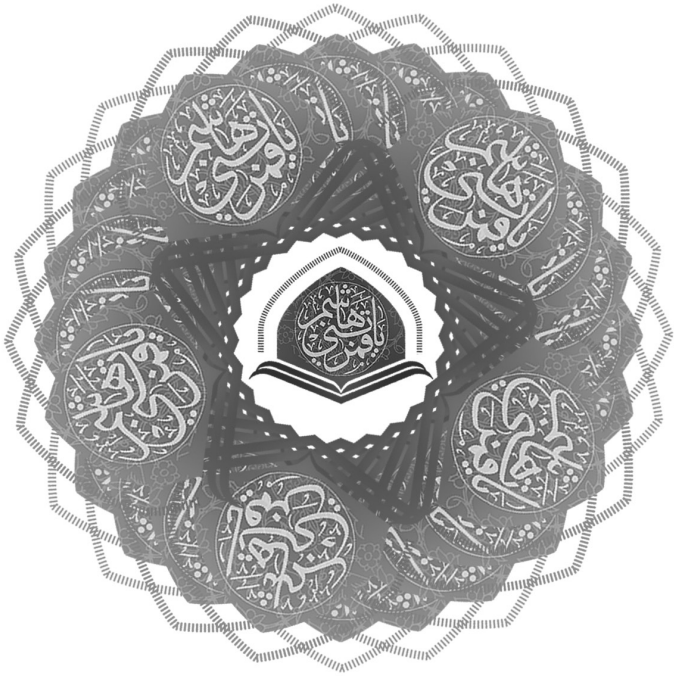

من خصائص مدرسة الإمام الصادق عليه السلام

السيد علي الخرسان

هناك مجموعة من المميزات لمدرسة الإمام الصّادق عليه السلام؛ وهذه المميزات تحرّك من خلالها الإمام الصادق عليه السلام، واستطاع أن يستقطب العديد من طلبة العلم، وعندما تلقي بنظرك إلى المدارس التي ابتعدت عن فكر هذا الإمام العظيم عليه السلام، وتتصفّح وريقات كتبت عبر التاريخ في مجموعة من المعارف تجد أنَّ السّطحية والامتداد تشكّل طابعاً ظاهراً على كثير من النّتاج.

على العكس من ذلك تماماً عندما تسلّط الضّوء على ما وصل عن الإمام الصادق عليه السلام تجد أنَّ حركة التّأصيل مبنيّة على الدّقّة، والعمق، والغوص في جذور المسألة والأساس؛ وهذا بطبيعته يعطي قوةً ومتانة وحفظاً وصيانة.

وعلى العكس من ذلك تماماً عندما يكون الفكر سطحيّاً فإنّه ليس لديه مقومات البقاء والاستقرار من جهة، ولا يستطيع أن يحافظ على كينونته من جهة أخرى؛ إذ تعبث به الأغيار في أيّ لحظة من اللحظات، والإنسان المنصف حتّى وإن لم يكن من أتباع هذه المدرسة سيجد أنَّ الفارق واضحاً وبيّناً.

نحن لم نكن في العصر الذي كان فيه إشراقات وإضاءات الإمام الصادق عليه السلام تملأ الخافقين، ولكن تسلل منها ما يعبر الزّمن، ويلغي حدوده، ومن خلالها نستكشف تلك العوالم.

وخير من يدلّنا ويأخذ بأيدينا إلى صميم ذلك الفكر هم ورثة الأنبياء العلماء الذين اصطفاهم الله تعالى وكرّمهم في أن يقتربوا بالمسافة من عمق هذا الفكر.

عشرات الآلاف والمئات من الآلاف من المجتهدين والكتاب والباحثين من زمن الغيب إلى يومنا؛ وعلماؤنا كانوا وما زالوا يبحثون وراء العمق ويحاولون الغوص للوصول إلى ما هو الأكثر قرباً من مصدر ذلك الإشعاع فمن الحري بنا أن نستهدي طريقنا من خلالهم؛ لأنَّهم الأمناء في هذا الجانب.

النَّهج السّليم في استخلاص النّظريّات واستنباط الأحكام هذا الأسلوب أسهب فيه الإمام الصادق عليه السلام في سبيل أن يفتح الأبواب أمام كلّ مريدٍ للعلم والمعرفة؛ لذلك لا نستغرب عندما يقول لنا رجالات الترجمة أو رجالات الرجال وعلم الحديث أو من كتب تاريخياً أو أرّخ لمراحل التأريخ: أنَّ من تتلمذ على يد الإمام الصادق عليه السلام هم في حدود ألف راوٍ وصحابي وعالم يتبعهم جماعة سمع منهم بالواسطة.

وقد قيل في مسجد الكوفة جمعت المحابر ثم تم احصاؤها فناهزت الألف.

في كثير من المدوّنات أنَّ أربعة آلاف إنسان هم أولئك الذين اقتربوا من مدرسة الإمام؛ فقد بلغ مقام الإمام الصادق عليه السلام من المنزلة أنَّ المخالف والمؤالف أشاد بمقامه الرّفيع وأثنى عليه، ومنهم:

أبو العوجاء، قال: (ما هذا ببشر، وإن كان في الدّنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا)[1].

وقال مالك بن أنس: (جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلّ، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن. وما رأيته يحدث إلّا على طهارة)[2].

وقال: (وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً)[3].

وقال المنصور الدوانيقي: (إنَّ جعفراً كان ممن قال الله فيه: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[4]، وكان ممن اصطفى الله وكان من السّابقين بالخيرات)[5].

وعن مالك بن أنس، قال: (كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدّعابة والتّبسّم. فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله اخضر واصفر، ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلّا على ثلاث خصال: إما مصلياً وإما قائماً وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا على الطهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد والزهاد الذين يخشون الله)[6].

وقال أبو حنيفة النعمان بن ثابت: «لولا السنتان لهلك النعمان»[7].

وقال ابن أبي العوجاء للمفضل الذي تهجّم عليه في إحدى المناظرات: (إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما أفحش خطابنا، ولا تعدى في جوابنا. وأنّه الحليم الرزين، العاقل الرّصين، لا يعتريه خرق، ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا ويتعرف حجتنا، حتّى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننا قطعناه، دحض حجّتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا الحجة ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه)[8].

وقد عمد الإمام الصادق عليه السلام إلى نشر علوم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله حتّى قال الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد:

١- الكافي: ج١/ ص٧٥.
٢- تهذيب التهذيب: ج٢/ ص٨٨.
٣- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص٤٢٨.
٤- سورة فاطر: ٣٢.
٥- تاريخ اليعقوبي: ج٢/ ص٣٨٣.
٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج٢/ ص٤٢.
٧- التحفة الأثني عشرية: ص٨.
٨- توحيد المفضل: ص٤٢.

ونقل الناس عنه أي عن الإمام ﷺ من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله ﷺ، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثّقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل[1].

لذلك سوف نبحث في بعض هذه المميزات:

الصّفة الأولى: احتضان الكفاءات

من السهل أن تكون المعلومة موجودة، ومن السّهل أيضاً أن يكون العالم قديراً على إيصال المعلومة ونقلها؛ لكن أن يستكشف العالم الأفراد الذين يحيطون به، ويلتمسون المعرفة منه، ثم يقرب هذه المنظومة من نفسهم هم قلّة لذلك تجد أن كثيرًا من الطّاقات التي هي في حدود القوّة قادرة على إحداث الكثير من النقلة تقصى وتستهلك ثم مع الأيّام تضمحل، وتنتهي دون أن تقدّم شيئاً؛ والسَّبب في ذلك هو تأخر عملية الاستكشاف للقوة الكامنة في الذّوات فتنساق في مسار بالحياة يميناً وشمالاً يتلقّفهم من يتلقّف؛ وهذه المساحة أو الدّائرة التي سقط فيها أرباب المسيرة الإسلامية في العصور المتأخرة وهي التي سلَّط الغرب الضّوء عليها، واستطاع أن يستفيد من هذه الثغرة؛ فاستطاع استدراج العقول العربية في القرون الثلاث الماضية على شكل أماكن هجرة هنا وهناك.

فلا تستغرب إذا ما تصفّحت أوراق التأريخ المعاصر لتجد أنّ وراء الكثير من الاختراعات عقولًا عربية بامتياز أو عقولًا إسلامية في دائرة أوسع؛ هي عقول خطّط لهجرتها، واستقرّت في مواطن أريد لها أن تستقر فيها حتَّى عندما غادر الأدباء إلى تلك الدّول المستحدثة وجدوا أنفسهم، ووجدوا ضالّتهم بطبيعة الحال بما يتماشى وبنيانهم الذّاتي والفكري والاجتماعي والثقافي؛ أمّا الإمام الصادق ﷺ وضع حجر الأساس لأن يستفيد المسلمون من المسلمين كواقع؛ لينتقلوا به إلى مساحات على نحو التوريث لذلك تجد أنَّ الإمام الصادق يستقطب النّخبة المميزة من بين أصحابه ويملي عليهم من العلوم والمعارف؛ لعلمه أنَّ كلّ واحد من هؤلاء يمكن أن يحدث واقعاً قائماً بنفسه.

١- الإرشاد: ج٢/ ص١٧٩.

الصّفة الثّانية: تعدّد المواقع العلمية التابعة لمدرسة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

الامتداد كان أيضاً في أكثر من اتجاه فلم يكن محصوراً ومقصوراً بين المدينة والكوفة كما هو المألوف؛ وإنَّما كان له في بلدان أخرى؛ مثل مصر فقد وضع الحجر الأساس للمدرسة؛ وهي باقية إلى يومنا هذا؛ فالفكر الإسماعيلي والفكر الفاطمي يبني مذهبيته على أساس من الانتماء إلى إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام كما ركب سفينة الإمام الصادق رجالات كثر لديهم قدرة على التسطير والتنظير وصلوا من خلالها بمدرستهم إلى البلقان غرباً، وإلى الهند شرقاً؛ مدرسة قوية جبّارة لها ما يدلّل عليها في كتب العلم والمعرفة والأدب والاختصاص والعمران؛ فلا تكاد تضع يدك على أثر تاريخي في بقعة من بقع الإسلام إلّا وللمدرسة الفاطمية أثرها، ثم هناك أيضًا في بلاد الشام كانت مدرسة إما تحمل انتماء مباشر لمدرسة جعفر عليه السلام دون واسطة لذلك بعد قرون يسيرة قيض الله لرجالات أن يثبت قواعد مذهب أهل البيت عليهم السلام في حلب وأطرافها حتَّى أقيمت الدول الحمدانية. وكان لمدرسته امتداد على حساب الهجرة والظلم والقسوة التي واجهها أتباع جعفر عليه السلام؛ وقال المحقّق رحمه الله في المعتبر: فإنَّه انتشر عنه من العلوم الجمة ما بهر به العقول، وروى عنه جماعة من الرجال ما يقارب أربعة آلاف رجل[1].

وقال ابن فتال في روضة الواعظين: وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنهم من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل[2].

وقال ابن شهر آشوب في المناقب: ينقل عنه عليه السلام من العلوم ما لا ينقل عن أحد، وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل[3].

وقال الشهيد في الذكرى: إنَّ أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب من أجوبة مسائله أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنف، ودون من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل من أهل العراق والحجاز وخراسان والشام[4].

هذا وقد أحصاهم بعض العلماء بستة آلاف رجل، علماً بأنَّ تلامذة الإمام الصادق عليه السلام كانوا أكثر من عشرين ألفاً.

ومن المعروف أنّ الإمام عليه السلام كان يحثّ أصحابه على التفقّه ونشر العلوم حتَّى قال: «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتَّى يتفقّهوا في الحلال والحرام»[5]، كناية عن أهمية العلم وضرورة التعلّم.

وعن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تفقّهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً؛ فإنه من لم

١- المعتبر: ج١/ ص٢٦.

٢- روضة الواعظين: ج١/ ص٢٠٧.

٣- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص٢٤٧.

٤- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ج١/ ص٥٩.

٥- المحاسن: ج١/ ص٢٢٩.

يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملاً»[1].

وقد نقل أهل الرجال أنّ أبان بن تغلب وحده روى عن الإمام الصادق ﷺ ثلاثين ألف حديث، ومحمد بن مسلم ستة عشر ألف حديث[2].

وإلى اليوم آثار الإمام ﷺ موجودة في كل العالم، ومازالت البشرية تستفيد من علوم تلامذته في شتى الأمور، ومنهم جابر بن حيان الذي كان من تلامذة الإمام الصادق ﷺ حتّى قال ابن خلكان لدى ترجمة للإمام ﷺ :

(له كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق ﷺ وهي خمسمائة رسالة)[3].

فتعدد المواقع كان يلعب دوراً كبيراً .

الصّفة الثالثة: الاعتماد على مصادر التشريع الأصيلة

من خصائص مدرسة الإمام جعفر الصادق ﷺ اعتماده على مصادر التشريع الأصيلة؛ وهي عبارة عن القرآن الكريم والسنة المطهرة الوارد بالطرق المعتبرة منه عن آبائه عن جده النبي محمد صلوات الله عليهم.

قال الإمام الصادق ﷺ : «نحن خزّان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض»[4].

وعنه ﷺ:«أَمَا وَاللهِ إِنَّ عِنْدَنَا مَا لاَ نَحْتَاجُ إِلَى النَّاسِ، وَإِنَّ النَّاسَ لَيَحْتَاجُونَ إِلَيْنَا. إِنَّ عِنْدَنَا الصَّحِيفَةَ سَبْعُونَ ذِرَاعاً بِخَطِّ عَلَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَإِمْلاَءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَي أَوْلاَدِهِمَا فِيهَا مِنْ كُلِّ حَلاَلٍ وَحَرَامٍ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَنَا فَتَدْخُلُونَ عَلَيْنَا فَنَعْرِفُ خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ»[5].

إذن علم أهل البيت ﷺ له منابعه التي لم تصل إلى الكثيرين؛ لذلك لا نستغرب عندما تكون الأصول في هذه المدرسة بهذه الكثرة التي لا يحظى مذهب من المذاهب بنسبة ٢٥٪ من عموم أصول هذه المدرسة، وعليكم أن تحكموا على الفارق وأنا أدعو كل من يكون في مذهب خارج حدود هذا المذهب أن يتجرد عن العصبية ويجمع الأصول هنا وهناك، ويطرح ويخلص إلى هذه النتيجة؛ وأما الفروع فيكفينا أنَّ عالماً واحداً وهو المحقق الكبير صاحب الجواهر الشيخ محمد حسن النجفي رحمة الله تعالى عليه الذي استعرض في كتابه ما يربو على ٥٠٠ ألف يعني نصف مليون فرع فقهي كلّها قال: جعفر بن محمد ﷺ.

١- المحاسن: ج١/ ص٢٢٨.

٢- راجع رجال ابن داود: ص١٠، والرسائل الرجالية: ج٤/ ص٣٩٤-٣٩٥.

٣- وفيات الأعيان: ج١/ ص٣٢٧.

٤- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ج ١/ ص٢١-٢٢.

٥- بصائر الدرجات: ص ٣٩.

الصفة الرابعة: وضع حجر الأساس للاختصاص العلمي.

في مدرسة الإسلام قبل الإمام الصادق ﷺ كانت العلوم متناثرة والأشخاص يأخذون من هذا ضغث ومن ذلك ضغث ومن ذلك العلم أيضاً ثم يصبح الإنسان بمصطلح اليوم علامة، وهناك كان مثلاً محدثاً راوياً مؤرخاً ومترجماً وما إلى ذلك؛ ومن أصحاب الإمام الصادق ﷺ أربعة من النّجباء يقول فيهم الإمام: (إِنَّ أَصْحَابَ أَبِي كَانُوا زَيْناً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً أَعْنِي زُرَارَةَ وَمُحَمدِ بْنَ مُسْلِم وَمِنْهُمْ لَيْثٌ اَلْمُرَادِيُّ وَبُرَيْدٌ اَلْعِجْلِيُّ، هَؤُلاَءِ اَلْقَوَّامُونَ بِالْقِسْطِ هَؤُلاَءِ اَلْقَوَّامُونَ بِالْقِسْطِ وَهَؤُلاَءِ اَلسَّابِقُونَ اَلسَّابِقُونَ أُولئِكَ اَلْمُقَرَّبُونَ)[1].

ويقول ﷺ في رواية أخرى:(بَشِّرِ اَلْمُخْبِتِينَ بِالْجَنَّةِ بُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ اَلْعِجْلِيُّ وَأَبُو بَصِيرٍ لَيْثُ بْنُ اَلْبَخْتَرِيِّ اَلْمُرَادِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَزُرَارَةُ، أَرْبَعَةٌ نُجَبَاءُ أُمَنَاءُ اَللَّهِ عَلَى حَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ، لَوْ لاَ هَؤُلاَءِ اِنْقَطَعَتْ آثَارُ اَلنُّبُوَّةِ وَاِنْدَرَسَتْ)[2].

الصّفة الخامسة: الأخلاق الحسنة.

لقد كانت تتّسم مدرسة الإمام الصادق ﷺ كذلك بالخلق الحسن تبعاً لإمامها ومن عرفت به؛ إذ كانت أخلاق الإمام الصادق ﷺ كأخلاق أجداده الطّاهرين وهذه لمحة عن أخلاقه ﷺ :

عفوه ﷺ :

عن حماد اللحام، قال: أتى رجل أبا عبد الله ﷺ فقال: إنَّ فلاناً ذكرك، فما ترك شيئاً من الوقيعة والشتيمة إلّا قاله فيك!. فقال أبو عبد الله ﷺ للجارية: «إيتيني بوضوء». فتوضّأ ودخل فقلت في نفسي: يدعو عليه. فصلّى ركعتين، فقال: «يا رب، هو حقي قد وهبته له وأنت أجود منّي وأكرم، فهبه لي ولا تؤاخذه بي ولا تقايسه». ثم رق فلم يزل يدعو فجعلت أتعجّب[3].

* ولما حضرته ﷺ الوفاة قال: «أعطوا فلاناً سبعين ديناراً». فقيل له: أ تعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة!. قال: «ويحك أما تقرأ القرآن: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾[4]»[5].

* ونقل أنَّه ﷺ كان يدعو في سجوده قائلاً: «اللهم اغفر لي ولأصحاب أبي؛ فإنّي أعلم أنَّ فيهم من ينتقصني»[6].

١- رجال الكشي: ج١/ ص١٧٠.
٢- المصدر نفسه: ج١/ ص١٧٠.
٣- مستدرك الوسائل: ج٦/ ص٣٩٦.
٤- سورة الرعد: ٢١.
٥- الكافي: ج٧/ ص٥٥.
٦- قرب الإسناد: ص٧٧.

عطاؤه عليه السلام:

قال الهياج بن بسطام: (كان جعفر الصادق عليه السلام يُطعم حتَّى لا يبقى لعياله شيء)[1].

* وقال هشام بن سالم: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا أعتم وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم فحمله على عنقه، ثم ذهب إلى أهل المدينة فقسّمه فيهم ولا يعرفونه. فلمّا مضى أبو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنّه كان أبو عبد الله[2].

* وعن معلى بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشت وهو يريد ظلة بني ساعدة، فأتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء. فقال: «بسم الله اللهم ردّ علينا». قال: فأتيته فسلّمت عليه.

قال: فقال: «معلى!».

قلت: نعم جعلت فداك.

فقال عليه السلام لي: «التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إليَّ».

فإذا أنا بخبز منتشر كثير، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز.

فقلت: جعلت فداك، أحمله على رأسي.

فقال عليه السلام: «لا أنا أولى به منك، ولكن امض معي».

قال: فأتينا ظلة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتَّى أتى على آخرهم ثم انصرفنا.

فقلت: جُعلت فداك، يعرف هؤلاء الحق؟!.

فقال: «لو عرفوه لواسيناهم بالدقة»[3].

* وقال أبو جعفر الخثعمي: أعطاني الصادق عليه السلام صرة. فقال لي: «ادفعها إلى رجل من بني هاشم ولا تعلمه أني أعطيتك شيئاً». قال: فأتيته. قال: جزاه الله خيراً ما يزال كل حين يبعث بها فنعيش به إلى قابل، ولكني لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله[4].

١- حلية الأولياء: ج٣/ ص١٩٤.

٢- الكافي: ج٤/ ص٨.

٣- المصدر نفسه: ج٤/ ص٨-٩.

٤- مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص٢٧٣.

علمه عليه السلام :

شهد عهد الإمام الصادق عليه السلام وببركته ازدهاراً واسعاً في العلم ونشر المعارف، حيث عكف الإمام عليه السلام على نشر العلوم المختلفة للناس.

يقول سالم بن أبي حفصة: لما هلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قلت لأصحابي: انتظروني حتَّى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فأعزّيه. فدخلت عليه فعزيته ثم قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله من كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لا يرى مثله أبداً.

قال: فسكت أبو عبد الله عليه السلام ساعة، ثم قال: «قال الله تبارك وتعالى: إنّ من عبادي من يتصدق بشقّ تمرة فأربيها له فيها كما يربي أحدكم فلوه حتَّى أجعلها له مثل أُحُد». فخرجت إلى أصحابي، فقلت: ما رأيت أعجب من هذا!

كنا نستعظم قول أبي جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله» بلا واسطة، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: «قال الله تعالى» بلا واسطة![1].

صبره عليه السلام :

تجرّع الإمام الصادق عليه السلام كبقية أجداده الغصص والويلات التي تشيب الرأس من قبل الحكومات الظالمة، إلّا أنَّه عليه السلام كان يصبر ويصبّر عياله وأهله على البلاء ويبشرهم بما للصابرين من الأجر والثواب. فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «نُعي إلى جعفر بن محمد عليه السلام إسماعيل بن جعفر وهو أكبر أولاده وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه فتبسّم. ثم دعا بطعامه وقعد مع ندمائه، وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام ويحث ندمائه، ويضع بين أيديهم ويعجبون منه لا يرون للحزن في وجهه أثراً. فلما فرغ قالوا: يا بن رسول الله، لقد رأينا عجباً أصبت بمثل هذا الابن وأنت كما نرى ؟!. قال: وما لي لا أكون كما ترون! وقد جاء في خبر أصدق الصادقين أني ميت وإياكم. إنّ قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم، فلم ينكروا ما يخطفه الموت منهم وسلموا لأمر خالقهم عز وجل»[2].

* وكان له ابن بينما هو يمشي بين يديه إذ غص فمات. فبكى عليه السلام وقال: «لئن أخذت لقد بقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت». ثم حُمل إلى النساء، فلما رأينه صرخنَ فأقسم عليهنَّ أن لا يصرخنَ. فلمّا أخرجه للدفن قال: «سبحان من يقتل أولادنا ولا نزداد له إلا حبّاً». فلما دفنه قال: «يا بني، وسّع الله في ضريحك وجمع بينك وبين نبيك»[3].

١- أمالي الطوسي: ص١٢٥.

٢- وسائل الشيعة: ج٣/ ص٢٥٣-٢٥٤.

٣- بحار الأنوار: ج٤٧/ ص١٨.

لقد كانت هذه بعض مميزات مدرسة الإمام الصادق ﷺ على الرغم من التّضييق الذي كان على الإمام ﷺ؛ وكان من شدّة التضييق على الإمام ﷺ أنَّ الشيعة والموالين لا يتمكّنون من التّشرّف بحضور الإمام ﷺ للسؤال عن أحكام دينهم، ولذا فإنَّهم كانوا يتنكّرون حتَّى يصلوا إليه ويسألوه. ومن ذلك ما نقله هارون بن خارجة قال: كان رجل من أصحابنا طلّق امرأته ثلاثاً. فسأل أصحابنا فقالوا: ليس بشيء. فقالت امرأته: لا أرضى حتَّى تسأل أبا عبد الله ﷺ. وكان بالحيرة إذ ذاك أيَّام أبي العباس، قال: فذهبت إلى الحيرة ولم أقدر على كلامه؛ إذ منع الخليفة الناس من الدّخول على أبي عبد الله ﷺ، وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه، فإذا سوادي عليه جبّة صوف يبيع خياراً. فقلت له: بكم خيارك هذا كله؟.

قال: بدرهم. فأعطيته درهماً وقلت له: أعطني جبّتك هذه، فأخذتها ولبستها وناديت: من يشتري خياراً، ودنوت منه. فإذا غلام من ناحية ينادي: يا صاحب الخيار. فقال ﷺ لي لما دنوت منه: «ما أجود ما احتلت، أي شيء حاجتك؟».

قلت: إني ابتليت فطلقت أهلي في دفعة ثلاثاً فسألت أصحابنا فقالوا: ليس بشيء وإن المرأة قالت: لا أرضى حتَّى تسأل أبا عبد الله ﷺ. فقال: «ارجع إلى أهلك فليس عليك شيء»[1].

١- بحار الأنوار: ج٤٧/ ص١٧١.

شهر
ربیع الآخر

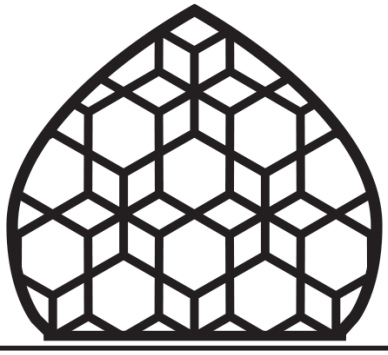

معارف عن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

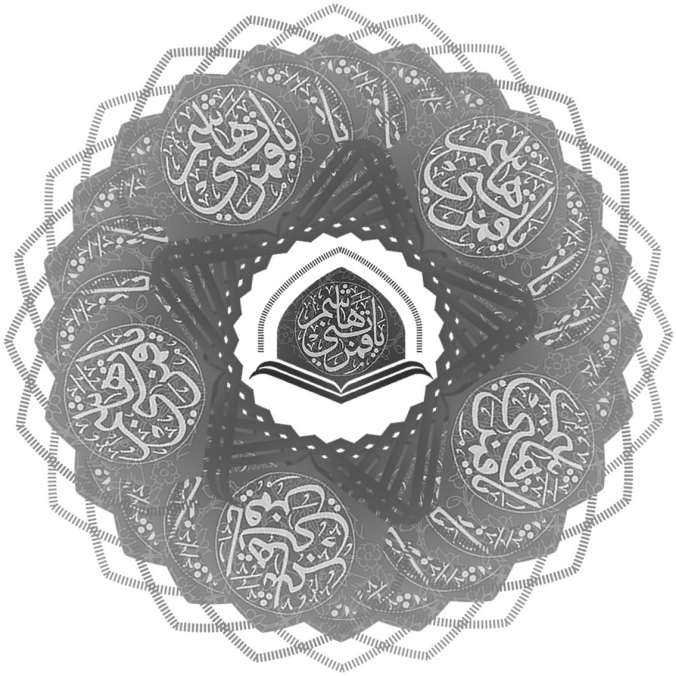

معارف عن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

السيد ضياء الخباز

قال الإمام الرضا عليه السلام في حقّ مولاتنا فاطمة المعصومة عليها السلام: " **مَنْ زَارَهَا عَارِفاً بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّة**"[1].

بحثنا من هذه الرّواية الشّريفة يدور حول معرفة السّيّدة المعصومة عليها السلام وأنّها باب من أبواب الجنة؛ والحديث حول هذا الموضوع يكون في جهتين:

الجهة الأولى: قيمة معرفتها عليها السلام.

الجهة الثّانية: ما هي المعرفة المطلوبة بها عليها السلام؟

الجهة الأولى: قيمة معرفة السّيّدة المعصومة عليها السلام.

هنالك أطروحة يطرحها بعضهم، وتتردّد على بعض الألسنة؛ وهي أنَّ الإنسان فيما يرتبط بالمعرفة تكفيه المعرفة الإلزامية؛ والمراد من المعرفة الإلزامية المعرفة التي بها قوام دين الإنسان؛ بمعنى أنّ أي خلل يطالها فإنَّه يؤثّر على دين الإنسان؛ إذ هناك معرفة إلزامية لا يمكن لأيّ شخص أن يتجاهل شيئاً منها؛ وهذا تدل عليه مجموعة من الرّوايات؛ مثلاً ورد في الرّواية عن علي ابن أبي حمزة عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ:" سَمِعْتُهُ يَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ: لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنِ الدِّينِ الَّذِي افْتَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ مَا لَا يَسَعُهُمْ جَهْلُهُ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرُهُ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ ثُمَّ سَكَتَ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: وَالْوَلَايَةُ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ، وَلَا يَسْأَلُ الرَّبُّ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: أَلَّا زِدْتَنِي عَلَى مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكَ وَلَكِنْ مَنْ زَادَ زَادَهُ اللهُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله سَنَّ سُنَناً حَسَنَةً جَمِيلَةً يَنْبَغِي لِلنَّاسِ الْأَخْذُ بِهَا"[2].

١- بحار الأنوار:ج٤٨ / ص٣١٧.

٢- الكافي- ط الإسلامية ج: ٢ ص: ٢٤؛ وفي نفس المصدر: عَنْ صَفْوَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ ع وَ هُوَ فِي مَنْزِلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا حَوَلَكَ إِلَى هَذَا الْمَنْزِلِ قَالَ طَلَبُ النُّزْهَةِ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَ لَا أَقُصُّ عَلَيْكَ دِينِي فَقَالَ بَلَى قُلْتُ أَدِينُ اللَّهَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ حَجِّ الْبَيْتِ وَ الْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ص وَ الْوَلَايَةِ لِلْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ وَ الْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ الْوَلَايَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ لَكَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَ أَنْكُمْ أَئِمَّتِي عَلَيْهِ أَحْيَا وَ عَلَيْهِ أَمُوتُ وَ أَدِينُ اللهَ بِهِ فَقَالَ يَا عَمْرُو هَذَا وَ اللهِ دِينُ اللهِ وَ دِينُ آبَائِيَ الَّذِي أَدِينُ اللهَ بِهِ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ فَاتَّقِ اللهَ وَ كُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَ لَا تَقُلْ إِنِّي هَدَيْتُ نَفْسِي بَلِ اللهُ هَدَاكَ فَأَدِّ شُكْرَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ عَلَيْكَ وَ لَا تَكُنْ مِمَّنْ إِذَا أَقْبَلَ طُعِنَ فِي عَيْنِهِ وَ إِذَا أَدْبَرَ طُعِنَ فِي قَفَاهُ وَ لَا تَحْمِلِ النَّاسَ عَلَى كَاهِلِكَ فَإِنَّكَ أَوْشَكُ إِنْ حَمَلْتَ النَّاسَ عَلَى كَاهِلِكَ أَنْ يُصَدِّعُوا شَعَبَ كَاهِلِكَ".
عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِالْإِسْلَامِ أَصْلِهِ وَ فَرْعِهِ- وَ ذِرْوَةِ سَنَامِهِ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ أَمَّا أَصْلُهُ فَالصَّلَاةُ وَ فَرْعُهُ الزَّكَاةُ وَ ذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِأَبْوَابِ الْخَيْرِ قُلْتُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَ الصَّدَقَةُ تَذْهَبُ بِالْخَطِيئَةِ وَ قِيَامُ الرَّجُلِ فِي

وهذه الرّواية وأمثالها تشير إلى أنّ هناك معرفة إلزامية للإنسان إذا تجاوز الإنسان عنصراً من عناصرها أو ركناً من أركانها فقد تعرّض وأصيب دينه بخلل؛ وبعضهم يطرح، ويقول: نحن ملزمون بالمعرفة الإلزامية، أمّا ما سوى المعرفة الإلزامية لا حاجة إليها؛ ولذلك لّما يأتي صاحب الإشكال إلى مسألة التفاضل بين الأنبياء ﷺ أو بين الأئمّة ﷺ، وأنّ الأئمّة ﷺ أفضل من الأنبياء فيقول: هذا علم لا يضّر من جهله، ولا ينفع من علمه، وكذلك حينما تطرح مسألة أيّهما أفضل الصّدّيقة الطّاهرة الزّهراء ﷺ أو السيّدة مريم ﷺ يقول لك: هذا ترف فكري، وهذا علم سواء عرفناه أو لم نعرفه غير مضّر بنا؛ وإنَّما نحن مطالبون بالمعرفة الإلزامية وأما معرفة أنَّ مولاتنا الزهراء ﷺ أفضل من كلّ النساء الباقيات فهذا مما لا نهتم به كونه من المعارف الكمالية، وحتّى لو لم نعرف أنَّ الأئمّة ﷺ أفضل من الأنبياء ﷺ؛ فهذا كذلك لا يضر بدين الإنسان مادام الإنسان قد حصل على المعرفة الإلزامية فإنّ المعرفة الإلزامية تكفي، ولا يحتاج إلى شيءٍ بعدها.

وهذه الأطروحة غير دقيقة وغير صحيحة؛ والسّبب في ذلك أنَّ المعارف على نوعين؛ معرفة إلزامية؛ وهذه المعرفة الإلزامية كما بيّنّا هي التي قوام دين الإنسان بها؛ مثل معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة النبي الأعظم ﷺ، ومعرفة الأئمّة الطّاهرين ﷺ، وهناك معرفة كمالية؛ وهذه المعرفة الكمالية عدم الإحاطة بها وإن كان لا يضر بالحدّ الأدنى من دين الإنسان، ولكن يضر بكمال دين الإنسان؛ وكذلك علينا أن نعرف أنَّ المعرفة الإلزامية تحقّق الحدّ الأدنى من الدّين؛ ولكن هناك حدّ أعلى، وهناك تكامل في المعرفة وهذا الحد الأعلى تحقّقه المعرفة الكمالية؛ ومعرفة أنّ الأنبياء ﷺ دون الأئمّة الطّاهرين ﷺ وإن كانت غير معرفة إلزامية لكنها معرفة كمالية؛ بمعنى أنَّ الحدّ الأعلى من المعرفة الدّينية لا يتحقّق إلّا بمعرفة أنَّ محمداً وآل محمّد هم سادة الخلق ﷺ، وكذلك بالنسبة لمعرفة الصدّيقة الطاهرة الزهراء ﷺ وأنّها سيدة نساء العالمين؛ وما السّيّدة مريم ﷺ وأمثال مريم إلّا دونها فضلاً؛ وهذه المعرفة وإن كانت غير إلزامية، وأنَّ الإنسان إذا ما عرفها فلا يضر ذلك بدينه، ولكنها معرفة كمالية؛ فقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق ﷺ: " هِيَ الصِّدِّيقَةُ الْكُبْرَى وَعَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقُرُونُ الْأُولَى"[1] فالتكامل في سلّم المعرفة والوصول إلى الحدّ الأعلى من المعرفة لا يتحقّق إلّا بمعرفة أنَّ الصّدّيقة الطّاهرة ﷺ سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين.

صحيح عندنا معرفة إلزامية لكن وجود المعرفة الإلزامية لا يعني أنَّ ما سواها علم لا يضر جهله، ولا تنفع معرفته وكونها معرفة إلزامية لا يعني أنّ ما سواها لا أثر له ولا ثمرة له ولا قيمة له؛ لكن المعرفة الإلزامية يعني أنّها تحقّق الحدّ الأدنى من الدّين فقط؛ حيث يمكن أن يقال أنَّ هذا الإنسان صاحب دين؛

جَوْفِ اللَّيْلِ بِذِكْرِ اللهِ ثُمَّ قَرَأَ عليه السلام تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ".

١- عوالم العلوم: ج ١١ / ص ١٩٨ .

أمّا التكامل في سلّم المعرفة لا يتحقق بالمعرفة الإلزامية؛ بل يتحقّق بضم المعرفة الكمالية إلى المعرفة الإلزامية.

وأذكر على ذلك شاهدين:

الشّاهد الأوّل: قول الإمام الرّضا عليه السلام في حقّ أخته السّيّدة المعصومة عليها السلام: " مَنْ زَارَهَا عَارِفاً بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّة"[1].

إنَّ معرفة السّيّدة المعصومة عليها السلام وإن كانت معرفة غير إلزامية؛ بمعنى لو أنَّ شيعيًّا لم يعرف مقام السيدة الطَّاهرة عليها السلام، ولم يعرف ما لها من المقام، وما لها من الشَّأن، فهذا لا يخرجه عن التّشيّع ولا يضر بمذهبه ولا يضر بانتمائه المذهب؛ لكن هذه المعرفة على الرغم من عدم كونها معرفة إلزامية إلّا أنَّها سلّم الوصول الى الجنة؛ لأنَّ الرّواية تُبيّن حقيقة ونتيجة معرفتها:" مَنْ زَارَهَا عَارِفاً بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّة"، وأنّها باب من أبواب الجنّة، ومرقاة في سلّم كمال المعرفة الدّينيّة.

الشّاهد الثّاني: حينما نقرأ نصّ زيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام سنجد ما يدلّل على أهمّيّة معرفتها عليها السلام؛ فقد ورد في الزّيارة قوله عليه السلام:"... السَّلامُ عَلَيْكِ عَرَّفَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ فِى الْجَنَّةِ، وَحَشَرَنا في زُمْرَتِكُم وَأَوْرَدَنا حَوْضَ نَبِيِّكُمْ، وَسَقانا بِكَأسِ جَدِّكُمْ مِنْ يَدِ عَلِيِّ بْنِ أبى طالِب صَلَواتُ اللهِ عَلَيْكُمْ أسْأَلُ اللهَ أنْ يُرِيَنا فيكُمُ السُّرُورَ وَالْفَرَجَ، وَأنْ يَجْمَعَنا وإيّاكُمْ فى زُمْرَةِ جَدِّكُمْ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأنْ لا يَسْلُبَنا مَعْرِفَتَكُمْ إنَّهُ وَلِيٌّ قَديرٌ..."[2]. وموضع الشاهد هنا قوله عليه السلام:" وَأنْ لا يَسْلُبَنا مَعْرِفَتَكُمْ". فالزَّائر هنا بعد تشرّفه بزيارة المعصومة عليها السلام وتقبيل أعتابها يطلب من الله تعالى أن لا يسلبه تلك المعرفة مع أنّها معرفة غير إلزامية؛ والسّبب في ذلك لأنّ هذه المعرفة دخيلة في تكامل ورقيّ الإنسان ووصوله إلى الحدّ الأعلى من المعرفة الدّينية لذلك تتضرّع إلى الله تعالى في زيارتها أن لا يسلبك معرفتها عليها السلام؛ وبهذا المقدار اتضحت عندنا قيمة معرفة السيدة المعصومة عليها السلام.

الجهة الثانية: ما هو الحقّ الثابت للسّيّدة المعصومة عليها السلام؟

عندما نرجع إلى الرّواية الشّريفة عن الإمام الرّضا عليه السلام:" من زارها عارفًا بحقّها فله الجنة" سيتّضح هناك شيء ملفت جدًّا؛ والملفت في الرّواية هو تعبير الإمام عليه السلام بأنَّ السيدة المعصومة عليها السلام لها حق "من زارها عارفاً بحقّها" فهذا التعبير حينما ترجع للروايات تجد أنَّ هذه الصّيغة قد استخدمت مع المعصومين عليهم السلام؛ وإليك نماذج منها:

ورد في الرّواية عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام:" مَن زارَ الحُسَينَ عليه السلام عارفا بِحَقِّهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَوابَ ألفِ

١- بحار الأنوار:ج٤٨ / ص٣١٧.

٢- زاد المعاد- مفتاح الجنان:ج: ١/ ص: ٥٤٨.

حَجَّةٍ مَقبولَةٍ، وألفِ عُمرَةٍ مَقبولَةٍ، وغَفَرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وما تَأَخَّرَ"[1].

وعَنِ الْبَزَنْطِيِّ قَالَ سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام؛ يَقُولُ:" مَا زَارَنِي أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي عَارِفاً بِحَقِّي إِلَّا تَشَفَّعْتُ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2]؛ فنجد مصطلح معرفة الحقّ، وأنَّ للإمام حقاً واضحًا؛ وعن حمزة بن حُمران قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام:" تُقتَل حفدتي (يعني أحد حفدتي) بأرض خراسان في مدينة يُقال لها "طوس "، مَن زاره إليها عارفاً بحقّه أخذْتُه بيَديّ يومَ القيامة وأدخلته الجنّة وإن كان من أهل الكبائر. قلت: جُعلتُ فداك، وما عرفان حقّه؟ قال: يعلم أنّه إمامٌ مفترَضُ الطاعة غريبٌ شهيد، مَن زاره عارفاً بحقّه أعطاه الله عزّوجلّ أجرَ سبعين شهيداً ممّن استُشهد بين يدَي رسول الله صلى الله عليه وآله على حقيقته"[3].

فهذا إمام، وحينما تقول من زاره عارفاً بحقّه؛ يعني عارفاً بأنّه إمام مفترض الطّاعة وهذه معرفة إلزامية واجبة لازمة لذلك هي دخيلة في زيارة الأئمة عليهم السلام؛ لكن الملفت أنَّ هذه الرّواية تحدث عن السّيدة المعصومة عليها السلام؛ نعم هذا إمام وله حقّ ثابت فهمناه؛ أمّا السيدة المعصومة عليها السلام فحينما يأتي الإمام الرضا عليه السلام ويقول :"من زارها عارفا بحقّها صلوات الله وسلامه عليها" فهذه قضية ملفتة للنظر، وتحتاج إلى الجواب؛ وهذا يجرنا إلى سؤال مهم: ما هو الحقّ الثابت لها عليها السلام؟

الجواب عن ذلك:

إنَّ الحَّق الثابت لها قد أثبته زيارتها عليها السلام؛ فقد روى العلامة المجلسي (رض) عن بعض كتب الزيارات عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن سعد الأشعري القمّي عن الرضا صلوات الله عليه قال: قال: يا سعد عندكم لنا قبر. قلت: جعلت فداك قبر فاطمة عليها السلام بنت موسى بن جعفر عليه السلام. قال: بلي، من زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة. فإذا أتيت القبر فقم عند رأسها مستقبلاً القبلة وقل: أربعاً وثلاثين مرة: الله أكبَرُ، وثلاثاً وثلاثين مرة: سُبْحانَ الله، وثلاثاً وثلاثين مرّة: الحَمْدُ لله، وقل:

السَّلامُ عَلَى آدَمَ صِفْوَةِ اللهِ.

السَّلامُ عَلَى نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ.

السَّلامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ.

السَّلامُ عَلَى مُوسَى كَلِيمِ اللهِ....

إلى أن يقول عليه السلام: يَا فَاطِمَةُ اشْفَعِي لِي فِي الْجَنَّةِ فَإِنَّ لَكِ عِنْدَ اللهِ شَأْنا مِنَ الشَّأْنِ".[4]

١- لأمالي للطوسي : ص ٢١٤ / ح ٣٧٢، بشارة المصطفى : ص ١٠٩، بحار الأنوار : ج ١٠٠/ ص ٢٥٧.

٢- أمالي الصدوق: ص ١١٩.

٣- (أمالي الصدوق: ص ١٠٥ / ح ٨ وعنه: بحار الأنوار ١٠٢: ٣٥/ ح ١٧ و ١٨، وعن عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢: ٢٥٩. وعنهما وعن مَن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ٢: ٥٨٤. ورواه: الحرّ العاملي في إثبات الهداة ٣: ٢٣٣ وص ٨٩.

٤- مفاتيح الجنان، للمحدث الشيخ عباس القمي (رحمه الله)، نقلاً عن بحار الأنوار.

وهـذه الزيـارة قـد تضمّنـت بعضـاً مـن حقـوق هـذه السّـيّدة الجليلـة، وبعـض مفاتيـح معرفتهـا صلـوات الله وسـلامه عليهـا؛ ولكـن هنـا نقـف عنـد حـقّ واحـدٍ مـن حقوقهـا؛" يَـا فَاطِمَـةُ اشْـفَعِي لِي فِي الْجَنَّـةِ فَـإِنَّ لَـكِ عِنْـدَ اللهِ شَـأْنا مِـنَ الشَّـأْنِ".

وهذه الفقرة تتضمّن إثبات حقّ للسيدة المعصومة ﷺ، وهذا الحقّ هو أنّ لها شأناً من الشأن، وعن هذا الحق تتفرع مقاماتها العظيمة ﷺ؛ وحتَّى يتبين الموضوع لا بُدّ من إيضاح ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عندما تخاطب السيدة المعصومة ﷺ تقول لها: "فإنّ لكِ عند الله شأناً من الشأن".

الشـأن كـما هـو واضـح مـن الاسـتعمالات العرفيـة والمـراد بـه المقـام العظيـم؛ وحينـما نقـول: فـلان لـه شـأن أو فـلان صاحـب شـأن؛ يعنـي أنّـه صاحـب مقـام عظيـم؛ وهـذا الاسـتعمال وارد في لسـان الرّوايـات كذلـك عـن المعصومـين ﷺ عَـنْ أَبِي يَحْيَـى الصَّنْعَـانِيِّ عَـنْ أَبِي عَبْـدِ اللهِ ﷺ قَـالَ: قَـالَ لِي يَـا أَبَـا يَحْيَـى إِنَّ لَنَـا فِي لَيَـالِي الْجُمُعَـةِ لَشَـأْناً مِـنَ الشَّـأْنِ قَـالَ قُلْـتُ جُعِلْـتُ فِـدَاكَ وَمَـا ذَاكَ الشَّـأْنُ قَـالَ يُـؤْذَنُ لِارْوَاحِ الانْبِيَـاءِ الْمَوْتَـى ﷺ وَأَرْوَاحِ الاوْصِيَـاءِ الْمَوْتَـى وَرُوحِ الْـوَصِيِّ الَّـذِي بَـيْنَ ظَهْرَانَيْكُـمْ يُعْـرَجُ بِهَـا إِلَى السَّـمَاءِ حَتَّـى تُـوَافِيَ عَـرْشَ رَبِّهَـا فَتَطُـوفَ بِـهِ أُسْـبُوعاً وَتُصَـلِّيَ عِنْـدَ كُلِّ قَائِمَـةٍ مِـنْ قَوَائِـمِ الْعَـرْشِ رَكْعَتَـيْنِ ثُـمَّ تُـرَدُّ إِلَى الابْـدَانِ الَّتِـي كَانَـتْ فِيهَـا فَتُصْبِـحُ الانْبِيَـاءُ وَالاوْصِيَـاءُ قَـدْ مُلِئُـوا سُرُوراً وَيُصْبِـحُ الْـوَصِيُّ الَّـذِي بَـيْنَ ظَهْرَانَيْكُـمْ وَقَـدْ زِيـدَ فِي عِلْمِـهِ مِثْـلُ جَـمِّ الْغَفِيـرِ"[1]. وهـذا شـأن مـن شـؤون آل محمـد ﷺ، ورتبـة مـن رتبهـم؛ والمـراد هنـا بالشّـأن أنّـه مقـام عظيـم مـن مقاماتهـم ورتـب عاليـة مـن رتبهـم.

المطلب الثاني: لماذا الزيارة استخدمت أسلوب التنكير:" يَا فَاطِمَةُ اشْفَعِي لِي فِي الْجَنَّةِ فَإِنَّ لَكِ عِنْدَ اللهِ شَأْناً مِنَ الشَّأْنِ"؛ والجواب على ذلك لأجل إفادة التّعظيم؛ ويعني هذا أنَّ هذا الشَّأن شأن عظيم وشأن جليل.

وأقرّب الفكرة بمثال؛ وهو حينما نقرأ القرآن الكريم وهو يتحدّث عن نفسه؛ يقول: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2] فهدى هنا نكرة ولم يقل (الهدى)؛ وهنا السبب لأجل التّعظيم؛ والقرآن هنا يريد أن يقول: أنَّه هدى عظيم، وهدى جليل، وهدى فخم، وهدى كبير؛ وغاية التنكير هنا إفادة التعظيم.

والزيارة أرادت التنبيه على ذلك، وأنَّ السيدة المعصومة ﷺ لها شأن لكن هذا الشأن ليس أي شأن بل هو شأن عظيم وشأن جليل وشأن كبير؛ لذلك استخدمت أسلوب التّنكير.

المطلب الثالث: ما هو هذا الشأن الذي أثبتته الزيارة للسيدة الطّاهرة المعصومة ﷺ؟

الجواب على ذلك: نحن لا نعرفه، ولكن نعرف خصوصية من خصوصيته، وهذا الشّأن العظيم وهذا

١- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول/ ج٣/ ص ١٠٥.

٢- سورة البقرة؛ الآية: ٢.

الشَّأن الشَّامخ وهذا الشَّأن الكبير كل عقول العالم ما خلا المعصوم تنحسر دون معرفته؛ لكن نحن نعرف خصوصيّة من خصوصيّاته، وهذه الخصوصية أنَّ مقام الشَّفاعة للسيدة المعصومة ﷺ إنَّما يتفرّع عن ذلك الشَّأن، وهذا المقام على عظمته يتفرّع عن ذلك الشّأن؛ ويأتي السّؤال ما هي المقامات والصّفات والكمالات التي تتفرّع عن ذلك الشّأن؟؛ فهذا فوق عقولنا وتنحسر العقول عنه والمقدار الذي نعرفه هو هذا المقدار وأنَّ مقام الشفاعة الكبرى إنَّما هو فرع من فروع ذلك الشّأن وثمرة من ثمرات ذلك الشّأن تماماً كجديها رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ؛ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ ﷺ إِذَا كَانَ لَكَ يَا سَمَاعَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةٌ فَقُلِ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ فَإِنَّ لَهُمَا عِنْدَكَ شَأْناً مِنَ الشَّأْنِ وَ قَدْراً مِنَ الْقَدْرِ فَبِحَقِّ ذَلِكَ الشَّأْنِ وَ بِحَقِّ ذَلِكَ الْقَدْرِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَ كَذَا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَ لَا مُؤْمِنٌ مُمْتَحَنٌ إِلَّا وَ هُوَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ"[1].

هذه كلّها الشّفاعة العظمى للرسول الأعظم محمد ﷺ ولأمير المؤمنين علي ﷺ؛ وكونهما باب الحوائج والوسيلة الى الله، هذا كلّ يتفرع أنّ لهما شأناً من الشّأن وقدراً من القدر وهكذا السّيّدة المعصومة ﷺ.

ولكن هذا الشَّأن تنحسر عقولنا دون معرفته، ويكفيك هذه النّافذة لمعرفة عظمة هذا الشّأن؛ وهي أنَّ الشّفاعة الكبرى لها يوم القيامة متفرّع عن هذا الشّأن الثابت لها؛ وقد ورد في الرّواية عن الإمام جعفر الصادق ﷺ يقول:" إنّ لله حرماً وهو مكة، ألا إنَّ لرسول الله حرمًا وهو المدينة، ألا وإن لأمير المؤمنين حرمًا وهو الكوفة، ألا وإنَّ قم الكوفة الصغيرة.

ألا إنَّ للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنة بأجمعهم"[2].

إنَّ شفاعة السّيّدة المعصومة شفاعة لكلّ الشّيعة، وتشفع لجميع الشّيعة فيدخلون الجنة ببركة شفاعتها ﷺ؛ لذلك قلنا شفاعة عظمى وكبرى وهذه الشّفاعة العظمى الكبرى لها ﷺ التي يتحدّث عنه الإمام الصادق متفرعة عن (شأناً من الشأن) وهذا الشأن تنحسر العقول دون معرفته، ولا عجب أن تصل إلى هذا المقام العظيم الشّامخ :" من زارها عارفاً بحقّها فله الجنة يا فاطمة شفعي لي عند الله فإنَّ لكِ عند الله شأناً من الشّأن"، ولا عجب أن تصل إلى هذا المقام الشَّامخ فقد كانت امرأةً فقيهةً عالمةً من علماء أهل البيت ﷺ، وهي التي كان يقول لها أبوها الكاظم ﷺ (فداها أبوها) لعظمة منزلتها صلوات الله وسلامه عليها وهي التي يصفها الإمام الرّضا بالمعصومة؛ فأيّ امرأة تلك المرأة العظيمة، ولا عجب أن تصل إلى هذه المراتب والكمالات؛ فقد تحمّلت من المصائب ما لا تحتمله القلوب:

١- الكافي:ج ٢ / ص ٥٦٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٥٧ / ص ٢٢٨.

فارقت أباها باب الحوائج صلوات الله وسلامه عليه، وتحمّلت غيابه في السّجون لسنوات، ثم فارقت أخاها ونور عينها وسرور قلبها، وبقيت تتحمّل لوعة فراق:

"خرج الإمام الرّضا ﷺ عن موطنه وأهله وذويه من دون أن يكون له خيار في ذلك. ومما يثير الاستغراب أنَّ الإمام الرّضا ﷺ قد أقام العزاء على نفسه قبل مغادرته المدينة، فقد روى الصدوق بسنده عن الحسن بن علي الوشاء، قال: قال لي الرضا ﷺ: إنّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة، جمعت عيالي، فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتَّى أسمع، ثم فرّقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً.

وبعد، فأين كانت السّيّدة فاطمة المعصومة من هذا كلّه؟ وما هي حالها وهي ترى شقيقها يتركها في المدينة وينتقل إلى خراسان حيث الغربة والعناء وفراق الأهل وجوار الرسول ﷺ؟ ولو كان الأمر بيده أو بيدها لخرجت معه ولسارت حيث يسير، وعاشت حيث يعيش، ولكنّه خرج مقهوراً تاركاً عياله وأخواته حتَّى ابنه الإمام الجواد ﷺ، الذي كان له من العمر سبع سنوات، بل أقلّ من ذلك كما يستفاد ممّا ذكره الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال: ومضى الرضا علي بن موسى ﷺ ولم يترك ولداً نعلمه إلّا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي ﷺ وكانت سنّه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهراً.

وكان خروج الإمام الرضا ﷺ من المدينة سنة ٢٠٠هـ وشهادته سنة ٢٠٣هـ. وقد اعتصر قلب السيدة فاطمة المعصومة ﷺ من الألم ولوعة الفراق، وعلمت من خلال ما جرى أنّ أخاها لن يعود، وكانت في جملة الباكين عليه، وقد سمع بكاءها وحسرتها على فراقه، ولعلّه أسرّ إليها أو علمت من خلال مجرى الأحداث بما سيقدم عليه من آلام ومآسي. وسار الموكب الرضوي يقطع البيد والمفاوز والقفار ميمّماً نحو خراسان حيث مركز حكم المأمون وسلطانه.

ومضى عام على رحيل أخيها عنها فهاجت بها لواعج الحنين والشوق إلى أخيها الغريب، وقد علم الإمام ﷺ بحال أخته، فإنّها لم تغب عن قلبه، وهو يعلم شدّة تعلّقها به، فكتب إليها كتاباً يطلب منها القدوم عليه، وأعطاه أحد غلمانه، وأمره بالمسير إلى المدينة ولا يلوي على شيء، ولا يقف في طريقه إلّا بمقدار الضرورة ليوصل الكتاب في أسرع وقت ممكن، وقد أعلمه الإمام ﷺ بالمكان والبيت لئلا يسأل أحداً من الناس.

وأغذّ الغلام المسير يواصل ليله ونهاره، حتَّى شارف المدينة، وجاء إلى بيت الإمام ﷺ وسلّم الكتاب إلى فاطمة المعصومة ﷺ. وما إن وقع بصرها على خطّ الإمام حتَّى تذكرت أخاها، وما كان له معها من شأن، وكأنّه لم يمض عام واحد فحسب، وإنّما عشرات الأعوام. ثم إنّها تهيّأت للمسير.

وقد ذكرت المصادر أنّها لما أزمعت الرّحيل إلى لقاء أخيها في طوس، أعدّت للسفر عدّته، وتهيّأ

ركب قوامه اثنان وعشرون شخصاً ضمّ بعض أخوتها، وبعض أبنائها وغلمانهم، وساروا يقطعون البيد والقفار واتخذوا من الطّريق المؤدّي إلى قم مساراً لهم إلى طوس. وفي الوقت نفسه تهيّأ ركب آخر من بقيّة إخوتها ومن انضمّ إليهم، وخرجوا قاصدين إلى طوس حيث الإمام الرضا ﷺ، فقد ذكروا أنّ الإمام الرضا ﷺ قد استأذن المأمون في قدومهم، وكان قوام هذا الركب ثلاثة آلاف شخص، فقد التحق بهم عدد كبير من بني أعمامهم وأولادهم وأقاربهم ومواليهم، كما التحق بهم في مسيرهم أعداد كبيرة من الشيعة رجالاً ونساءً حتّى بلغوا قريباً من خمسة عشر ألف شخص.

وقد اختاروا المسير عن طريق شيراز وكان في طليعة هذا الرّكب أحمد ومحمد والحسين أبناء الإمام الكاظم ﷺ. وأمّا ركب السيدة فاطمة المعصومة ﷺ فقد اتخذ طريق قم، ولكن ما إن وصل إلى ساوة - وهي بلدة لا تبعد كثيراً عن قم - حتّى حوصر الرّكب، فقتل وشرّد كل من فيه، وجرحوا هارون أخا الإمام الرضا ﷺ، ثم هجموا عليه وهو يتناول الطعام فقتلوه.

وكان ذلك كلّه بمرأى من السّيّدة فاطمة المعصومة ﷺ، فقد شاهدت مقتل إخوتها وأبنائهم، ورأت تشرّد من بقي منهم، فماذا سيكون حالها آنذاك؟. وعلى أيّ حال فقد كانت الأيّام الأخيرة من حياة السيدة فاطمة المعصومة ﷺ مريرة مؤلمة عانت فيها آلاماً في الرّوح وآلاماً في الجسد حتّى آذنت شمسها بالمغيب.

ورحلت السيدة المعصومة ﷺ من ساوة وهي مثقلة بالهموم والآلام والأحزان ميمّمة نحو قم، وكانت على موعدٍ مع هذه البلدة الطّيّبة، والتي ستزداد مكانتها رفعة وشأناً وشرفاً يوم تطأ أرضها قدما السيدة فاطمة ﷺ، ولنا حديث حول قم وتاريخها سيأتي في موضعه. لقد علمت السيدة فاطمة المعصومة ﷺ بأنّها المعنية فيما ورد عن جدّها الإمام الصادق ﷺ يوم قال: "وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنة ".

وذكر الرواة أنَّ الإمام ﷺ قد حدّث بذلك قبل ولادة الإمام الكاظم ﷺ. وعلمت السيدة فاطمة ﷺ بقرب رحيلها عن الدنيا، وأنّها لن تلبث إلا أيّاماً قليلة، كما علمت أنَّ مواصلة المسير إلى طوس أصبح عسيراً بعد أن فقدت إخوتها وأبناءهم قتلاً وتشريداً، ولم تكن أرض ساوة ولا أهلها آنذاك أهلاً لاستضافتها، ومن أجل ذلك كان لابُدّ أن رحلت عن ساوة إلى قم، فأمرت خادمها أن يحملها إليها.

ولما بلغ أهل قم نبأ قرب وصولها خرج الأشراف لاستقبالها، ولعلّهم كانوا يعلمون بما حدّث به الإمام الصادق ﷺ، وأنّ هذه المرأة الجليلة هي التي وعدوا بها، وكان في طليعة مستقبليها موسى بن خزرج بن سعد الأشعري، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها، وجرّها إلى منزله وكانت في داره سبعة عشر يوماً. ولا زال موضع المنزل ماثلاً إلى اليوم، حيث أصبح مدرسة علميّة ومسكناً لطلاب العلوم الدينية في قم، وقد اتخذت من بيته موضعاً جعلته محراباً لها تصلّي فيه.

يقول الشيخ المحدّث القمّي:" والمحراب الذي كانت فاطمة رضي الله عنها تصلّي فيه موجود إلى الآن في دار موسى ويزوره الناس ". وما يزال هذا المحراب المبارك موجوداً إلى يومنا هذا ويقع في محلّة ميدان مير ومعروف بـ "ستية" والتي بمعنى السيّدة. لقد كانت السيدة فاطمة المعصومة ﷺ تأمل في أن تحظى بلقاء شقيقها الرضا ﷺ، لتطفئ لواعج الشوق والحنين، وتروي ظمأ الفؤاد، وكانت تغذّ السير نحو طوس لا تلوي على شيء.. ولكنّها الأقدار الإلهية ومشيئة الخالق الحكيم، وليس إلا التسليم والرضا بما شاء وأراد"[1].

١ - فاطمة المعصومة قبس من أشعة الزهراء، محمد علي المعلم، دار الهادي، ط١، بيروت/ لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٣٢-١٥٠.

شهر
جمادى الأولى

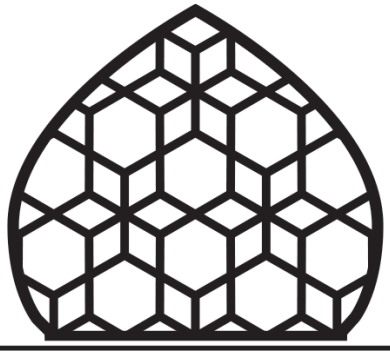

- قراءة في الخطب الفاطمية والزَّينبيّة عليهما السلام دراسة في ضوء أنساق التداول التعبيري
- مقامات السيدة الزهراء عليها السلام ومحوريتها في الربط بين منزلتي النبوة والإمامة -دراسة في الروايات-

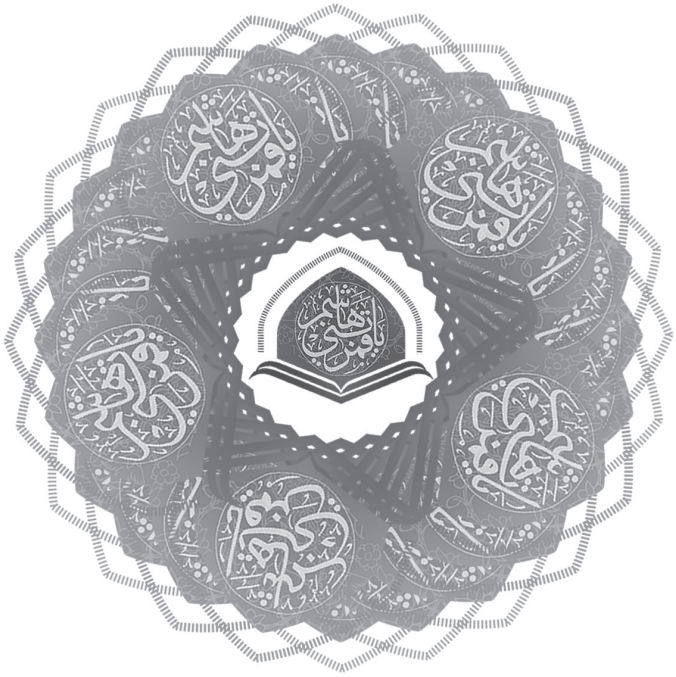

قراءة في الخطب الفاطميّة والزّينبيّة ﷺ دراسة في ضوء أنساق التّداول التّعبيري

أ.م.د. فاطمة عبد الأمير راضي السلامي

المقدمة :

كانت وما تزال نصوص أهل البيت ﷺ محط عناية واهتمام الدَّارسين واهتمامهم من مختلف الأديان والمذاهب، إذ لعظمة أهل هذا البيت ﷺ لم تشغل نصوصهم أبناء شيعتهم أو أبناء الأمَّة الإسلامية فحسب بل انتشرت نصوصهم في مختلف بقاع الأرض لما تحمله من سمات خطابية وإعلاميّة وأخلاقيّة واجتماعيّة وتربويّة عالية يتأثّر بها القاصي والدَّاني ويتنبه إلى معانيها الصّغير والكبير، فيصعق من جمالية وعذوبة الألفاظ وعمق المعاني وأبعادها المعرفية، فيتعلّق بأصحاب هذه النّصوص، وينكب على الكتب والمؤلفات بحثاً عن تاريخهم وأصلهم ومنبع هذا العلم فيتعلّق بهم كلّ من عرفهم حقّ معرفتهم .

ومن هنا كثرت الدِّراسات فيهم ﷺ وعن النّصوص التي وردت عنهم سواء أكانت هذه الفصول أدعية أو زيارات أو خطباً أو أحاديث أو وصايا .... الخ .

ولا يختلف اثنان بأنَّ نساء أهل هذا البيت ﷺ لا يختلفنَ عن رجالاته؛ فهم من بيت علم واحد قد زقّوا العلم والمعرفة زقّاً منذ نعومة أظفارهم بل مذ كانوا أنواراً محدقين بعرش الله تعالى .

ومع أنَّ الكلام يطول عن نساء أهل البيت ﷺ إذ كان لكلّ امرأة منهنَّ رسالتها التي أدّتها في زمانها فإنَّنا لا نستطيع هنا التّوقّف عند جميعهنَّ ﷺ إلا أنَّنا سنتوقّف عند سيّدة نساء العالمين فاطمة ﷺ وابنتها زينب الكبرى ﷺ وهما أهم امرأتين من نساء أهل البيت ﷺ، وقد كانتا مثالاً لبناتهنَّ وحفدتهنّ من بعدهنّ على جميع الأصعدة الدّينية والكلاميّة والتّربويّة والأخلاقيّة ..

وبما أنَّ هذا البحث مختصّ بمجال الدّراسات اللسانيّة فسيكون مدار البحث والدّراسة عن النّصوص اللغوية التي وصلتنا من هاتين السّيدتين الجليلتين، وبما أنَّ النّصوص التي وصلت عنهما كثيرة فإنَّنا سنؤكّد أهم هذه النّصوص والتي كان لها الأثر الكبير في نفوس المسلمين في عصرهما ﷺ وفي العصور اللاحقة الى يومنا هذا بل كانت هذه النّصوص وما زالت محطّ اهتمام الدَّارسين لما تحمله من أساليب لغوية عظيمة ولما فيها من تقنيات خطابيّة ونصية اختيرت بقصد وعناية لتحقق أهدافاً معيّنة ولتنبّه المتلقّين على حقائق ثابتة وأصول وقواعد عقدية تعدّ عماد الشريعة الإسلامية

وإن من استمسك بها فاز ومن تخلّف عنها ضلّ وخسر .

وبما أنَّ لكلٍّ من السيدتين العظيمتين ﷺ أكثر من خطبة واحدة أُلقيت في مواقف مختلفة وأزمنة مختلفة، وعند التّمعّن في كلمات وأساليب هذه الخطب يمكن ملاحظة قضيّة مهمّة جدًّا ألا وهي أنَّ السَّيدة زينب ﷺ هي بنت الزَّهراء ﷺ وهي تلميذتها ووليدة مدرستها ﷺ أخذت منها ومن أبيها وجدّها البلاغة والفصاحة والقدرة على الإبلاغ والبيان والإعلام والأسلوب اللغوي ذو التقنيات الخطابية المؤثّرة والمقنعة إلا أنَّ نصوص السّيّدة زينب ﷺ قد قيلت في زمان مختلف وفي موقف مختلف عن زمان السيدة الزَّهراء ﷺ وموقفها .

وبهذا نلاحظ أنَّ هذه النصوص من معين واحد إلّا أنَّ هناك تميزاً ملحوظاً في الأسلوب اللغوي الذي يظهر لنا جليًّا في اختيار الكلمات وقصديتها والإبلاغ في الأساليب يختلف بحسب الظّروف والمكان والزَّمان مع مراعاة مستويات المتلقّين، إذ تتغيّر التقنيات الخطابية والأسلوبية بحسب المقامات التي أُلقِيت الخطب فيها وبحسب النسق الثقافي الذي اقتضى بأن يكون الخطاب بهذه الصورة التي ورد بها .

فكلاهما ﷺ إرادتها إثبات أحقّيّة أهل البيت ﷺ في نصوصها وبيان فضلهم وعملتا على تثبيت قواعد الدّين الحنيف والرّسالة المحمّديّة الحقة، وكلاهما أكّدتا على الولاية الإلهية وفِيْم نزلت، ولِمَ خُصِّصت بهذا البيت ﷺ إلا أنَّ موقف السيدة الزَّهراء ﷺ في المسجد النّبوي يختلف عن موقف السيدة زينب ﷺ في مجلس يزيد -لعنه الله- وكذلك يختلف عن موقف السيدة زينب ﷺ في الكوفة.

وللقدرة العالية في البلاغة والفصاحة التي تمتّعت بها السّيدتين الجليلتين ﷺ سنرى بأنَّ كلًّا منهما أدّت رسالتها كاملة في زمانها وهذه الرسالة ليست رسالة من امرأة تتأثّر بعاطفتها وبما تكنه من مشاعر وحب واحترام لأهل بيتها بل هي رسالة إلهيّة بكلِّ معنى الكلمة، إذ لولا الموقف الذي وقفته كلاً منهما ﷺ وخصوصاً الموقف الكلامي الذي كانتا فيه، إذ كسرتا توقّع المستمع والمتلقّين مع مراعاة عظيمة للنسق الثقافي للمتلقين فجاءت خطبهنَّ بنسقٍ إبلاغي فريد من نوعه خلق خطاباً متجدّداً أوصل رسالتهما إلى عموم المتلقّين وعلى اختلاف للعصور والأنساق الثّقافية، وسنُبيّن هذا الأمر من خلال هذه الدّراسة -إن شاء الله تعالى- لنخلص إلى أنّه لولا الموقف الذي وقفته كلاً منهما لما عرف المؤمنون بعد الرسول ﷺ .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على الفقرات الآتية:-

أولاً : مفهوم النسق، وماذا يقصد بالتداول التعبيري وكيف تترابط الأنساق ببعضها ببعض من جهة، وترتبط بالموقف الكلامي من جهة أخرى.

ثانياً : بين النّسقين الإبلاغي والثّقافي.

ثالثاً : الموقف الكلامي وأثره في اختيار إلقاء الخطبة في الجمهور .

رابعاً : أهم التقنيات المعتمدة في النّسق الخطابي .

أوّلاً : مفهوم النَّسق:

هو مفهوم نستعمله كثيراً في كلامنا اليومي عند رؤيتنا شيئاً منظماً ومرتباً على نحو لافت، كقولنا: (كيف قمتَ بتنسيق هذا ؟!) أو قولنا : (ما أروعَ هذا التنسيق !) أو (من نسَّق هذا التصميم؟) أو (هذه لوحةٌ متناسقةٌ) أو (البناءُ متناسقٌ) أو (أنت منسَّقٌ ماهرٌ)، وما إلى ذلك .

ونعني به النّظام أو التَّنظيم الدقيق لهذا الشَّيء أو ذاك، واختيار الأمور المناسبة ووضعها في مكانها المناسب ما أدّى إلى ظهورها بهذا الاتساق الجميل .

واستعمالنا لكلمة (النَّسق) ومشتقّاتها بهذا المعنى لا يبتعد عن دائرة استعمالها اللغوي الفصيح، فالنّسق « من كلّ شيء: ما كان على نظام واحدٍ عامٍّ في الأشياء»[1]، مثل قولنا : نسق الدُّرَّ، أي: نظمه، وقولنا: نسقُ الأسنان، إذا أردنا التعبير عن انتظامها وحسن تركيبها، وقولنا: قام القوم نسقاً، وكذلك: غرستُ النَّخلَ نسقاً، أي: بانتظام [2].

أمّا النّسق في الكلام : فهو ما جاء على نظام واحد [3]، وحروف العطف يسمّيها النّحويون حروف النّسق؛ لأنَّ الشيء إذا عطفته على شيء صار نظاماً واحداً [4].

ولم تخرج كلمة (النسق) في مؤلّفات علمائنا الأوائل، على المعنى اللغوي نفسه ألا وهو (النظام)، ونجد مصطلح (حسن النسق) ماثلاً أمامنا في الكتب اللغوية التراثية، وهو « أن يأتي المتكلّم بكلمات متتالية

١- كتاب العين : ٥ / ٨١ .

٢- ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية : ٤ / ١٥٥٨، والمحكم والمحيط الأعظم ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ): ٦ / ١٤٧، وأساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : ٢ / ٢٦٦ .

٣- تاج اللغة وصحاح العربية : ٤ / ١٥٥٨ .

٤- ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس : ٢٦ / ٤١٩ .

معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها »[1]. أي: أنَّهم ذكروه في باب العطف، وأطلقوا على أحد قسميه تسمية (عطف النسق).

أمّا في الدّراسة الحديثة، فإنَّنا نجد مصطلح النّسق أو الأنساق في علم الاجتماع، وقد ظهرت نظرية تعرف بـ (نظرية الأنساق) [2]. يدرس فيها علماء اجتماع الأنساق التي يتكوّن منها مجتمع ما، مثل: النسق الثّقافي، والنسق القضائي، والنسق الاقتصادي، وما إلى ذلك؛ ولأنَّ اللغة نظام اجتماعي تنمو وتتطوّر بتطوّر المجتمعات ونحوها، فقد أدّى ذلك إلى دخول مصطلح (النّسق)[3] إلى المؤلّفات اللغوية، ومن أوائل العلماء المحدثين الذين استعملوه في مؤلّفاتهم، العالم فرديناند دي سوسور، فقد تكلّم في محاضراته عن مفهوم البنية والنّسق، وقد عرّف اللسان بأنَّه: نسقٌ من العلامات المعبّرة عن أفكار، وأكَّد دراسة البعد التزامني للّسان[4]، ومن ثَمَّ ظهرت حلقة براغ التي تأثّرت بأفكار دي سوسور كثيراً، ولاسيّما حديثه عن البنية والنسق، غير أنَّها جاءت بجديد في موضوع النَّسق، إذ لم تؤكِّد هذا المفهوم المركزي في لسانيّات سوسور فحسب، بل عمّمته ليشمل دراسة اللسان في بُعديه المقارن والتّعاقبي، وليس التزامني فقط؛ ذلك بأنَّ البحث في تاريخ الوقائع اللغوية ينبغي أن يكون نسقياً [5].

ومن هذا يمكن أن نخلص إلى أنَّ معنى (النسق) في العصر الحديث لا يختلف عن معناه عند القدماء، فجميع الدّراسات التي توقّفنا عندها فسَّرت (النسق) بأنَّه النّظام من كلّ شيء .

ثانياً: بين النسقين الإبلاغي والثقافي:

بعد أن عرفنا بأنَّ (النسق) يُراد به النَّظام من كلِّ شيء، سنقف هنا عند نسقين مهمّين لهما أثرهما الكبير في الخطاب اللغوي ألا وهما (النّسق الإبلاغي) و(النّسق الثقافي).

فما المراد منهما؟ وماذا يعني كلًّا منهما؟ وكيف يتعاضدان معاً ويؤثران في الخطاب؟

ذلك التّعاضد الذي يجعل المتكلّم يقصد استعمال مفردة بحدّ ذاتها أو أسلوباً لغويًّا معيّناً دون غيره بغية الإبلاغ عن قضيّة معيّنة لا تتم إلّا عن طريق هذا الاختيار وهذه القصدية في المفردات والأساليب مع مراعاة البعد الثقافي للمتلقّين وكيفية فهمهم للخطاب، فهناك معانٍ ظاهرة بسيطة يفهمها عموم المتلقين وهناك معانٍ مفردة لا يفهمها إلّا الخواص كل بحسب ثقافته ومرجعياته الفكرية.

وما نقصده بالنسق الإبلاغي هنا هو: نظام متكامل له تقنيات لسانية ونصيّة وتداولية خاصَّة به يعمد

١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: ٤١٠ .

٢- ينظر: مدخل إلى نظرية الأنساق، نيكلاس لومان، ترجمة: يوسف فهمي حجازي: ٥ وما بعدها .

٣- أقصد بالنسق هنا، المعنى الاصطلاحي لا المعنى اللغوي؛ ذلك بأنَّ المعنى اللغوي موجود في المعجمات العربية كما تم بيانه، وقد أخذته العلوم الأخرى منها .

٤- ينظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز :٢٨.

٥- ينظر: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات: ٢١٩ .

بوساطتها إلى إبلاغ متلقيه بما يريده ليؤثّر فيه ويزيد من تفاعله مع ما يبلغ به[1].

إذ لا يراد بـ(النسق) هنا (المستوى) أي بوصفه أحد مستويات اللغة كما ذهب إلى ذلك آخرون[2]، أي لا نريد من الإبلاغ الوظيفة الإبلاغية في اللغة.

وبما أنَّه نظامٌ متكاملٌ له تقنيات مختصّة به وأنواع متعددة يعمد المتكلم الى استعمالها للإبلاغ عن قضيّة معيّنة تتناسب مع نوع الإبلاغ عنها مع الموقف الكلامي وما يحيط به من عوامل ومؤثّرات مختلفة، فهذه التقنيات سواء النّصية أم التداولية يقصدها المتكلم بغية التأثير في متلقيه وإبلاغه رسالته بصورة مقنعة ومؤثّرة.

إذ يرتبط النّسق الإبلاغي ارتباطاً وثيقاً بالتداولية، فالخطاب ميدان التداولية، ولا نريد بها ما ذهب إليه كلّ من أوستن وسيرول وغرايس، وإنَّما نُريد بذلك ارتباط الخطاب بالنّظرية التداولية من حيث مفهومها الواسع، أي تلك التي «تخص لسانياً يدرس العلاقة بين مستخدمي الأدلة اللغوية (المرسل والمرسل إليه) وعلاقات التَّأثّر والتَّأثِير»[3].

ومما لا يخفى فإنَّ هذا الأمر ودراسة علاقات التَّأثير والتّأثّر بين المتكلّم والمتلقّي تستدعي التّوقّف عند البعد الثقافي « من حيث هو بعد لا يمكن التغافل عنه؛ لأنَّه بُعد يكشف عن حقيقة المعنى الذي تكوّن في وعي المتلقي، ويمتلك كلّ من المعنى المتداول ووعي المتلقّي، بُعداً ثقافيّاً يسهم إلى حدٍّ كبير جداً في تحديد المعنى؛ لأنَّ الاثنين – وعي المتلقّي والمعنى – يخضعان لقوانين وشروط معرفية، هي ثقافية بالدّرجة الأولى، وربما يكون هذا الفهم سبباً مقنعاً في وصفها لها بأن التّداوليّة آخر مولود للدرس السيميائي»[4].

إذ «من المعروف سلفاً، أنَّ العناصر الثَّقافية داخل الخطابات تحتوي على الهيكل الاجتماعي، كالأعراف والتقاليد والدّين والطّقوس والايدولوجيات ..، إلى جانب احتوائها على البنية الفكرية التي تؤطّر فكر أبنائها، ويمكن استلهام لسانيّات الخطاب لهذه العناصر باعتبار أنَّها تماثل هذه العناصر الثقافية؛ لأنَّها بطبيعة الحال نتاج لها وأداة التعبير الأساسية عنها وإمكانية تغيرها وتحولها من جيلٍ إلى جيل يؤكِّد هذا الارتباط؛ لتوفّر سمات شفاهية (التكرار – الصيغ الجاهزة – العبارات الجاهزة) ..) وسمات كتابية (التقاليد الأدبية – الأنساق الخطابية..)، تجعلها أكثر ملاءمة للانتشار والتوالد ومع تتابع الأجيال وتوالي المتغيرات الحضارية، تتغير طرائق التعبير اللساني»[5].

إذن يمكن القول بأنَّه من ترابط وتظافر جميع العناصر الثقافية من البيئة والمجتمع والأعراف والتقاليد

١ – للتفصيل أكثر ينظر: النسق الإبلاغي في القرآن الكريم (دراسة لسانية تداولية)، فاطمة السلامي : ٣٠.

٢ – ظ: أنساق التداول التعبيري، د. فائز الشرع: ٧٠ وما بعدها .

٣ – المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة: ١٦٧.

٤ – لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة: ٣٦.

٥ – المرجع نفسه: ٣٦ – ٣٧ .

والدين .. الخ. يتألف (النسق الثقافي) الذي يرى بعض الباحثين بأنَّه يتحدّد عبر وظيفته «وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النّسقية لا تحدث إلا في وضع محدّد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر مناقضاً وناسخاً للظاهر. ويكون ذلك في نصّ واحد، أو في ما هو في حكم النّص الواحد. ويشترط في النّص أن يكون جماليًّا، وأن يكون جماهيريًّا. ولسنا نقصد الجمالي حسب الشرط النقدي المؤسّساتي وإنَّما الجمالي هو ما اعتبرته الرّعيّة الثّقافية جميلاً»[1].

وجميع ما تم ذكره موجود في خطب السيدتين الجليلتين فاطمة الزهراء ﷺ وزينب الكبرى ﷺ، إذ أبلغت كلتاهما عن رسائل وصلت إلى المتلقّين وأثرت فيهم وحقّقت الغاية المنشودة بتقنيات وأساليب لغوية سوف نقف عند أهمّها مع مراعاة النّسق الثقافي المحيط بالموقف الكلامي في كلّ خطاب لغوي من هذه الخطب التي هي محل الدِّراسة.

إذ من غير الممكن التّوقّف عند الأبعاد التّداولية المقصودة في النسق الإبلاغي في هذه الخطب وشرحها وبيان مقاصدها من دون بيان تأثير عناصر الثّقافة من أُطر مجتمعية ومفاهيم دينية وعقدية وفكرية وسياسية وعسكرية ونفسية ... الخ في كلّ موقف كلامي، تلك العناصر التي أثّرت في المتكلّم (السيدة الزهراء ﷺ والسيدة زينب ﷺ والملقي (آنذاك) فضلاً عن المتلقي الحالي فنتج الخطاب بهذه الصورة وهذه المقاصد.

ليس هذا فحسب بل تغير هذه العناصر الثّقافية من جيلٍ إلى جيل أدّى إلى اختلافٍ جليّ بين نوع الخطاب للسيدتين الجليلتين ﷺ، فصحيح بأنَّ المجتمع هو المجتمع الإسلامي ذاته لكن الجيل مختلف والمكان مختلف والبيئة مختلفة والمفاهيم الدِّينية والعقدية والفكرية تغيّرت تبعاً لذلك بشكلٍ عامٍّ إلا القلة القليلة من المجتمع الإسلامي الذين لم تؤثّر فيهم العناصر الثقافية بل ثبتوا على إيمانهم وعقيدتهم الرَّاسخة، فظهر بذلك نظامان من أنظمة الخطاب (ظاهر) للعوام و(مضمر) للخواص لكي يفهموا الرِّسالة المقصودة من جميع هذه الخطب، ففاطمة الزَّهراء ﷺ وزينب الكبرى ﷺ عالمتان بجميع هذه العناصر الثقافية، وكيف كان لها الأثر الكبير في الجمهور، فكان اختيار التقنيات الخطابية وفقاً لذلك بغية إلقاء الحجّة عليهم من جهة والإبلاغ والإعلام من جهة أخرى .

وسيتم شرح هذا مفصلًّا في فقرة الموقف الكلامي؛ لأنَّه يعتمد على تظافر النسقين الإبلاغي والثقافي، أي بتأثير الثقافي يكون الإبلاغي أكثر تأثيراً.

١ – النقد الثقافي، عبد الله الغذامي: ٧٧.

ثالثاً : الموقف الكلامي وأثره في اختيار إلقاء الخطبة في الجمهور:

قبل التفصيل في الموقف الكلامي ينبغي علينا التوقف أولاً عند مصطلح (سياق الحال) أو (مقتضى الحال) وهو ترجمة للعبارة الانجليزية (situation of context)، وليس بخفي على الدَّارسين من أن سياق الحال يعدّ من أهم إسهامات (فيرث) في مجال دراسة (نظرية اللغة)، إذ يُعدّ سياق الحال قمّة العمليات الاجتماعية التي يمكن أن تكون مستقلة والحدث الكلامي مركزها فهو عبارة عن سلسلة من الأحداث في قلب الواقع الاجتماعي[1].

ومن هذه الأحداث يتكون لدينا ما يعرف بـ(الموقف الكلامي)، ويعدّ من أهمّ هذه الأحداث أو العناصر ما يأتي[2]:

١ – شخصيّة المتكلّم والسَّامع، وتكوينهما (الثقافي)، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع – إن وجدوا – وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم أيقتصر على (الشهود) أم يشاركون من آنٍ إلى آخر بالكلام. والنّصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

٢ – العوامل والظَّواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسّلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السّياسي وغيرها.

وقد لاحظ الدَّارسون السَّابقون بأنَّ نظرية (فيرث) السّياقية ليست جديدة على الفكر العربي بل تكاد تكون مصداقاً للمقولة المشهورة (لكلّ مقام مقال) وتتّفق في كثير من جزئياتها مع نظرية (النظم)، ولكن تم تطوير الفكرة القديمة والتوسع فيها وترتيبها وشرحها بشكلٍ أوسع وبتفصيل أدقّ وأكثر.

هذا التفصيل الذي قلّما نجده في كتب علمائنا الأوائل أمثال الجاحظ وابن جني والجرجاني ...الخ؛ ذلك بأنَّهم لم يدخلوا أنفسهم بتفصيلات كانت واضحة جلية في زمانهم فيما يتعلق بالموقف الكلامي وأثر ذلك في مقاصد المتكلم وتأثر المتلقي ومدى فهمه لهذه المقاصد، الأمر الذي يجهله الكثير في أيامنا هذه فأدى ذلك إلى التفصيل أكثر في جزئيات الأمور.

وعندما نضع نصب أعيننا على نصوص السّيّدتين العظيمتين فاطمة الزهراء ﷺ وزينب الكبرى ﷺ، نلحظ بأنَّ جميع ما تقدّم ذكره من عناصر (الموقف الكلامي) قد أخذ بنظر الاعتبار من قبلهما ﷺ، بل إنَّنا إذا عمدنا إلى تحليل عناصر ومكونات كلّ موقف منها سنفهم لِمَ قصدت كلاً منهما ﷺ استعمال أساليب لغوية معينة دون غيرها في ذلك الموقف، ولِمَ ردّت كلاً منهما على الجمهور (الحضور) بتلك النغمة باستعمال تلك الكلمات التي بات أثرها على الجمهور جلياً واضحاً من تأثرهم بها وبكائهم من عمق معانيها،

---

١ – للتفصيل أكثر في نظرية السياق وأهميتها وتطبيقاتها ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٤ وما بعدها، والنقد اللساني، روجر فاولر، ترجمة: د. عفاف البطاينة، ١٨٩ – ٢١٨.

٢ – نظرية سياق الحال، مقال منشور في موقع الرؤيةalroeya.com في تاريخ ٢٤/ ديسمبر، ٢٠١٥م، بتصرف.

وسنفهم الهدف الذي نشدته كلاً منهما عليها السلام من جرّاء ذلك.

وقبل الشروع بتحليل عناصر (الموقف الكلامي) في خطب السيدتين الجليلتين عليهما السلام ينبغي لنا بيان قضية مهمة ألا وهي بأنّنا سنعتمد على تحليل نصوص الخطب التي وردت في مصادر معتبرة وصحيحة السند ولتخصص مجال هذه الدراسة بالجانب اللغوي دون الجانب الحديثي لم نخصّص فقرة نذكر فيها تفصيل ذلك، إذ تمّ بيان ذلك في كثير من الدراسات والمصادر المهمة السابقة[1].

وكذلك لن يكون تحليلنا لعناصر الموقف الكلامي بحسب تسلسل الخطاب في النصوص من أوله إلى نهايته، بل سنتوقف عند مقاطع مهمّة من هذا الخطاب تظافرت فيها عناصر الموقف الكلامي وترابطت فيما بينها فعبّر عنها بهذا الأسلوب وصيغت كلماتها بهذا الصياغة.

وبيان ذلك في الآتي:

١ - شخصيّة المتكلّم.

لا يختلف اثنان بأنَّ السّيّدة زينب عليها السلام هي وريثة أمّها الزهراء عليها السلام، وبأنَّ النصوص التي وصلت إلينا وتم التثبت من نسبتها إليها عليها السلام هي بمثابة امتداد رسالي لرسالة السيدة الزهراء عليها السلام التي أوصلتها إلى المتلقي عبر مختلف الأزمان من طريق خطبها ونصوصها. إلا أنَّ لكلّ من هاتين الشخصيتين العظيمتين ما تمتاز به، بحيث كانت (فاطمة هي فاطمة) و(زينب هي زينب) بكلّ ما يحمل هذا التعبير من معنى.

وقد مثّلت كلاً منهما عليها السلام محوراً أساسياً في الموقف الكلامي الذي حصل في زمن كلٍّ منهما. إذن شخصية (المتكلم) هنا - أي في نصوص هذه الخطب - لا تعدّ مجرد أحد أطراف الحوار الأساسي في الحدث الكلامي فحسب، وذلك يتّضح من مقام شخص كلّ منهما عليها السلام ومدى تأثير كلا منهما على (المستمع) وعلى المتلقين الآخرين في زمان الخطاب وفي الأزمنة الأخرى.

إذ عرّفت كلٌّ منهما عليها السلام بالنسب الرسالي الكريم، فهما عندما تحدّثتا لم يكن حديثهما وخطابهما كحديث وخطاب باقي النساء، فهما ابنتا رسول الله صلى الله عليه وآله، وكلتاهما عرفت بالعلم والحكمة والفضيلة وجميع مكارم الأخلاق، وهذا ما لم يجهله (السامع)، نسوة المدينة، ابن زياد، نساء الكوفة، يزيد) في جميع الخطب، بل حاول بعضهم التّغاضي عن ذلك وتغطيته واستغفال (الجمهور) بإطلاق

---

١ - تم الاعتماد على المصادر الآتية في نقل نصوص الخطب وهي كلاً من: الاحتجاج، للشيخ الطبرسي، تعليق السيد محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٩/ ٢٣٣ وما بعدها، تحقيق الشيخ عبد الزهرة العلوي، دار الرضا، بيروت - لبنان، ومفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي النقوي القايني الخراساني: ٣/ ١٢٥ وما بعدها، مطبعة علمي، طهران، ١٤٠٣هـ، وشرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ): ٣/ ٣٤ وما بعدها، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ايران، ومن فقه الزهراء، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط٢، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م، الأمالي، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الثقافة، ط١، ١٤١٤هـ. وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، والموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، اسماعيل الأنباري الزنجاني، نشر (دليلنا)، إيران.

الشعارات الدينية تارة وتلفيق أحاديث باطلة عن رسول الله ﷺ تارة أخرى... أو محاولة إخفاء الهوية الحقيقية للمتكلم، ومحاولة طمسها وكسرها أمام الجمهور- كما هو الحال في موقف ابن زياد ويزيد مع السيدة زينب عليها السلام - وهذا الأمر كان واضحاً وجليّاً عن كلٍّ منهما عليهما السلام، مما أدّى بهما عليهما السلام إلى التأكيد أولاً على تعريف نفسيهما وشخصيتهما إلى الجمهور بشكلٍ كسر توقّع (السامع) وأظهر قوّة وصلابة كلٍّ منهما عليهما السلام فهذه السيدة الزهراء عليها السلام تؤكّد على نسبها وتكرر ذلك في أكثر من موضع وفي أكثر من أسلوب، ففي بداية خطبتها في المسجد قالت بعد الحمد لله والثناء عليه: (وأشهد أنَّ أبي محمداً ﷺ عبده ورسوله) [1]، وبعدها قالت عليها السلام: (صلى الله على أبي نبيّه وأمينه) [2]، وفي موضع آخر من الخطبة ذاتها قالت عليها السلام: (أيّها الناس! اعلموا أنّي فاطمة، أبي محمد ﷺ، أقول عوداً وبدواً ... فإن تعزّوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزيُّ إليه ﷺ) [3]. وفي موضعٍ آخر توجّه الخطاب مباشرة إلى السّامع وتقول عليها السلام: (يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟)[4]، وبعدها قالت عليها السلام: (وزعمتم ألا حِظوة لي، ولا أرث من أبي لا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون أهل ملتين لا يوارثان، أولستُ أنا وأبي من ملّة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟)[5].

واستمرت عليها السلام في تعريف نسبها برسول الله ﷺ في جميع فقرات الخطبة من أولها إلى نهايتها بشكلٍ أفحم السّامع إلى أن أجابها بالتّأكيد على جميع ذلك لحفظ ماء وجهه بين الجمهور الذي بدأ تأثّره بخطابها عليها السلام واضحاً للعيان فقال: (فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلاء)[6]، ولنا وقفة مفصّلة عند هذا التّكرار ولم قصدت الزهراء عليها السلام هذا وما الغاية منه.

وقد عرفّت السيدة زينب عليها السلام كذلك بنفسها وبشخصها وبنسبها وقرابتها من رسول هذه الأمّة محمد ﷺ في مجلس يزيد إذ قالت في أوّل خطبتها: (وصلى الله على جدّي سيد المرسلين) ومن ثم قالت: (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وسوقك بنات رسول الله سبايا؟؟) وأكّدت ذلك في أكثر موضع حتَّى نهاية خطبتهاعليها السلام.

١- الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٣٢.
٢- المصدر نفسه: ١/ ١٣٣.
٣-المصدر نفسه: ١/ ١٣٤.
٤- المصدر نفسه: ١/ ١٣٧.
٥- المصدر نفسه: ١/ ١٣٧.
٦- المصدر نفسه: ١/ ١٤١.

٢ - شخصيّة (المستمع):

نـأتي إلى المسـتمع الأوّل الـذي امتلـك شـخصيَّة ومكانـة بـين أفـراد المجتمـع في زمانـه سـمحت لـه بالتأثـير بشـكلٍ كبـيرٍ عـلى عـددٍ كبـيرٍ مـن المسـلمين وحتَّـى في بعـض ردوده عـلى السـيدة الزهـراء عليها السلام حافـظ عـلى إظهـار المسـحة الدينيـة والظهـور بشـخصية الـورع المتديـن الملتـزم بتعاليـم الله وسـنة رسـوله صلى الله عليه وآله إذ أجـاب السـيدة الزَّهـراء عليها السلام بـكلّ احـترام وأكَّـد جملـة مـن المفاهيـم التـي ذكرتهـا لكـي لا يثـير حفيظـة الجمهـور ومـن ثـمّ ادّعـى أنّـه سـمع حديثـاً عـن الرسـول صلى الله عليه وآله بأنّـه قـال صلى الله عليه وآله: (نحـن معـاشر الأنبيـاء لا نـورث) وبـما أنّـه كان يتمتّـع بمصداقيـة كبـيرة في إيمانـه ... وقربـه مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله في ظاهـر الأمـر فقـد اسـتغل جميـع ذلـك لكسـب ثقـة النـاس وبيـان مـدى مصداقيتـه أمامهـم.

الأمـر الـذي عرفته السـيدة الزهـراء عليها السلام بعلمهـا وفطنتهـا وفراسـتها فأكّـدت كونهـا بضعـة الرسـول صلى الله عليه وآله وأكَّـدت أحقّيّـة الولايـة الإلهيـة لأمـير المؤمنـين عليه السلام بأكثـر مـن أسـلوب لغـوي.

إذن مثلـما عمـد المسـتمع هنـا إلى اسـتعمال وسـائل إعلاميـة ودعـاوى عقديـة سـعى مـن خلالهـا للتأثـير في الجمهـور كان الـرد واضحـاً مـن السّـيّدة الزَّهـراء عليها السلام إذ التفتـت إلى جميـع ذلـك ولم يغـب عنهـا شيء منـه فكانـت طبيعـة دخولهـا وجلسـتها وأنينهـا بمثابـة جواب سـاحق له كسـرت فيه توقّعـه وقلبت موازيـن الموقف الكلامي إلى جانبهـا، فهـي عليها السلام تعـرف المجتمـع حقّ معرفته وهـو كذلك يعرفها عليها السـلام حقّ معرفتهـا ولكنه حاول التغـاضي عـن ذلك بـما بيّنّاه.

أمـا المسـتمعان الآخـران للسـيدة زينب عليها السلام فهما كلّ مـن (ابن زياد) و(يزيد) وكلا الشـخصيتين غير مرغوب بهـما مـن قبـل أكثـر المتلقـين في وقتهـا بل تم تحملهما والسـكوت عـلى أفعالهما إمّـا خوفاً مـن القتل أو طمعـاً بالمال والسـلطة أو تهرّبـاً مـن بطشـهما، إذ فـرض كلّ منهـما آراؤه عـلى النـاس بالقـوة والجـبروت لا بـما يعـرف عنـه من أخـلاق أو ديـن ممـا دعـا بالسـيدة زينـب عليها السلام إلى التّأكيـد عـلى إخراجهـا مـن الدّيـن في أسـاليبها اللغويـة التـي عمـدت إليهـا والتَّأكيـد عـلى ذلـك وبيانـه للمتلقـين والكشـف عـن الجرائـم التـي اقترفت بحـقِّ الإمام الحسـين عليه السلام وأهـل بيـت رسـول الله صلى الله عليه وآله.

إذن كان لاختـلاف شـخصيات المسـتمعين وثقافتهـم الدّينيـة والاجتماعيـة أثـر في اختيـار أسـاليب لغويـة وتقنيـات خطابيـة بحـدّ ذاتهـا دون غيرهـا في كلّ خطبـة أُلقِيـت مـن قبـل السـيدتين الجليلتين عليهما السلام.

٣ - المتلقون:

ويمكننـا تقسـيمهم إلى (متلـقٍّ في زمـان الخطـاب) و (متلـقٍّ في الأزمنـة الأخـرى ويشـمل ذلـك المتلقّـي الحـالي وقراءتـه الحاليّـة).

وهنـا تتنـوّع ثقافـات المتلقّـين ممـا يؤثّـر عـلى مسـتويات الفهـم لديهـم سـواء أكان ذلـك في زمـن الخطـاب

أو من تلقاه في الأزمنة الأخرى التي تلته، فبعضهم فاهم لشخصية كل من الطرفين (المتكلم) و(المستمع) حتَّى أنّه اشترك في الحوار أثناء الخطاب وكان لكلامه ومشاركته تلك أثر في الموقف الكلامي وبعضهم لا يعي شيئاً من شخصية الاثنين فلم يعلقَ بشيء واحتاج إلى توضيح من قبل المتكلم لغرض تعريفه وتوعيته بما يسمع ويرى لكي لا يكون أمّعة ينعق مع كلّ ناعق ويتم استغلاله. أمَّا المتلقّي الحالي أو من وصله الخطاب في زمان آخر غير زمن الخطاب الأول لصدوره فكانت له قراءته وفهمه الخاص بحسب مرجعياته الفكرية التي اعتمد عليها في الفهم والتحليل.

٤ - المكان والزمان:

(المكان الأوّل) مسجد الرّسول ﷺ وهو بيت الله تعالى ومكان مقدّس، يُعبد فيه الله تعالى، وقد بناه الرسول ﷺ وسكنت فيه فاطمة الزهراء عليها السلام وما حصل فيه أيّام الرسول ﷺ وما كان يقوم به من أفعال وأقوال تجاه فاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام كان على مرأى ومسمع من قبل الكثيرين من المهاجرين والأنصار ممن حضر خطبة السّيّدة الزهراء عليها السلام؛ لذلك جاءت ردّة فعلهم بعد أنّها عليها السلام بأن أجهشوا بالبكاء فهم حديثو العهد برسول الله، وبأهل البيت عليهم السلام. ويعرفونهم حق معرفتهم فضلاً عن (المستمع).

وقد كانت مكانة هذا المكان وقدسيته حاضرة عند السيدة الزهراء عليها السلام وقد راعت عليها السلام ذلك من جميع الجوانب بل كسرت توقّع الجمهور الذي احتشد للاستماع إلى خطابها حتَّى بطريقة دخولها إلى المسجد وحضورها مع لُمَّة من حفدتها ونساء قومها مما يحفظ هيبتها وكوسيلة إعلامية في وقتها لمكانتها عليها السلام، وكذلك فإنَّ في وضع (الملاءة) - كما ورد في عدد من المصادر الموثوقة التي أشرنا إليها سابقاً - بيان لمكانتها وقدسيتها واحترام شخصها آنذاك وحتَّى (الأنة) التي أنّتها عليها السلام كانت مقصودة في وقتها إذ أرادت من خلالها إيصال رسالة إلى المتلقين تبين موقفها من المستمع.

في حين المكان الثاني (مكان سياسي) ويمثّله دار الإمارة في الكوفة، ومجلس يزيد في الشام. وهما مكانان يخضعان للسلطة البشرية فرض فيهما الطّاعة لغير الله تعالى فرضاً وجبراً وغصباً، بحيث كان الحضور إمّا من الخائفين من بطش السّلطة مع علمهم بمكانة المتكلم السّيّدة زينب عليها السلام أو جاهلين بشخصية المتكلم (زينب عليها السلام مما أدّى إلى تعريفها عليها السلام بنفسها وأهل بيتها بأساليب لغوية سعت من خلالها إلى تكذيب (المستمع) ودحض افتراءاته وزوره وبيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام وأحقّيّتهم الإلهية.

هذا من حيث المكان أمّا الزَّمان فمختلف؛ ذلك بأنَّ الموقف الكلامي الأوّل للسيّدة الزَّهراء عليها السلام كان بعد وفاة الرسول ﷺ والدّين الإسلامي غضّ جديد، وأغلب الحضور كانوا ممّن رأى رسول الله ﷺ وسمع حديثه، فمكانة الرّسول ﷺ حاضرة في نفوسهم ومكانة السّيّدة الزّهراء عليها السلام حاضرة في أذهانهم لذلك حاولت السّلطة آنذاك أن تتّخذ من لباس الدّين والتقوى الزّائفين ما تصرف في أذهان الجمهور عن

أحقّيّة السّيّدة الزّهراء ﷺ في فدك وبأحقّيّة الإمام علي ﷺ في الخلافة.

أما موقف السّيّدة زينب ﷺ فكان عام (٦١هـ) وقد تغيّرت كثير من الأحداث والأمور سواء في مجال العقيدة أو السياسة أو الثقافة أو الشّؤون الاجتماعية مما لا مجال لذكرها هنا وهي معروفة عند الجميع إذ كتب وألّف فيها الكثير[١].

الأمر الذي أدّى إلى (وقوف) السّيّدة زينب ﷺ طوال الخطبتين في الكوفة والشام؛ ذلك بأنَّها أسيرة غريبة في بلدين لا يعرفها فيها أغلب الجمهور آنذاك .

بعد أن بيّنّا (الموقف الكلامي) لكلّ من السّيّدتين ﷺ وتوقّفنا عند كلّ عنصر من العناصر التي تألّف منها ذلك الموقف وشرحناه مفصلًا ينبغي لنا هنا أن نوضّح قضيّة مهمّة، ألا وهي أثر (الموقف الكلامي) بكلّ ما فيه من العناصر التي ذكرناها في اختيار المتكلّم لنوع الخطاب الذي سيعتمد عليه في الإبلاغ عن رسالته التي يقصد إيصالها وإبلاغها إلى المتلقّين؛ ذلك بأنَّ المتكلّم الحصيف يضع في ذهنه جميع هذه العناصر المحيطة به من (مستمع) و(متلقين) و(مكان وزمان)، فيعمد الى اختيار الخطاب اللغوي المناسب بالشّكل الذي يعكس هويته وشخصيته أمام المتلقين، إذ لا يكون اختيار نوع الخطاب بصورة (اعتباطية) بل يكون مقصودًا بحد ذاته، فمرة يتطلب الأمر أن يكون الخطاب بسيطاً كإجابة عن سؤال أو شرح حادثة ما أو التعبير عن رأي أو فكرة معينة، في حين هناك بعض المواقف الكلامية تتطلّب بليغاً يستعمل فيه تقنيات نصّيّة وخطابيّة بحد ذاتها لكي يؤثّر في المتلقين، ليس هذا فحسب بل يسعى إلى إقناعهم بما يقول، وذلك الاقتناع الذي يهدف إلى التصديق[٢].

وعادة ما كان العرب يعتمدون على (الخطبة) في كلّ حدث جليل كإصلاح ذات البين وإطفاء نار الحرب وفي العهود والعقود وفي الزواج وغيرها من الأمور والأحداث المهمّة التي تستدعي من المتكلّم أن يقف خطيباً بين الناس، بل وحتَّى كلمة (الخطابة) مأخوذة من خطبت أخطب خطابة .. وانشقّ ذلك من (الخطب) وهو الأمر الجليل؛ لأنَّه إنَّما يقام بالخطب في الأمور التي تجل[٣].

ولم يغفل علماء العصر الحديث جميع ذلك بل اعتمدوا عليه وفصلوا فيه القول أكثر، ليس هذا فحسب بل تنبّهوا إلى الأبعاد التّداولية النّاتجة من الأنساق الخطابية وهذا ما أشار إليه شو بنهور

١- ينظر: موسوعة أهل البيت الحضارية، الدكتور محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، ط١، ٢٠٠٤م. وموسوعة حياة الإمام الحسين ﷺ وثورته المباركة برواية أئمة اهل البيت ﷺ، د. هادي التميمي، منشورات دليل ما، إيران، ط١، ١٣٩٩ هـ.ش. زينب الكبرى ودورها في النهضة الحسينية، عبد السلام كاظم الجعفري، دار الغدير، قم المقدسة، إيران، ط١، ١٤٣٢هـ، وسيرة الأئمة الأثنى عشر، هاشم معروف الحسيني، منشورات الإمام الرضا ﷺ، بيروت، لبنان، ط٧، د.ت.، وسلسلة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة/ دراسة تاريخية تحليلية، إعداد ونشر مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية – مديرية دراسات عاشوراء، ط٣، ١٣٨٤ هـ.ش.

٢- ينظر: في بلاغة الخطاب الاقناعي، د. محمد الصميدعي: ٧.

٣- ابن وهب، البرهان: ١٥١ – ١٥٣ .

(Schopenhauer) في تعريفه للخطابة بقوله : ((هي ملكة جعل الآخرين يشاركوننا آراءنا وطريقة تفكيرنا في شيء ما، وكذلك إيصال عواطفنا الخاصّة إليهم، وجماع القول أن نجعلهم يتعاطفون معنا. ويجب أن نصل إلى هذه النّتيجة بغرس أفكارنا في أذهانهم بوساطة الكلمات، وذلك بقوّة تجعل أفكارهم الخاصّة تنصرف عن اتجاهها الأوّلي لتتبع أفكارنا التي تقودها في مسارها))[1].

إذن فالخطابة ملكة وقدرة لا يمتلكها كلّ شخص يمتاز في امتلاكها بعض الأفراد الذين يمتلكون القدرة على الإقناع أي لا يعبّرون عن ما في داخلهم فحسب بل يمتلكون ولهم القدرة على التأثير في الآخر وإقناعه وتغيير أفكاره ورؤاه وتوجهاته الفكرية والعقدية والاجتماعية والسياسية وغيرها بالشكل الذي يجعله يتبع رؤاهم وأفكارهم عن وعيٍ وفهمٍ وتصديق، ويكون اعتمادهم في جميع ذلك على حجج عقليّة وعقدية بحيث يفحمون من يحاول معارضتهم أو محاججتهم أثناء الخطابة وبعدها فيبهت من دقّة الألفاظ وعمق المعاني التي اعتمدوها أثناء خطابهم.

وجميع ما تقدّم كان محطّ عناية واعتبار من قبل السّيّدتين الجليلتين فاطمة الزّهراء ﷺ وزينب الكبرى ﷺ وقد راعتا جميع من ذكرناه فكان اختيارهما لهذه الخطابة التي قدمتاها مقصوداً من جميع الجوانب، إذ لم تكونا مضطرتين لتقديم هذا النوع من الخطاب، ولم تجبرهما الظّروف على ذلك بل كان ذلك الأمر باختيارهما لتأدية رسالة عظيمة كانت سبباً في تغيير كثير من الأمور والأحداث، بل وحتّى الأشخاص في العالم الإسلامي، ولا يقتصر ذلك على زمان الخطاب ومكانه آنذاك بل بقينا نستلهم من خطاباتهم ﷺ ونسعى للكشف عن مقاصدهما ﷺ في هذه الخطابات الى يومنا هذا .

رابعاً: أهم التقنيات المعتمدة في النَّسق الخطابي:

لقد درست هذه النّصوص الفاطمية والزّينبية ﷺ دراسات لغوية مستفيضة[2]، ولسنا بصدد الدّراسة اللغوية هنا بل بصدد الكشف عن أهم التقنيات التي تم الاعتماد عليها بقصد الكشف عن حقائق ثابتة وبطريقة مؤثّرة كسرت أفق توقعاتهم في (المرأة) التي تحاورهم على الرّغم من جميع الظروف التي أحيطت بها بل أدّت كلّ منهما ﷺ رسالتها وتكليفها الإلهي في هذه المواقف بشكلٍ كاملٍ ووفقاً لما يناسب الموقف آنذاك.

فما هي أهمّ هذه التقنيات اللغوية المعتمدة في خطابها ﷺ للفت نظر المتلقين إلى أمور عقدية ثابتة بحيث أُلقِيت الحجة عليهم فلم يستطيع أحدهم أن ينبس ببنت شفة؟!

١- p.doetiaue.n ١٠٥.ه نقلاً عن د. محمد العمر، في بلاغة الخطاب الإقناعي: ١٣ .

٢- ينظر: على سبيل المثال لا الحصر المجلدات الخاصة بـ(جائزة الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ، للإبداع الفكري) من مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد (٢٠)، جمادي الآخر ١٤٣٤ - آيار ٢٠١٣م.

وبما أنَّ هذا الخطاب كان إبلاغيًّا فهل تنوّعت تقنيات الإبلاغ فيه؟ وكيف انعكس الاعتماد على هذه التقنيات في الخطاب على فهم المتلقين لشخصية المتكلم ﷺ وللمقاصد التي أرادتا ﷺ الإبلاغ عنها بهذا الأسلوب وباختيار هذه المفردات وهذه الأساليب والتقنيات الخطابية؟!

وسنقف هنا عن تقنيتين مهمّتين ونفصّل القول فيهما، ألا وهما:

١ - (التكرار) بوصفه تقنية لسانية / ثقافية.

لا يخفى علينا جميعاً أهمّيّة (التّكرار) في اللغة العربية، فهو أسلوب بلاغي يعمد المتكلم إلى استعماله بغية التّأكيد على مفاهيم معيّنة ومعانٍ مقصودة، يسعى من خلال تكرارها والتأكيد عليها تثبيتها في ذهن المتلقّي، بل ويسعى الى البلوغ به الى درجة التّصديق بها والعمل بها، فالأمر إذن لا يقتصر على أنّ هذه الأمور المكرّرة سواء أكان هذا التّكرار لفظيًّا أم معنويًّا في الخطاب هي أمور وقضايا تشكّل أهمّيّة عند المتكلّم بل وتمثّل جزءاً من كيانه في بعض الأحيان وأحد أساسيات وجوده، إذ يتعدّى الأمر (المتكلم) ليشمل (المتلقّي) أيضاً مع مراعاة اختلاف مستويات الفهم بين المتلقّين، والأخذ بنظر الاعتبار اختلاف مرجعياتهم الفكرية أيضاً.

فـ(المتكلم) الحصيف عندما يؤكِّد تكرار بعض الألفاظ، وبعض المعاني كثيراً في خطابه سواء أكان الخطاب شعراً أو نثراً لا يكون القصد جمالياً - مع أنَّ التكرار يخلق جمالية في الخطابة خصوصاً الشعري منه - فحسب وكذلك لا يقتصر الأمر على (تأكيد) المعاني المعبّر عنها من قبل المتكلم، كما يُعرف عن التكرار البلاغي وأبعاده الدّلالية بل يتعدّى جميع ذلك ليكون بمثابة تقنية لسانية ثقافية تشمل جميع أطراف العملية الكلامية من (متكلم) و(متلقٍ) و(رسالة) مع مراعاة الموقف الكلامي وأنساق التداول التعبيري المحيطة به، وعلى وجه الخصوص النسقين الثقافي والإبلاغي.

فبسبب النّسق الثّقافي ومدى تأثيره في المتلقي يكون اختيار الألفاظ أو المعاني التي سيعمد المتكلم الى تكرارها رغبة منه في تحقيق ذاته في ضوء قراءته للآخر، وتأكيده على حضوره وتعاليه عن التّجسيدات والأفكار السَّابقة؛ لأنَّه يرفض أن يظهر عبر رؤية الآخر، بل يسعى للكشف عن ذاته بنفسه وبأسلوبه هو في التعبير عن ذلك، فيكرّر ذكر ألفاظٍ ومعانٍ يحدث منها خلالها أثر في المتلقي بل قد يستحوذ على فكره في بعض الأحيان إذا كان هذا التكرار مدعوماً بالحجّة والدّليل القاطع، فتهتز بذلك الصّورة المرسومة في ذهن المتلقي عمّا يتكلّم به (المتكلم) والتي غالباً ما تكون هذه الصّورة تبعية غير أصلية في أذهان عموم المتلقّين بل صيغت بهذا الشّكل جراء التّأثر بالأعراف والتّقاليد المجتمعيّة[1].

وقد كان (للتكرار) حضوره الجلي في خطاب السّيدتيّن الجليلتين ﷺ بنوعيه اللفظي والمعنوي، وإذا

١ - ينظر: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح احمد يوسف: ١٠٠ .

توقفنا عند اللفظي منه قرأنا نصوص الخطب التي بين أيدينا قراءة فاحصة سنجد بأن من أكثر الألفاظ التي تكررت في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد هي لفظ (أبي)، وهنا قد يتبادر الى ذهن بعضهم التساؤل الآتي: لماذا كرَّرت الزهراء عليها السلام لفظ (أبي) في أكثر من موضع في خطابها؟ مع أنَّنا نعلم جميعاً بأنَّ الجمهور الحاضر في المسجد وكذلك المستمع يعرفونها حقّ معرفتها إذ جلّهم من المهاجرين والأنصار، وهم ممّن سمع كلام الرسول صلى الله عليه وآله فإن أجبناه عن ذلك بأنّه (للتعريف) فأيّ تعريف يقصد؟! هل التعريف العام من حيث (أب وابنته) أم تعريف آخر؟!

الواضح هنا أنَّها عليها السلام لا تريد التعريف بكونها ابنة رسول صلى الله عليه وآله فحسب، فهذا أمر يعلمه الجميع، بل هو تعريف بمكانتها عليها السلام ومقامها عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسعي منها للكشف عن حقّها الإلهي ذلك الحق التي سعت السلطة آنذاك الى طمسه بكافة الطرق والوسائل، متلبسة بلباس الدّين، ومستخّفة بعقول عوام المسلمين الذين كان أغلبهم مع الأسف ينعقون مع كلّ ناعق إلا ما ندر، ذلك الأمر الذي أدّى الى استماعهم الى السلطة وتصديقهم بما تقول كونه (صاحب) رسول الله صلى الله عليه وآله فتفرقوا عن (ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه علي عليه السلام) ونكّلوا بهم وآذوهم والتفوا حول من غصبهم حقوقهم بدعوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وأين مكانة من قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فاطمة بضعة منّي يؤذيني من آذاها ...)) ومكانة من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : ((من كنت مولاه فعلي مولاه ..)) وقوله صلى الله عليه وآله: ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى)) من فلان وفلان ؟!!

فالسيدة الزهراء عليها السلام عالمة غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة، تعلم علم اليقين بنفوس القوم حولهم أهل البيت عليهم السلام آنذاك، وكيف أثرت بهم أقوال وأفعال السلطة، وكيف كانوا متشبثين بالأفكار الجاهلية التي لم ينزل الله تعالى بها من سلطان بل سعى رسول الله صلى الله عليه وآله لتخليص المجتمع الإسلامي من براثنها بكلّ الطّرق وشتّى الوسائل، ولكن وكأنما لا حياة لمن ينادي!!

فكان لهذا التكرار للفظ (أبي) في خطبها عليها السلام أبعاد تداولية عظيمة في المجتمع الذي حضر الخطاب فقد أثبتت عليها السلام بهذا التكرار مكانتها ومقامها، بل كان بمثابة عنصر تنبيه للحضور لكي يراجعوا أنفسهم ويتأكدوا من قرارهم مع من يكونوا وهل سينصرون ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله أم يقفوا موقف المتفرج؟! خصوصاً معشر الأنصار منهم؛ لذلك أسمعتهم عليها السلام ذلك الخطاب القاسي الذي أخزاهم في الوقت ذاته وكشفت حقيقتهم وحقيقة إسلامهم للجمهور، وكذلك كان لهذا التكرار أثره في تقديم السيدة الزهراء عليها السلام لحجّتها الشرعية بأنّها (ابنة) رسول الله صلى الله عليه وآله ولها حقّ شرعي في الإرث، لذلك قالت عليها السلام بعد أن تلت آيات الإرث: ((وزعمتم أن لا حظوة لي! ولا إرث من أبي! أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟))[1].

١ - الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٣٤.

وحين التفتت إلى الأنصار ووجّهت الخطاب إليهم قالت ﷺ: ((إيهاً بني قيلة! أأهضمُ تراث أبي؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع ...)) [1].

ويبدو بأنَّ هذا التكرار المقصود من قبل السيدة الزهراء ﷺ لقي صداه في المجتمع آنذاك وبقي الجمهور في حالة تردّد في اتباعه لكلام من خالف كلام الزّهراء ﷺ وبين مفكر مشغول الذّهن بكلام ابنة رسول الله ﷺ، ذلك الأمر الذي لم يستطع إنكاره فحاول التّخلّص من الموقف الذي وضع فيه فتلبّس بلباس الدّين وأجابها ﷺ بجوابه المعروف ودعواه بأنَّه سمع من رسول الله ((أنّ معاشر الأنبياء لا يورثون)) ولكن مع الأسف مع علم الجمهور بمكانة الزهراء ﷺ وأحقّيّتها وزوجها أمير المؤمنين ﷺ بالولاية الإلهية والإرث وبعد أن ألقت جميع الحجج عليهم إلا أنَّ أغلبيتهم غرّتهم الدنيا فانقلبوا على أعقابهم ممّا سبّب سخطها ﷺ عليهم وهذا ما نلحظه في خطبتها في نساء المدينة عند عيادتها ﷺ [2] إذ عندما نقرأ نصّ هذه الخطبة سنلحظ عدم استعمالها لتقنية التكرار اللفظي لكلمة (أبي) هنا، لأنَّها أبلغت عمّا تريده بهذا التكرار في الخطبة الأولى ولم يرتدع أحد منهم ولم يقف أحد منهم معها ﷺ، وهي على يقين من ذلك مسبقاً ولكنّها أدّت الأمانة وأبلغت الرسالة.

ولكننا نلحظ في خطبتها في النساء اعتمادها على التّكرار المعنوي خصوصاً لمعنى (السخط) عليهم وعدم الرضا عنهم خصوصاً (رجالهن) من المهاجرين والأنصار، فعبّرت عن ذلك بأسلوب لغويّ مفحم أخزاهم وبين مدى خذلانهم وجبنهم ولهثهم خلف الدنيا وملذّاتها . إذ تقول ﷺ: ((أصبحت – والله – عاكفة لدنياكنَّ قالية لرجالكنّ، لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن شردهم فقبحاً لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الضّعاة، وصرع القناة، وخطلّ الآراء، وزلل الأهواء ...)) [3].

ولم يكن قصد السّيدة الزَّهراء ﷺ إبلاغ الجمهور آنذاك بهذه الرسالة التي ذكرناها عن طريق هذا التكرار فصحيح كانوا هم المتلقين الأوائل لهذا الخطاب والمقصودين به ولكن لا يمنع ذلك من استمرار هذا الإبلاغ الى يومنا هذا، فما لم يؤثر فيهم وقتها قد لقي صداه في عدد كبير من الأجيال اللاحقة للمتلقين كل بحسب مرجعياته الفكرية التي تأثر بها وأثّرت فيه.

أما بالنسبة للسيدة زينب ﷺ فنلحظ بأنَّها ﷺ أكَّدت كونها ابنة رسول الله ﷺ وهم أهل البيت ﷺ ولكن أغلب التكرار في خطبتها ﷺ كان معنوياً وليس لفظياً فهي مرة تقول: ((وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النّبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنة، وملاذ حيرتكم ..)) [4].

١- الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٣٩.

٢- ينظر: الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣٧٤ وما بعدها.

٣- الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣٧٤.

٤- أعيان الشيعة، محسن الامين: ١/ ٦١٣.

وفي موضع آخر تقول من الخطبة ذاتها في أهل الكوفة: ((ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم، وأيّ كريمة له أبرزتم، وأيّ دم له سفكتم، وأي حرمةٍ له انتهكتم؟!))[1].

فهي عليها السلام لم تكرّر مثلاً كلمة (جدي) أو (أبي) أو (أخي) فالموقف هنا مختلف عن موقف السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد، إذ لا يجدي التّكرار اللفظي مع هؤلاء القوم شيئاً إذ وقعت الواقعة وقتل الإمام الحسين عليه السلام وصحبه وأهل بيته عليهم السلام وانتهكت حرمة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، ولا عذر لمن اشترك في ذلك الخطب الجليل، مع أنَّ الكثير من أهل الكوفة آنذاك يعرفون الإمام الحسين عليه السلام حقّ معرفته وأرسلوا له يدعونه أن أقدم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك نلحظ بأنَّ خطابها عليها السلام كان لأناس على علم ودراية بأخيها عليه السلام وقد خذلوه على الرغم من جميع ذلك فخاطبتهم بأنّهم يرحضون قتل سليل خاتم النّبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة ...الخ. ومن ثم كرّرت سخطها عليها السلام عليهم وبغضها لأفعالهم بأسلوب مختلف عن الأول، إذ عمدت إلى استعمال الاستفهام الإنكاري هنا وتربط ما فعلوه بأخيها عليه السلام بها إذ تقول ((وأي كريمة له أبرزتم؟)) مع التّأكيد على تكرار لفظ (أي) هنا لما فيه من بُعد تأنيب لفعلتهم الشّنيعة تلك، الأمر الذي نرى أثره جليًّا وواضحاً في نفوسهم فاستمروا في الاجهاش بالبكاء، ولكن أنّى ينفعهم ذلك!

وكذلك مع إنها عليها السلام قصدتهم بخطابها الا أنَّ لكلامها عليها السلام أبعاداً تداولية حقّقتها جراء ذلك، إذ أثّر هذا الاستفهام الإنكار وتكراره في نفوس المتلقّين عبر العصور ولفت انتباههم إلى المعاني العميقة العقدية والاجتماعية والسياسية التي أبلغت عنها السّيّدة زينب عليها السلام.

أمّا في مجلس يزيد – لعنه الله – قالت عليها السلام: ((أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا ..) [2].

فهنا أيضاً عمدت عليها السلام الى استعمال الاستفهام الإنكاري، وكرّرت التّعريف بنفسها وبالنّساء اللاتي معها بأن صرّحت وقالت (بنات رسول الله) إذ عبّرت هنا بشكلٍ مُباشر عن ذلك، إذ الموقف الكلامي في مجلس يزيد يختلف عن الموقف السّابق في الكوفة، فهي لا تحتاج إلى التّصريح المباشر هناك، فهي تُخاطب من يعرفها حقَّ المعرفة وخذلها وخذل أهل بيتها عليهم السلام، ولكن الأمر مختلف في مجلس يزيد، إذ هي عليها السلام غريبة أسيرة دخلت في مجلس طاغية حكم الناس بالقسوة والاضطهاد وصور لهم أهل البيت عليهم السلام بشكلٍ ينفع حكمه ويقوّي سلطانه، فصدّق أغلبهم به حتَّى أنَّ أهل الشام اعتقدوا بأنَّ هؤلاء السبايا من حروب مع غير المسلمين الى آخر ما يتبع ذلك مما نعرفه جميعاً ولا يسعنا الحديث عنه مفصلاً هنا بشكل مباشر. الأمر الذي دعا بالسيدة زينب عليها السلام إلى الكشف عن حقيقة شخصهم أمام الملأ، إذن التعبير بـ(بنات رسول الله سبايا) مقصود هنا بحد ذاته، وذلك للفت انتباه الجمهور وكسر توقعاتهم بهذه المرأة السّبيّة ومن هي وكيف

١- عيان الشيعة، محسن الأمين: ١/ ٦١٣.

٢- الاحتجاج، الطبرسي: ٢/ ٣٥.

تتعرض لما تتعرض إليه من مواقف وتمر بهذه المصائب!!

إذن هذا التعبير يكشف عن مفارقة عظيمة ذهل منها الجمهور، إذ كيف لسبيّة أن تنعت الحاكم مباشرة وفي مجلس حكمه (يا ابن الطلقاء)؟!

وهم في هذا الذّهول وهذه الحيرة يأتيهم الجواب (وسوقك بنات رسول الله سبايا)، وبهذا الأسلوب البلاغي الجليل (تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك ...) فالفرق كبير بين (الحرائر والإماء) وبين (بنات رسول الله ﷺ!!! فعيشت عليها السلام الجمهور صدمة عظيمة، من ثم كرّرت التعريف بشخصها عليها السلام وبأهل بيتها عليهم السلام بأن قالت: ((فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً))[1] فهي عليها السلام تؤكّد التعريف بشخصها وأحقّيّتها ومكانتها من رسول الله ﷺ تكشف حقيقة المستمع (يزيد) أمام الجمهور.

ومن ثم تقول: ((منحنياً على ثنايا أبي عبد الله – وكان مقبل رسول الله ﷺ – ينكتها بمخصرته، قد التمع السرور بوجهه، لعمري لقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنة، وابن يعسوب الدين العرب، وشمس آل عبد المطلب))[2].

فهي هنا تعرف الجمهور بالإمام الحسين عليه السلام تبلغ عن شناعة فعل يزيد – لعنه الله تعالى – وتكشف عن عظم ما اقترفه من ذنب في قتله لسيّد شباب أهل الجنة عليه السلام ذرية رسول الله وخيرة آل عبد المطلب ومن معه من أهله وصحبه، فهي عليها السلام كرّرت الإبلاغ عن كونها من أهل البيت عليهم السلام وبأنَّ هذا الرأس الذي أمام الجمهور هو رأس الإمام الحسين عليه السلام حفيد رسول ﷺ وسيّد شباب أهل الجنة، وهذا التكرار المعنوي هنا له بُعد تداولي آخر يختلف عن السابق فهي عليها السلام تكشف للمتلقّين عن مفارقة عظيمة أخرى وهي كيف يقتل سيّد شباب أهل الجنة وذرّيّة رسول الله وخيرة آل عبد المطّلب على يد حاكم طاغية مثل يزيد يدعو أشياخه الذين عرفوا بتاريخهم الأسود، فإن جهل الحاضرون من هي ومن السبايا ومن هذا القتيل فهم لا يجهلون تاريخ أشياخ يزيد وتاريخ قريش وتاريخ رسول الله ﷺ ، إذ مع جميع محاولاته لطمس هويّة هؤلاء السبايا وقتلاهم أكّدت السيدة زينب عليها السلام التعريف بهم لا بذكرها لفضائلهم فقط إذ قد لا يؤثّر ذلك في الجمهور ولا يهزّ كيانهم بقدر تأكيدها كونهم ذرّيّة رسول هذه الأمّة، لأنَّه على الرغم مما فعل يزيد من تغطية إعلامية ومحاولته تجهيل الناس بالإمام الحسين عليه السلام وافترائه عليه بالعديد من الافتراءات، وبثّ الشائعات عنه بين أهل الشام إلا أنّه يدّعي الإسلام ويحكم الناس باسم الدّين فلا يستطيع النّيل من رسول الله ﷺ أو يُغيب ذكره في نفوس القوم، الأمر الذي كان حاضراً عند السّيّدة زينب عليها السلام فأكّدت تكرار هذه الحقيقة بأكثر من أسلوب وفي أكثر من موضع بغية قلب موازين أذهان المتلقّين وإلقاء الحجج على المستمع وعليهم، وقد نجحت عليها السلام في ذلك.

---

١ – الاحتجاج، الطبرسي: ٢/ ٣٥.: ٢/ ٣٦.

٢ – المصدر نفسه: ٣/ ٣٦.

من هنا يتّضح لنا ويتأكّد لدينا بأنّ كلًّا من السيدتين الجليلتين عليهما السلام قد قصدتا استعمال التكرار بوصفه تقنية لسانية لها أبعادها التداولية في عموم المتلقّين عبر العصور، وقد كان هذا التكرار اللفظي أو المعنوي متناسباً مع عناصر الموقف الكلامي في كلّ خطاب، فمع أنَّ خطاب السيدة زينب عليها السلام هو بمثابة امتداد لخطاب أمّها السيدة الزهراء عليها السلام، وقد كان التكرار في خطابها على القضية ذاتها وهي كونها ابنتا رسول الله صلى الله عليه وآله ولها حقٌّ إلهيٌّ قد غُصب وانتهك، إلا أنَّ كل تكرار كان يحمل رسالة معيّنة للمتلقيّن، فالسيدة الزهراء عليها السلام محترمة ومقدّرة أثناء الخطاب بينما السيدة زينب عليها السلام أسيرة مضطهدة، لذلك اختلفت غاية الإبلاغ في تقنية التكرار بالنسبة للخطابين.

٢- تقنية الاستعارة وفاعليتها في إبراز الحدث:

ما نريده من الاستعارة هنا ليس بوصفها أسلوباً بلاغيّاً تقليديّاً يعتمد على التشبيه، بل سننظر إليها بوصفها أداة معرفية، وبوصفها أيضاً تقنية داخل الخطاب تساعد على كسر دوائر الإدراك الجامد للخطاب، بل وتعمل على إظهار قدرة الفكر الإحيائي على توليد الدّلالات المختلفة، ومعنى ذلك أنَّ الاستعارة تعدّ إداة لتطوير المفاهيم ووسيلة لخلق واقع، وليست لتزيين الواقع كما هو الحال في البلاغة القديمة[1].

إذن فالمتكلّم الحذق عندما يعمد الى استعمال (الاستعارة) في خطابه يكون مراعياً للنسق الثقافي الذي أثّر في المتلقّين حوله وتأثّروا به، إذ ينبغي له التعامل مع ثقافة المتلقّين بوعي بكلّ صغيرة وكبيرة فيهما، ويكون على قدرٍ من العلم بحقيقة أفكار المتلقّين سواء أكانت العقدية منها أو الاجتماعية أو السياسية أو غيرها، وبعد أن يكون جميع ذلك حاضراً في ذهنه يستعمل (الاستعارة) بوصفها إحدى تقنيات النسق الإبلاغي لما يريد الإفصاح عنه للمتلقّين بصورة تكسر الجمود الفكري الذي سيطر على عقولهم بسبب الأعراف والتقاليد البالية أو باتباع من هو ليس أهلاً للاتباع نتيجة قلّة الوعي وعدم الفهم أو بسبب عدم التّفكير فيما ستؤول الأمور إليه مستقبلاً أو بسبب تغييب العقل واتباع الشَّهوات.

فإبلاغ المتكلّم لرسالته بوساطة تقنية (الاستعارة) تُبيّن لنا سعي (المتكلم) لإحياء فكر الآخر (المتلقي) من خلال فاعلية الاستعارة في إبراز الحدث والعمل على تشغيل فكر (المتلقي) وجعله يعمل على توليد دلالات جديدة لهذا الحدث.

وسنقف هنا عند استعارتين وردتا في خطاب السيدتين الجليلتين عليهما السلام يعملان على إبراز الحدث ذاته، لكن ما سنلحظه بأنَّ الأبعاد التداولية لكلٍّ منهما تختلف عن الأخرى تبعاً لاختلاف الموقف الكلامي لكلا الخطابين .

١- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف: ١٧٣، بتصرف.

وهاتان الاستعارتان هما:

الاستعارة الأولى في الخطبة الفدكية للسيدة الزّهراء ﷺ إذ قالت: « فخطر في عرصاتكم، وأطّلَعَ الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزّه فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»[1].

الاستعارة الثانية، في خطبة السيدة زينب ﷺ في مجلس يزيد : « وما استصغاري قدرك ولا استعظامي تقريعك توهماً لانتجاع الخطاب فيك بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى وصدورهم عند ذكره حرّا فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول قد عشش فيه الشيطان وفرّخ، ومن هناك مثلك ما درج ونهض»[2].

من الملاحظ في هذين النّصّين المباركين هنا استعمال الاستعارة أثناء التعبير عن الشيطان الرجيم، ففي الخطبة الفدكية (اطلع الشيطان رأسه من مغرزه ..) وفي الخطبة الزينبية في الشام (قد عشش الشيطان فيه وفرّخ)، ومع أنَّ عدداً من الدارسين توقّف عند هاتين الاستعارتين وفصل القول فيها (بلاغياً) إذ بيّنوا بأن (أطلع الشيطان رأسه من مغرزه) فيها استعارة القنفذ (وهو حيوان معروف) للشيطان (والمغرز) هو مغرز رأسه أي ما يختفي فيه[3]، أما التعبير الثاني ففيه استعارة أيضاً من الطيور إذ عندما تستقر في مكان فهي تعشش فيه وتفرّخ صغارها[4]، ومع أنَّ هؤلاء الدّارسين الكرام قد بيّنوا جميع ذلك، إلا أنَّنا هنا – كما ذكرنا آنفاً – لسنا بصدد الوقوف على الاستعارة بوصفها أسلوباً بلاغيّاً يكشف عن قدرة المتكلم الكلامية وتمكنه من تصوير المعاني في ذهن المتلقي فحسب، بل ننظر إلى الاستعارة هنا من دائرة أوسع؛ ذلك بأنَّ مراد السيدتين الجليلتين ﷺ هنا لا يتوقّف عند هذه المعاني البلاغية بل يتعدّى ذلك ليلفتا ﷺ ذهن المتلقي لحدث مهمّ وخطبٍ جليل ألا وهو حقيقة واقع الأمّة الإسلامية، فهنا إبلاغ عظيم وإبراز جليل لهذا الحدث كان للتصوير الاستعاري أثر كبير في إيصاله الى المتلقّين بهذه الصورة. فكلا السيدتين الجليلتين ﷺ أرادتا الكشف عن حقيقة إسلام القوم، وبيان صدق الإيمان من عدمه في قلوبهم؛ ذلك بأنَّ الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلوب عباده، وليس إلى كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم القرآن الكريم، فكم من قارئ للقرآن الكريم والقرآن يلعنه، وكم من مصلٍّ وصائم ليس له من ذلك إلا الجهد والتعب، فالإيمان لا يكون بلفظ

---

١ – الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٣٦.

٢ – المصدر نفسه: ٢/ ٣٧.

٣– ينظر: الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي: ٤٨١.

٤ – ينظر: المجازات النبوية، الشريف الرضي: ٥٥.

الشهادتين والصلاة والصوم وغيرها من العبادات بقدر ما هو تسليم لله تعالى في كلّ شيء صغيره وكبيره وجهاد في سبيله، وخصوصاً جهاد النفس فهو الجهاد الأكبر، ومدار جهاد النفس هو محاربتها للشيطان وعدم انقيادها له؛ ذلك بأنَّ الضعف أمام الشيطان والانقياد لما يوسوس فيه خسران الدّنيا والآخرة ولا يكون الخسران على مستوى الفرد فحسب بل تتوسّع دائرته لتعمّ الأمّة كلها، وهنا الطّامّة الكبرى.

وكما رأينا في تقنية التّكرار، فاستعمال السيدة زينب ﷺ لها كان امتداداً لأسلوب والدتها السيدة الزهراء ﷺ في الخطاب مع مراعاة الموقف الكلامي لكلٍّ منهما، كذلك الأمر هنا فكلتاهما عمدتا إلى إبراز الحدث ذاته عبر استعمال تقنية الاستعارة مع مراعاة اختلاف الموقف الكلامي، وتطور عناصر الحدث المقصود بالإبراز إذ بين الموقفين الكلاميين سنين عدة ألقى فيها النسق الثقافي للمجتمع بظلاله على جميع الأصعدة ومن أهمّها الصعيد (العقدي)، ويتَّضح لنا الأمر من المقارنة بين الاستعارتين.

فالسيدة الزَّهراء ﷺ عندما قالت (واطلع الشيطان من مغرزه) فيه تنبيه عن حال الأمة الإسلامية آنذاك، إذ كان الشيطان خائفاً فزعاً بوجود رسول الله ﷺ بين المسلمين إذ كلَّما حاول المنافقون والمشركون والكفار عمل المكائد وإطفاء نور الله تعالى أثبط محاولاتهم الرّسول ﷺ، وكثير من المسلمين كان إسلامهم ضعيفاً ولكنهم بوجود رسول الله ﷺ بين أظهرهم أظهروا الجلادة والإيمان، واتباع أوامره ﷺ فما أن فارق الرسول ﷺ الحياة حتَّى ظهرت حقيقة إسلام القوم، فانتهز الشيطان الفرصة فهتف بهم فما أسرع أن استجابوا له، ليس هذا فحسب بل (استنهضكم فوجدكم خفافاً ..)!!! فما أسرع أن تركوا حزب الله وانغمسوا في حزب الشيطان، ومن ثم قالت ﷺ (فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير مشربكم) كناية منها لتركهم لسنة رسول الله ﷺ وإمامة الإمام علي ﷺ ووصيته فيه وفي أهل بيته ﷺ، كلّ هذا والعهد قريب والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر)!!! وفي تعبيرها الأخير ﷺ إشارة لما سيحدث بعد ذلك أي إن كان هذا حال الأمة والعهد قريب فماذا بعد ذلك ؟!!

هذا ما كان موجّهاً للمتلقين آنذاك ومن وجّه لهم الخطاب مباشرة، أما ما يحمله من بعد تداولي فهو يشمل جميع المتلقّين لهذا الخطاب عبر العصور، إذ في ذلك بيان لما حصل ولأسبابه ولما وقع في أمّة رسول الله ﷺ؟ جميع ذلك أصله اختبار (حقيقة إيمان الأمّة الإسلامية)، وهناك حزبان حزب الله وحزب الشيطان، فبأيّهما نتمسّك وبأيّهما نقتدِ؟!

إذن فالإبلاغ هنا لا يشمل من حضر الخطاب وسمعه آنذاك فحسب، بل يتعدّاهم ليشمل الجميع ولكي يكون موقف القوم الأوائل الذين عاشوا ذلك الحدث آنذاك وعملت السّيدة الزّهراء ﷺ على إبرازه وبيان خطره من خلال تقنية الاستعارة، وجعل ذلك نصب أعينهم ولفت نظرهم إليه وتنبيههم عليه عسى أن يتنبّهوا إلى ذلك ويعوا ما تقول ولا يسقطوا في الفتنة، إلا أنّها ﷺ تعلم علم

اليقين حقيقتهم، ولكنّها ألقت عليهم الحجّة وبيّنت لهم حقيقة عملهم وحقيقة إسلامهم ولهذا ختمت خطابها في هذه الفترة باستشهادها بقوله تعالى (ألا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنّم لمحيطة بالكافرين)، وإن الاستشهاد بهذه الآية الكريمة هنا فيه إشارة وتنبيه عظيم لكلّ من يتلقّى هذا الخطاب عنها ﷺ أي انتبه وراجع نفسك وتمسّك بحزب الله تعالى ولا تسقط في الفتنة كما سقط هؤلاء.

فهناك فئة سقطت فعلاً واتبعت الشيطان وهناك فئة متردّدة ضعيفة الإيمان متزعزعة العقيدة تنقاد بسرعة وتصدق بكل من يتلبس بلباس الدّين أو خوفاً من القتل أو طمعاً بالدنيا، فهؤلاء هم من عمدت السيدة الزّهراء ﷺ الى لفت نظرهم وتنبيههم عسى أن يعودوا الى الطّريق الصحيح.

في حين الموقف الكلامي للسيدة زينب ﷺ مختلف جدًّا، فهي تكلّم يزيد وأتباعه الذين قتلوا الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته ﷺ وفعلوا ما فعلوا من جرائم، وهي ﷺ تعلم علم اليقين حقيقته -لعنه الله - وأتباعه لذلك أبلغت عن هذه الحقيقة أمام الملأ ولجميع المتلقين فيما بعد إذ قالت: (فتلك قلوب قاسية ونفوس طاغية وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول قد عشش فيه الشيطان وفرّخ) ففي استعمال تقنية الاستعارة هنا إبراز لحدث عظيم بأن يزيد وأتباعه حزب الشيطان، لم يطلع عليهم الشيطان كما في خطاب الزّهراء ﷺ بل عشش في صورهم، واستقرّ ونفث سمومه وانقادوا له بطواعية، واسودّت قلوبهم به اسوداداً كاملاً لا مجال للرجوع عنه، فكأنّما صارت قلوبهم بيته وموطنه.

ولم يجبرهم الشيطان على ذلك بل هيئوا هم له الأمر وسهّلوا له الطريق، فكما أنَّ الطيور لا تستقر ولا تفقس بيضها إلا في بيئة مناسبة ومكان مناسب يهيء لها الظّروف المناسبة لاستقرارها، كذلك حال يزيد وأتباعه هنا مع الشيطان.

وفي هذا التصوير الاستعاري كسر للجمود الذّهني الذي يُعاني منه الحضور آنذاك، فالذي أمامهم لا يمثّل (حاكم المسلمين) بل هو (شيطان لعين)، وبما أنَّ هذا التعبير كسر صورة يزيد أمامهم جعلهم آنذاك في انتباه أكثر وتأثّر أكبر بكلام السيدة زينب ﷺ وبهؤلاء السبايا، فانقلبت موازين الأمور إذ جمعهم يزيد - لعنه الله - لإذلال أهل البيت ﷺ فذلّ هو ومن معه، وكان خطاب السيدة زينب الإبلاغ الأوّل عن حقيقته وأتباعه لما اقترفوه بحق الإمام الحسين ﷺ، ولذلك نقول دوماً بأنَّ ثورة الإمام الحسين ﷺ حسينيّة الوجود زينبيّة البقاء.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة نخلص إلى النتائج الآتية:

١ – النسق الإبلاغي نظام متكامل له تقنيات لسانية ونصّيّة وتداولية خاصة به يعمد بوساطتها إلى إبلاغ متلقيه بما يريده؛ ليؤثر فيه ويزيد من تفاعله مع ما يبلغ به، وهو يتعاضد مع (النسق الثقافي) ذلك التعاضد الذي يجعل المتكلم يقصد استعمال مفردة بحد ذاتها أو أسلوباً لغوياً معيناً دون غيرها، فهذه القصدية في اختيار المفردات والأساليب تتم بمراعاة البعد الثقافي للمتلقين وكيفية فهمهم للخطاب الذي يتلقونه، إذ هناك معانٍ ظاهرة بسيطة يفهمها عموم المتلقين وهناك معانٍ مفردة لا يفهمها إلا الخواص كل بحسب ثقافته ومرجعياته الفكرية.

٢ – إنَّ خطاب السيدتين الجليلتين كان خطاباً إبلاغياً مقصوداً بكلّ أسلوب من أساليبه اللغوية وبكلّ تقنية من تقنياته النّصّية والخطابية، إذ لم تكونا ﷺ مضطرتين إلى إلقاء هذا الخطاب، ولم تجبرهما عناصر (الموقف الكلامي) على ذلك، بل تم اعتماد هذا النسق من الإبلاغ بعناية وبتدبر وبعد علم ودراية بجميع ما تمر به الأمّة الإسلامية.

٣ – إنَّ خطاب السيدة زينب ﷺ يُمثّل امتداداً لخطاب والدتها السيدة فاطمة الزهراء ﷺ إذ أبلغتا عن الموضوعات ذاتها وكشفتا عن حقيقة واقع الأمة الإسلامية وما تعاني منه من اتباع الشيطان، وتزعزع العقيدة واللهث وراء الدنيا، وبيّنتا أسباب ذاك باستعمال تقنيات لغوية مهمّة كانت لها أبعادٌ تداولية عظيمة قلبت موازين الموقف الكلامي آنذاك، ليس هذا فحسب بل كان لها صدى إعلاميٌّ منذ ذلك الحين الى يومنا هذا، وقد جاءت هذه التقنيات المعتمدة في الخطاب متناسبة مع عناصر الموقف الكلامي لكلّ منهما ﷺ.

المصادر والمراجع:

* الاحتجاج، للشيخ الطبرسي، تعليق السيد محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.
* الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، تقديم آية الله السيد عادل العلوي، ط٢، إيران، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
* استراتيجيات الخطاب / مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م .
* أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.
* الأمالي، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الثقافة، ط١، ١٤١٤هـ.
* أنساق التداول التعبيري / دراسة في نظم الاتصال الأدبي (ألف ليلة وليلة أنموذجاً تطبيقياً)، الدكتور فائز الشرع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط ١، ٢٠٠٩م .
* بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق الشيخ عبد الزهرة العلوي، دار الرضا، بيروت - لبنان.
* البرهان في وجوه البيان، اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق : حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
* زينب الكبرى ودورها في النهضة الحسينية، عبد السلام كاظم الجعفري، دار الغدير، قم المقدسة، إيران، ط١، ١٤٣٢هـ.
* سلسلة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة/ دراسة تاريخية تحليلية)، إعداد ونشر مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية - مديرية دراسات عاشوراء، ط٣، ١٣٨٤ هـ.ش.
* سيرة الأئمة الأثنى عشر، هاشم معروف الحسيني، منشورات الإمام الرضا ﷺ، بيروت، لبنان، ط٧، د.ت.
* شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ايران.
* علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، ترجمة :د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، ط٣، ١٩٨٥م .
* في بلاغة الخطاب الاقناعي- مدخل نظري وتطبيقي في دراسة البلاغة العربية، د. محمد العمري، افريقا الشرق، المغرب، ٢٠٢م .
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجواهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م .
* كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، بدون تاريخ .
* الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ)، إعداد : الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩٨م .
* لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح احمد يوسف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
* المجازات النبوية، الشريف الرضي، تحقيق وشرح طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ايران.
* مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي النقوي القايني الخراساني، مطبعة علمي، طهران، ١٤٠٣هـ.
* من فقه الزهراء، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط٢، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.
* الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ﷺ، اسماعيل الأنباري الزنجاني، نشر (دليلنا)، إيران.
* موسوعة أهل البيت الحضارية، الدكتور محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، ط١، ٢٠٠٤م.
* موسوعة حياة الإمام الحسين ﷺ وثورته المباركة برواية أئمة اهل البيت ﷺ، د. هادي التميمي، منشورات دليل ما، إيران، ط١، ١٣٩٩ هـ.ش.
* مدخل إلى نظرية الأنساق، نيكلاس لومان، ترجمة : يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، بدون تاريخ .
* النسق الإبلاغي في القرآن الكريم/ دراسة لسانية تداولية، د. فاطمة السلامي، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل، العراق، ط١، ٢٠١٦م.
* نظرية سياق الحال، مقال منشور في موقع الرؤية alroeya.com في تاريخ ٢٤/ ديسمبر، ٢٠١٥م.
* النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط٣، ٢٠٠٥م.
* النقد اللساني، روجر فاولر، ترجمة د. عفاف البطاينة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٢١م.
* المدارس اللسانية المعاصرة، الدكتور نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة .
* مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، المجلدات الخاصة بـ(جائزة الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ، للإبداع الفكري)، العدد (٢٠)، جمادي الآخر ١٤٣٤ - آيار ٢٠١٣م.

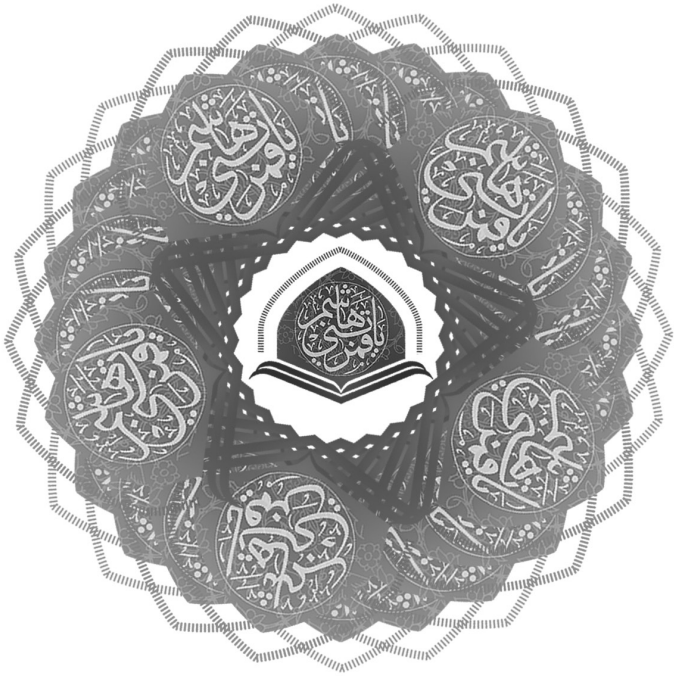

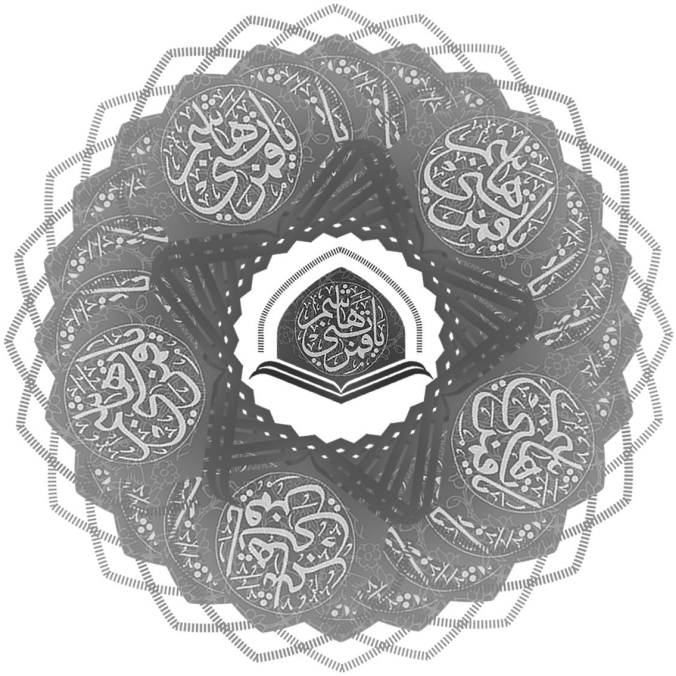

مقامات السيدة الزهراء عليها السلام ومحوريتها في الربط بين منزلتي النبوة والإمامة -دراسة في الروايات-

أ.د. محمد حسين عبود

يلمس المتطلع لآيات كتاب الله العزيز، أنَّ للمرأة محورية مهمّة، بل مركزية عبر تاريخ الرسالات السماوية، والذي وضحّت أبعادها الآيات الشريفة، ابتداء من زوجة النبي آدم عليه السلام، مرورا بأمّ كليم الله موسى عليه السلام وزوجة فرعون، والسيدة مريم عليها السلام وسواهنَّ من النّساء اللواتي ذكرهنَّ أو أشار لهنَّ ولمقامهنَّ القرآن الكريم، انتهاء بالسيدة الزّهراء عليها السلام تقبع في أعلى هرم التكريم الإلهي من خلال طائفة واسعة من الآيات والروايات، التي تكشف بجلاء عن المقامات السماوية التي تتمتّع بها عليها السلام.

إنّ تلك المقامات الرَّبّانيّة التي استحقتها السّيّدة الزّهراء عليها السلام، تلعب دورًا مهمًّا ورئيسًا في مسألة الرّبط بين منزلتي النّبوّة والإمامة، بل إنَّ كونها عليها السلام قطب الرّحى في الربط بينهما، هو الآخر يُمثّل المقام الأسمى بل المقام الأخص والأخلص لسائر مقاماتها الأخرى.

والحق إنَّ من يقف على السمات النّبوية للسيدة الزّهراء عليها السلام، التي أسفرت عنها الأحاديث والرّوايات لا يخالجه شكّ ولا يداخله ريب في أنَّها نطفة تجسد خلاصة الطهارة والنقاء، انطلقت من جنّة الله لتستقر في صلب النبوة، لتخرج الى عالم الملك في صورة ابنة نبي الرحمة صلى الله عليه وآله، وقد استجمعت أسباب الجلال الكمال .

من هنا فإنَّه يحث للنساء أن يفتخرن على الرجل بمثل السيدة الزهراء عليها السلام، فهي تُمثّل أما للنبوة والإمامة على حد سواء، فقد تألقت عليها السلام في عالم النور والملكوت حتَّى:

تدرجت في مراقي الحقِّ عارجةً *** لمشرق النور حيث السرُ مستتر

ثم انثنت تملأ الدنيا معارفها *** تطوى القرون عياءً وهي تنتشر[1] .

١- محمد علي الحاو(معاصر): موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي عليه السلام/ ط١(١٤١٧هـ)/ نشر مؤسسة دارالكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر - قم - ايران/ ٥٥٥.

- **سبب اختيار عنوان البحث:**

إنَّ الخوض في سيرة السّيّدة الزَّهراءﷺ يوقف الباحث على حقائق ملكوتيّة تستلزم البحث طويلاً والتّأمّل مليًّا، يتعرف من خلالها على الحقائق السَّامية لشخصية تلك السّيّدة الجليلة، التي انفردت بها دون غيرها من النساء، حتَّى تربّعت واستحقّت أن تكون سيّدة نساء الأوّلين والآخرين، ليس في عالم الدنيا فحسب بل في عالم الآخرة، الأمر الذي دعا الباحث الى الخوض في مقاماتها والكشف عن أسرارها، وكذا دورها في تحقيق دواعي الرَّبط بين منزلة النّبوّة ومنزلة الإمامة.

إنَّ البحث لا يعدو أن يكون محاولة بحثيّة متواضعة، يسعى من خلالها الباحث الكشف عن الجانب المتعلق ببعض المقامات التي حظيت بها السيدة الزهراء، وإلا فإنَّ الحديث عنهاﷺ ممّا يتطلّب مؤلفات وكتبا لا يمكنها أن توفيها حقّهاﷺ أيضًا.

- **مصادر البحث:** تطلب أهمّيّة البحث ومكانته، أن يعتمد على جملة من المصادر والمراجع اللغوية والتفسيرية والحديثية والتاريخية والفقهية وسواها.

- **خطّة البحث:**

لذلك استلزم البحث أن يكون في جملة مباحث هي: المبحث الأوّل الذي تناول المقامات الملكوتية للسيدة الزهراءﷺ، وقد انقسم في مطالب ثلاثة، فيما كان المبحث الثاني في المقامات الرسالية للسيدة الزهراءﷺ، أما المبحث الثالث فقد تناول محورية السيدة الزهراء في الرّبط بين النّبوّة والإمامة، ثم نتائج البحث فمصادر المعتمدة من قبل الباحث.

آخر الكلام مسك الختام في الصلاة والسلام على سيد الأنام، وأهل بيته الكرامﷺ، ولا سيّما الزّهراء البتول التي شفاعتها يوم الدين بمحمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

المبحث الأول: المقامات الملكوتية للسيدة الزَّهراء عليها السلام:

لقد منّ الله سبحانه على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بنحو عام، والسيدة الزّهراء عليها السلام بنحو خاصّ بأسرار ومقامات ملكوتية، لم يكن لأحد غيرهم فيها سهم أو نصيب. ولا غرو في حصولهم عليها؛ لأنَّهم آل الله وعباده الذين ذابت نفوسهم عشقًا في ذات الله، واضمحلّت شخوصهم في ابتغاء مرضاته، ولا بُدَّ ابتداء من بيان المعنى المراد من لفظ الملكوت، إذ اختلفت الاتجاهات والرؤى بخصوص مفهوم الملكوت .

وقد ورد في تعريف الملكوت بأنَّه الملك أي بمعنى السلطنة والحكم [1]، وقيل أنَّ ((الملكوت هو باطن الأشياء لا ظاهرها المحسوس)) [2].

كما قيل أنَّ ((الملكوت هو باطن العالم الظَّاهري، بل باطن العالم العلوي الذي هو باطن العالم الملكي)) [3].

غير أنَّ التعريف الذي يهمّنا في المقام هو ما ذهب إليه بعض العلماء من أنَّ عالم الملكوت هو عالم المعاني والغيب، والارتقاء إليه يكون من عالم الملك ذاته[4].

من ثمّ يمكن القول إنَّ المقامات الملكوتية هي تلك المقامات التي تنطلق من عالم الملك، لتستقر في عالم الملكوت، كاشفة عن الاجتباء السماوي لصاحبها، والتي لا تكون إلا لمن اختاره الله لها كالسيدة الزَّهراء عليها السلام.

فإذا علمنا ذلك ينتقل البحث إلى التفصيل فيها عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: مقام السّيّدة الزَّهراء عليها السلام عند الله تعالى:

لا شك أنَّ للسيدة الزَّهراء عليها السلام مقامًا عظيمًا عند المولى سبحانه، يكشف عنه ما ورد عن نبي الرّحمة صلى الله عليه وآله قوله: ((يا فاطمة إنَّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك))[5]، والحديث واضح الدّلالة في المقام الإلهي السّامي، التي تتصف به الزَّهراء عليها السلام من دون جميع نساء الكون أجمعين.

والحقّ إنَّ الحديث يُعرب بشكلٍ جليّ عن خطير ما تتمتّع به سيّدة النّساء عليها السلام من التّنزيه الإلهي وعظيم المراتب والمناقب السّماويّة، التي تفضّل بها المولى سبحانه عليها، جزاءً لبلوغها الدّرجات العاليات في جهاد النّفس وتهذيبها، وأنّها وصلت لمقام الرضا الذي لا يناله إلا من اختصّه الله برحمته ورضوانه، كما أنَّ الحديث يعلن بصريح العبارة وواضح الدّلالة عن عصمتها عليها السلام عن أيّ رجس أو دنس، وإلا فلا يُعقل أن يغضب الله جلّ شأنه لغضب أحد، ما لم يكن غضبه خارج عن حدود دواعي الغضب البشري، ومتجرّد بالكلية عن كلِّ

١-ظ: السيد الطباطبائي: محمد حسين(ت١٤٠٢هـ) : الميزان في تفسير القرآن/ نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المشرفة ١٥/ ٥٩.

٢-م. ن ٨/ ٢٤٠.

٣-جواد بن عباس الكربلائي(معاصر): الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة/ تحقيق محسن الأسدي/ ط١(١٤٢٨هـ)/ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ٢/ ١٩٨.

٤-ظ: ابن عربي: محيي الدين(ت٦٣٨هـ): الفتوحات المكية / تحقيق عثمان يحيى / ط٢(١٤٠٥هـ) مصر ١٣/ ١٧١.

٥-المجلسي: محمد باقر(ت١١١١هـ): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ تحقيق محمد باقر البهبودي/ ط٢(١٤٠٣هـ)/ مؤسسة الوفاء بيروت لبنان ٤٣/ ١.

النوازع والهواجس الإنسانية، التي يتلبس بها غيره من البشر.

من هنا فالحديث يجمع في الكشف بين المقام الملكوتي في عالم الغيب، ومقام العصمة من الذّنوب والخطايا في عالم الدّنيا، كما ورد في ذات السياق الحديث القدسي الذي تضمّن خطاب الله لنبي الرحمة ﷺ: ((يقول فيه الباري ﷻ: يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما)) [1]، ومعنى الحديث إنَّ وجود علي ﷺ بدون النبي ﷺ لا يحقّق الغرض الإلهي في هذا الوجود، كما أنَّ وجود النبي ﷺ بدون علي ﷺ سيكون كذلك، ووجودهما معاً يحتاج إلى وجود فاطمة ﷺ، وبعبارة أخرى إنَّ الحديث ليس فيه ثمة إشارة إلى من هو الأفضل من بين هؤلاء، بل لمجرد بيان أن كمال الكون على أحسن وجه لا يكون ولا يتحقق إلا باجتماع هؤلاء جميعا[2]، وأنّه لا يمكن تصوّر قيام عالمنا من دون أدوار هؤلاء الثلاثة (عليهم الصلاة والسلام).

المطلب الثاني: مقام السيدة الزهراء ﷺ عند الملائكة: ورد في الحديث الشريف ما يؤكّد المقام العالي للسيدة الزهراء ﷺ عند ملائكة الله، ففي رواية طويلة عن أنس بن مالك من جملتها ((قال: صلى بنا رسول الله ﷺ في بعض الأيام صلاة الفجر، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تفسّر لنا قول الله ﷻ: ﴿ **فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً** ﴾، فقال ﷺ: أمّا النبيون فأنا، وأما الصّدّيقون فأخي علي بن أبي طالب ﷺ، وأما الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين ....الى قوله ﷺ: ثمّ أمر الله الظلمات أن تمر بسحائب الظلم، فأظلمّت السماوات على الملائكة، فضجّت الملائكة بالتسبيح والتقديس، وقالت: إلهنا وسيّدنا منذ خلقتنا وعرفتنا هذه الأشباح لم نر بؤسًا، فبحقّ هذه الأشباح إلا ما كشفت عنّا هذه الظّلمة، فأخرج الله من نور ابنتي فاطمة قناديل فعلقها في بطنان العرش، فأزهرت السماوات والأرض، ثم أشرقت بنورها، فلأجل ذلك سمّيت الزّهراء، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزّاهر الذي قد أشرقت به السماوات والأرض؟ فأوحى الله إليها : هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة بنت حبيبي وزوجة وليي وأخي نبيي وأبي حججي على عبادي، أشهدكم يا ملائكتي أنّي قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبّيها إلى يوم القيامة))[3]، ويمكن أن يوقفنا ذيل الرواية وشاهدها على جملة حقائق هي:

أوّلاً: يُسفر سؤال الملائكة واستفسارهم بخصوص نور السيدة الزهراء ﷺ الذي أشرقت به السموات والأرض، عن جهلهم بحقيقة المقام السامي الذي جعله الله جلّ شأنه لها ﷺ، الأمر الذي يكشف بالإلتزام عن تفوقها ﷺ عليهم شأوا و شأنًا، وإذا تصوّرنا حال ملائكة الله مع السيدة

١- مرتضى جعفر العاملي(معاصر): مختصر مفيد/ ط١(١٤٢٣هـ)/ طبع ونشر المركز الإسلامي للدراسات ٣/ ٢٦.

٢- ظ: العاملي: مختصر مفيد ٣/ ٣٢.

٣- هاشم البحراني(ت١١٠٧هـ): البرهان في تفسير القرآن/ تحقيق سم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة - قم ٢/ ١٢٦.

الزّهـراء، فـما بالـك بمـن دونهـم مـن الخلـق؟؟؟.

ثانيـا: إنَّ السـيدة الزهـراء استلهمت نورهـا القـدسي مـن نـور الله سـبحانه ؛ لأنَّـه جـل ذكـره قـد اخـترع نورهـا مـن نـوره سـبحانه، ولغـة النـور هـذه إن جـاز التّعبـير لا يفهـم كنههـا إلا الملائكـة؛ لـذا توجـه الملائكـة بسـؤالهم لله سـبحانه عـن ماهيـة هـذا النـور، الـذي لم يكـن قـد ألفـوه مـن قبـل.

ثالثًـا: ثـم تأكَّـدت أبعـاد المقـام الفاطمـي والتعظيـم الإلهـي لهـا لـدى ملائكـة الله سـبحانه حـين أشـهدهم عـلى جعْلـه ثـواب التسـبيح والتقديـس لهـا ولشـيعتها ومحبّيهـا إلى يـوم القيامـة.

ولا يخال الباحث أنَّ هناك أوضح من هذه الإشارات لمقامها، التي تضمّنها تلكم الرّواية.

المطلب الثالث: مقام السيدة الزَّهراء في الآخرة:

تشير طائفة واسعة من آيات كتاب الله إلى أهوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد**﴾ سورة الحج/ ٢، والآية تنقل لنا صورة من صور ذلك اليوم العظيم، الذي يهرب فيه الإنسان و﴿ **يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِي**﴾ سورة عبس/ ٣٤ـ٣٧، فيما تكون السيدة الزهراء في شأن إلهي آخر ومقام أخروي عظيم، جعله الله بابًا للرحمة وسببًا للشفاعة، إذ تؤكِّد الرّوايات على المكانة الرّفيعة للسيدة الزهراء في عرصات القيامة، حينما يكون الخلق رهيني الفزع والهلع لهول ذلك اليوم العظيم، فقد ورد ((عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله قال: قال جدّي رسول الله : ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي ويغصبها حقّها ويقتلها، ثم قال: يا فاطمة أبشري فلك عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتشفعين، يا فاطمة لو أنَّ كل نبي بعثه الله وكلّ ملك قرّبه شفعوا في كلّ مبغض لك غاصب لك ما أخرجه الله من النار أبدًا))[1]، وفي الرواية جملة دلالات هي:

أوّلاً: تأكيد النبي على حقيقة أنَّ ابنته الزهراء ستتعرّض للظلم الفاحش، وأنّ المتعرّض لظلمها مطرود من رحمة الله، باللعن المشار إليه من قبل نبي الرحمة، الكاشف عن تجاهل القوم لعظيم مكانتها، وهو استشراف لمستقبل الأمة مع ابنته.

ثانيا: بشارة النبي للسيدة الزهراء بالمقام المحمود، لتشارك والدها، في نوال هذا المقام، فقد ((رُوي أنه إذا سُمع المؤذن يؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله أن يقول: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمّد رسولا، وبالأئمّة الطاهرين أئمّة، ويصلّي على النبي وآله، ثم يقول: اللهم ربّ هذه الدعوة التّامّة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والشفاعة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته))[2]. ولا يخفى ما في ذلك من تعريف لائح وبيان واضح، للمراتب التي

١- المجلسي: بحار الأنوار ٧٣/ ٣٥٥.

٢-الطوسي: محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ):المبسوط/ تحقيق محمد تقي الكشفي/ المطبعة الحيدرية طهران ١/ ٩٧.

تكون للزهراءعليها السلام في ذلك اليوم الرهيب، فهي قرينة والدهاصلى الله عليه وآله في الحضوة بها.

ثالثًا: زيادة في تأكيد مقام الزَّهراء عليها السلام، بيّن النبيصلى الله عليه وآله أنَّ المبغض لها والغاصب لحقّها لا ينال شفاعة كلّ الأنبياء والملائكة فيما لو تشفّعوا له، وهو ما يدلّل على عظيم مكانتها ومقامها عليها السلام، وأنَّ الشفاعة من جملة المقامات التي تنالهاعليها السلام في يوم المحشر. ويبدو للباحث أنَّ هذا التكريم الإلهي المشخّص في بشارة النبيصلى الله عليه وآله، يمثّل في شكل من الأشكال تعويضًا لهاعليها السلام عمّا واجهته في عالم الدنيا من ألوان العنت والظلم والغصب، يكشف عنه نصّ الحديث القدسي: ((يا فاطمة وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذّب محبّيك ومحبّي عترتك بالنّار))[1]، والحديث بصدد تنبيه العقول والأفكار الى مقام السيدة الزّهراءعليها السلام، الذي يضرب في العمق الزماني لخلق العالم.

خلاصة القول إنَّ المقامات الملكوتية للسيدة الزهراءعليها السلام بناء على الرّوايات آنفًا تتعدّى حدود الزمان والمكان، فهي تبدأ من قبل خلق العالم؛ لتنتهي عند يوم البعث والنشور، فتكون رحمة لشيعتها ومحبّيها، تستنقذهم من لهيب جهنّم دون غيرهم، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردئ.....))[2].

المبحث الثاني: المقامات الرسالية للسيدة الزهراءعليها السلام: يسعى الباحث في هذا المبحث الى إثبات المقامات الرسالية للسيدة الزهراءعليها السلام، والتي يقصد بها المقامات السامية التي نالتها عليها السلام متمثّلة في الروايات التي سيقف عليها الباحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: مقاماتهاعليها السلام عند الأنبياءعليهم السلام:

فقد نقل لنا صاحب دلائل الإمامة في رواية طويلة ((علي بن أسباط، عن الحسين (٥) بن أبي العلاء وعلي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن مصحف فاطمة (صلوات الله عليها)، فقال : انزل عليها بعد موت أبيها، فقلت: ففيه شيء من القرآن ؟ قال: ما فيه شيء من القرآن، قال: قلت : فصفه لي، قال: له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين...حتَّى قولهعليه السلام: لقد كانت (صلوات الله عليها) طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجن، والإنس، والطير، والبهائم، والأنبياء، والملائكة، فقلت: جعلت فداك فلمّا مضت إلى من صار ذلك المصحف ؟ فقال: دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا مضى صار إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم عند أهله حتَّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر...الخ الرّواية))[3].

١- المجلسي: بحار الأنوار: ٢٧/ ١٤١.

٢- المصدر نفسه: ٤٣/ ٦٥.

٣- الطبري: محمد بن جرير(ت٣١٠هـ): دلائل الإمامة / قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم/ /ط١(١٤١٣هـ)/ قسم الدراسات

والرواية مكشوفة المعنى بيّنة المراد في أنّ مقامها عليها السلام متقدّم حتّى على الأنبياء عليهم السلام أنفسهم، سوى رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، الذين لا يدانيهم في الفضل أحد، بل على جميع المخلوقات العاقلة وغيرها، بالقرينة الواضحة المصرّحة بلزوم طاعتها عليها السلام من قبلهم جميع؛ لذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((نحن أهل بيت شجرة النّبوة ومعدن الرسالة، ليس أحد من الخلائق يفضل أهل بيتي))[1]، وممّا يركّز هذا المعنى هو ما رُوي ((عن محمد بن وهبان، عن علي بن حبيش، عن العباس بن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن صفوان، عن الحسين بن أبي غندر، عن إسحاق بن عمار وأبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ الله تبارك وتعالى أمهر فاطمة عليها السلام ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار، وتدخل أولياءها الجنة، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى))[2].
ولو تمعنا في الرواية الأخيرة لوجدناها تضع أيدينا على جملة من المقامات هي:

أوّلاً: أنَّ لها منزلة ومقام الولاية في عالم الآخرة، فلها أن تدخل أولياءها الجنة وأعداءها النار، وهي بذلك تتقاسم زوجها أمير المؤمنين عليه السلام بتلك المنزلة الأخروية، فقد ورد ((عن عباية بن ربعي قال : سمعت عليًّا يقول: أنا قسيم النار والجنة، أقول للنار هذا لي وهذا لك))[3]، الأمر الكاشف عن عظيم مكانتها وكبير مقامها.

ثانيًا: إنَّ لها عليها السلام مقام الصّدّيقة الكبرى، كزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، الذي رُوي عنه عليه السلام قوله: ((أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام الناس، وصلّيت قبل صلاتهم))[4]، وبذلك يتأكّد للبحث أن السيدة الزهراء عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتشاطرا منازل القرب من الله سبحانه، الدَّالّة على عظيم ما يتّسما ويتّصفا به من المقامات الرّسالية التي حباهما به جلّ شأنه.

ثالثًا: إنَّ المعرفة النَّوعية إن صح التعبير للسيدة الزَّهراء عليها السلام، دارت عليها القرون الأولى، كما بيّنت الرّواية، ومفهوم القرون الأولى يستبطن الإشارة الى أنبياء تلك الأزمنة، ومعرفتهم بمقامها عليها السلام.والحقّ إنَّ من المستصعب معرفة ماهيّة هذه المعرفة، غير أنَّ القدر المتيقّن منها هو أنَّ هذه المعرفة محور الكمالات في هذا الدّين منذ أوّل

الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم / نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة/ ١٠٦.

١ – محمد الريشهري(معاصر): أهل البيت في الكتاب والسنة / ط٢/ طبع ونشر دار الحديث/ ١٦٣.
المجلسي : بحار الأنوار / ٤٣/ ١٥٠.

٢ – القندوزي الحنفي(ت١٢٩٤هـ): ينابيع المودة لذوي القربى/ تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني/ ط١(١٤١٦هـ)/ دد دار الأسوة للطباعة والنشر ٢/ ٢٧.

٣– ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ): شرح نهج البلاغة / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم/ ط١(١٩٥٩م)/ دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ١/ ٣٠.

٤– المجلسي : بحار الأنوار ٤١ / ١٥٢.

نشأته، وهي سر بقائه وديمومته، ف((عن أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب – يرفعه – بالأسناد عن ابن عباس (رضي الله عنه)، قال : سئل رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال: سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، إلا تبتَ عليّ فتاب عليه)) [1].

ولا يخفى ما في الرّواية من البيّنات الواضحات على ما للسيدة الزهراء عليها السلام، من عالي المقام ورفيع المنزلة، التي استدعت نبي الله أبي الأنبياء والبشر آدم عليه السلام لأن يتوسّل بمقامها ويتقرب بمنزلتها الى الله في دفع ما ألّم به؛ لأنَّها عليها السلام كانت من جملة الكلمات التي تلقاها من ربّه سبحانه كانت سببًا في قبول توبته عليه السلام.ولا يخال الباحث أنَّ ثمّة مقام يمكن أن يناله أحد، بمثل ما نالته السّيّدة الزّهراء عليها السلام، وقد أضحت وسيلة الأنبياء عليهم السلام في التّقرّب الى الله سبحانه.

المطلب الثاني: مقاماتها عليها السلام عند النبي ﷺ:

نقلت لنا كتب الحديث أحاديث وروايات شتّى عن مقام السيدة الزهراء عليها السلام عند نبي الرحمة ﷺ، فقد ورد عنه ﷺ قوله: ((من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله))[2]، ((وروى عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، وبهذا الإسناد عنه عليه السلام مثله فقال له: يا بن رسول الله بلغنا أنَّك قلت وذكر الحديث، قال: فما تنكرون من هذا ؟ فوالله إنَّ الله ليغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه))[3]، وفي موضع آخر يقول ﷺ في حديث طويل من جملته: ((والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، إنّي وإيّاهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم... حتَّى يقول: وأما ابنتي فاطمة، فإنَّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وهي بضعة مني، وهو نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السّماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض...الخ الحديث الشريف))[4]

والرواية تكشف بنحو صريح عن مقام السيادة لها عليها السلام في الدّنيا والآخرة، ومقام النور الذي يتجلّى لملائكة الله سبحانه، وقد روى صاحب مقاتل الطّالبيين بإسناده إلى جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام أن فاطمة عليها السلام كانت تكنّى أم أبيها))[5].و لا يخفى ما في كنية النبي ﷺ لابنته الزهراء عليها السلام، من بيان عظيم وتنبيه كريم وإشارة واضحة لائحة على موقعيتها عليها السلام ومكانتها من الرسالة، بل ووثيق علاقة مقامها بمقام الرسالة، وهو ما يفرض على

١- الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ):الخصال/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط(١٤٠٣هـ)/نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرف/ ٢٧٠.

٢- المجلسي : بحار الأنوار ٤٣/ ٥٤.

٣- المصدر نفسه: ٤٣/ ٢٢.

٤- الشيخ الصدوق: محمد بن علي(٣٨١هـ): الأمالي/ ط١(١٤١٧هـ)/ مركز الطبعة والنشر في مؤسسة البعثة/ ١٧٥.

٥- محمد باقر الكجوري(ت١٢٥٥هـ): الخصائص الفاطمية/ م١/ مطبعة شريعت ١/ ١٢٦ .

مسلم ضرورة التمسك بها وبموالاتها عليها السلام.

من هنا فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: ((إنَّما فاطمة شجنة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وصهري)) [1]، وهذا الحديث يُعرب عن مقام جديد للسيدة الزّهراء عليها السلام، يتمثل بامتداد الأنساب لها عليها السلام دون سائر أنساب الخلق، التي قُدّر لها أن تنقطع، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ سورة المؤمنون/ ١٠١، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله: ((فاطمة أعز البرية علي)) [2]، والحديث يكشف عن مقام القرب إن جاز التعبير المبيّن في لفظ(أعز) وما ينطوي تحته من معاني القرب النسبي والعقدي بين النبي صلى الله عليه وآله والسيدة الزهراء عليها السلام، كما تكشف الروايات عن مقام آخر للسيدة الزّهراء عليها السلام، وهو مقام الكمال، إذ رُوي عن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله قوله: ((روي عن زرين أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)) [3].

المطلب الثالث: مقاماتها عليها السلام عند الأئمّة عليهم السلام:

نقلت لنا كتب الحديث طائفة من الرّوايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، التي تضمّنت الإشارات الواضحة لمكانة ومقام السيدة الزّهراء عليها السلام، فقد رُوي عن ((علي بن الحسين عليه السلام: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام)) [4]، كما رُوي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: ((والله لقد فطمها الله بالعلم وعن الطمث في الميثاق)) [5]، ولو تمعن البحث بهذه الرواية لوجد أنَّها تنوّه صراحة بمقامين هما، غير أنّه لابُدَّ للبحث قبل الكشف عنهما من التطرق للمراد من لفظ (الفطم)، إذ يذكر أصحاب المعاجم أنّ جمع فطم هو فُطُم ((مثل سرير وسرر، وفطمت الرجل عن عادته، قال ابن السكيت: ناقة فاطم، إذا بلغ حوارها، سنة ففطم، وأنشد:

من كل كوماء السنام فاطم
تشحى بمستن الذنوب الراذم
شدقين في رأس لها صلادم

قال أبو نصر : فطمت الحبل: قطعته)) [6]، بالتالي فالفطم هو القطع، فإذا اتضح للبحث ذلك، انكشف الصورة عن حقيقة المقامين اللذين هما:

أولهما: مقام العلم: الذي لا يدانيها إليه أحد من النّساء، وهو من أبلغ المقامات وأرفعها.

١- احمد بن حنبل(ت٢٤١هـ): المسند/ دار صادر بيروت ٤/ ٣٢٢ .
٢- يوسف بن حاتم(ت٦٦٤هـ): الدر النظيم/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/ ٤٥٨ .
٣- السيد المرعشي(ت١٤١١هـ): شرح احقاق الحق/ ط(١٤٠٦هـ)/ مطبعة الخيام قم ١٩/ ٤٩.
٤- حسن بن سليمان الحلي(ق٩هـ): مختصر بصائر الدرجات / ط١(١٣٧٠هـ)/ منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف/ ١٣١.
٥- الكليني: الكافي ١/ ٤٦٠.
٦- الجوهري(ت٣٩٣هـ): الصحاح/ تحقيق أحمد عبد الغفور لعطار/ ط٤(١٤٠٧هـ)/ دار العلم للملايين بيروت ٥/ ٢٠٠٢ .

وثانيها: مقام الطَّهارة المادّيّة التي لا يشاركها بها أحد من النساء، فهو كمقام العلم اختصّت به الزَّهراء عليها السلام، وانقطعت إليه دون غيرها من نساء الكون، فيما استبطنت الرّواية الإشارة إلى مقام ثالث يتلخّص بمكانتها في عالم الميثاق، ذلك العالم الذي أشار له أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:((واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه...الخ)) [1]، وهو ما يدل صراحة على كبير مقامها عند المولى سبحانه، حين جعلها أحد الموجودات المقدّسة في عالم الميثاق الذي يشكّل واحدًا من العوالم الملكوتية السّابقة على عالم الملك.كما روي عن أبي عبدالله الصَّادق عليه السلام قوله: ((إنَّما سُمّيت فاطمة؛ لأنَّ الخلق فطموا عن معرفتها)) [2]، والرّواية تسوق لنا توجيهًا جديدًا لمقام سيدة النساء عليها السلام يتلخّص بأنّ جميع الخلق محجوبون وممنوعون عن معرف حقيقة وكنه السيدة الزهراء؛ وهو ما يدلّ بنحو القطع على اختصاصها عليها السلام بمقام كريم وعظيم لا يعلم حدوده إلا الله سبحانه ومن أذن له.

المبحث الثالث: محورية الزَّهراء عليها السلام في الرّبط بين النّبوّة والإمامة:

لا شكّ أنَّ المقامات المختلفة للسيدة الزّهراء عليها السلام التي مرّ الحديث عنها لعبت دورًا جوهريًّا في بيان جانب مهمّ من محورية شخصيتها عليها السلام، وأنَّها حلقة الوصل بين منزلة النّبوّة ومنزلة الإمامة، غير أنّ طبيعة البحث تستلزم الغوص في أبعاد ودواعي هذا الرّبط من خلال الرّواية والتّحليل .

إنَّ محورية شخصيتها عليها السلام في الصّلة بين النّبوّة والإمامة، تكمن بحسب تقدير الباحث في الأسباب التي سيبينها في المطلبين الآتيين:

المطب الأول: السّبب النسبي: ويُقصد به انتساب نسل السيدة الزهراء عليها السلام إلى شخص النبي صلى الله عليه وآله، ليس بالنحو الاعتباري فحسب، بل بالنحو الحقيقي الذي صرّح به رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد رُوي في كتب الفريقين ((عن حريز بن عبد الحميد عن شيبة بن نعامة، عن فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة، فإنّي أنا أبوهم وعصبتهم))[3]، والحديث قطعي الدّلالة على أنَّ النبي صلى الله عليه وآله هو أب لأولاد فاطمة عليها السلام، كما أنَّ أمير المؤمنين زوج الزَّهراء وأبوهم.

ولو دقّقنا في بعض ألفاظ الحديث لاتضحت صورة الأبوة النسبية بين النبي صلى الله عليه وآله وبين أبناء السيدة الزهراء عليها السلام، إذ قال النبي صلى الله عليه وآله: (فإنّي أنا أبوهم)، ولم يقل: (فإنّي أنا والدهم)؛ لأنَّ والدهم الصّلبي هو أمير المؤمنين عليه السلام، فتكون الأبوّة هي جهة الاشتراك بينهما، فكما أنَّ عليًّا عليه السلام أبوهم، فكذا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أبوهم أيضًا.

١- نهج البلاغة ١/ ٢٣.

٢- المجلسي: بحار الأنوار ٤٣/ ٦٦.

٣- م.ن ٣/ ٢٢٣+ الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ): تاريخ بغداد/ تحقيق عبد القادر عطا / ط١(١٤١٧هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١١/ ٢٨٣ + المزي: يوسف(ت٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال / تحقيق بشار عواد معروف/ ط١(١٤١٣هـ)/ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٩/ ٤٨٣، وغيرهم كثير.

ومما يدلّل على هذا الاشتراك النّوعي بين النبي ﷺ وأولاد السيدة الزّهراء عليها السلام هو قوله ﷺ في صدر الحديث مذكّرًا ومنبّهًا وملفتًا الأنظار الى الانتساب الطّبيعي والنّسبي لكلّ عصبة، وأنّهم ينتمون إليه ﷺ: (كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة)، والعصبة بالمعنى الاصطلاحي :((هي الجماعة التي يتعصّب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة إلى خمسة عشر وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنّفر)) [1]، أمّا بالمعنى الفقهي فالعصبة هم الورثة[2]، ولكي تكمل الصورة بين يدي البحث ويتّضح المراد من مفهوم العصبة فإنَّه لابُدَّ من العروج على ما رُوي عن النبي ﷺ قوله: ((إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتَّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة)) [3]، ثم إنَّه ﷺ يصرّح بشكلٍ أكثر تفصيل وتبيين، حين يقول: ((الأئمة من بعدي اثنا عشر، أوّلهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها)) [4].

من هنا يتأكّد للبحث أنَّ المقصود بالعصبة هم الأئمّة من ولد الزهراء عليها السلام، وهم ورثة النبي ﷺ، والامتداد الطبيعي لرسالته السّمحاء، الأمر الكاشف على الدّور الرسالي الذي يلعبه المقام المناط بالسيدة الزهراء عليها السلام، المؤكد على محوريتها في الرّبط بين النّبوّة والإمامة.

المطلب الثّاني: السّبب الرّوائي:

ويقصد به الرّوايات الدّالّة التي يستفاد منها التّأكيد على مكانة السّيّدة الزّهراء، وأنَّها همزة الوصل بين النّبوّة والإمامة، فقد ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله: ((نحن حجج الله على خلقه وجدّتنا فاطمة حجّة الله علينا)) [5].

والحق إنَّ في الرواية جملة مضامين مهمّة يتعرّض لها البحث على النحو الآتي:

أوّلاً: يشكّل لفظ (حجة) محورية مهمّة في الرواية، ويمكن استجلاء المراد منه من خلال الرجوع الى جملة من الآيات التي تضمّنته، كقوله تعالى:﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾سورة الأنعام/ ١٤٩، وقوله سبحانه:﴿ **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ سورة النساء/ ١٦٥، وقوله سبحانه: ﴿**لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾سورة الشورى/ ١٥، الى غيرها من الآيات، والحجّة بأبسط معانيها الدّلالة والبرهان، ((والبرهان والحجّة والدّلالة والبيان بمعنى

١- الطباطبائي: محمد حسين(ت ١٤٠٢هـ): الميزان في تفسير القرآن/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١١/ ٨٨.

٢- ظ: الشهيد الأول(ت٧٨٦هـ): غاية المراد في شرح نكت الارشاد/ تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي/ ط١(١٤٢١هـ)/ طبع مكتب الإعلام الإسلامي ٤/ ٤٨٢.

٣- مسلم النيسابوري(ت٢٦١هـ): صحيح مسلم/ دار الفكر بيرت لبنان ٦/ ٣.

٤- القندوزي: ينابيع المودة لذوي القربى ٣/ ٣٩٥.

٥- الصدوق: محمد بن علي(ت٣٨١هـ): كمال الدين وتمام النعمة/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط(١٤٠٥هـ)/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/ ٢٠٢.

واحد))[1]، أي أنّها ﷺ برهان الله وبيّنته عليهم ودليلهم ﷺ إليه سبحانه، وهم ﷺ براهين الله على خلقه والأدلّاء الى الله سبحانه ؛ لذا ورد عنهم ﷺ ((نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله)) [2].

ثانيًا: إنَّ الاعتقاد بأنَّ أولاد السيدة الزّهراء ﷺ وهم الأئمة ﷺ حجج الله على الخلق، وفق ما ثبت عنهم ﷺ، يكشف عن عظمة الحجّة القائمة عليهم وهي الزَّهراء ﷺ، وبعبارة أدقّ وأفصح إن الله فرض الإتباع والمولاة لهم ﷺ، والمأخوذ من مجمل الآيات والروايات الدّاعية إليه يفضي الى كونهم ﷺ حجج الله على خلقه، فما بالك بمن تكون حجّة على الحجج، وهي السّيّدة الزَّهراء ﷺ؟ الأمر الدَّال على أنَّها الرّابط السماوي بين النّبوّة والإمامة.

ولعل ممّا يؤكِّد ذلك ما ورد عنها ﷺ في خطبتها الفدكية قولها: ((وطاعتنا نظامًا للملّة وإمامتنا أمانًا من الفرقة)) [3]، إذ يتضمّن قولها ﷺ تذكير القوم بحقيقة ولايتها عليها، ووجوب طاعتها؛ لأنَّ طاعتها تُمثّل طاعة رسول الله ﷺ.

ولا شكّ أنّ كلمة الملّة تُشير إلى الامتداد الزَّماني للدين الإسلامي ابتداء من أيّام نبي الله إبراهيم ﷺ مرورًا بزمانها وأيامها ﷺ، حتَّى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ سورة الحج/ ٧٨، أي أنَّها ﷺ بصدد التّنبيه الى أحقّيّتها ﷺ بالإتباع؛ لأنَّها الأحمد الثاني وروح النبي التي تنبض بين جنبيه ﷺ.

١- الطوسي: محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن/ تحقيق أحمد حبيب فصير العاملي/ ط١(١٤٠٩هـ)/ مطبعة طبعة مكتب الإعلام الإسلامي ١/ ٤١١.

٢- الشيخ علي النمازي الشاهرودي(ت١٤٠٥هـ): مستدرك سفينة البحار/ تحقيق حسن بن علي النمازي/ ط(١٤١٩هـ)/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ٨/ ٣٢٩.

٣- (٢) الشيخ جعفر النقدي(ت ١٣٧٠هـ): الأنوار العلوية/ ط٢(١٣٨١هـ)/ مطبعة المطبعة الحيدرية النجف الأشرف/ ٢٩٥ .

نتائج البحث:

بعد أن انتهت تلك الجولة المباركة في رياض الروايات التي تناولت مقامات السيدة الزهراء ﷺ، فقد خلص البحث الى النتائج الآتية:

أولاً: سمّيت الزَّهراءﷺ لأنَّ السماوات والأرض أزهرت ببركتها، ثم أشرقت بنورها .

ثانيًا: إنَّ للسيدة الزّهراء ﷺ مقامات ملكوتية لا يدانيها في الحضوة بها أحد من النساء من الأولين والآخرين، جزاء لعبادتها وعظيم تربيتها وتقرّبها من الله سبحانه.

ثالثًا: تكشف لنا الرّوايات الواردة عن أنّ للسيدة الزّهراءﷺ مقامات عند الله سبحانه وملائكته تتمثّل في العصمة من مطلق الذّنوب، وأنّها استلهمت نورها من نور الله تعالى.

رابعًا: أثبتت الرّوايات استحقاق السيدة الزّهراءﷺ مقام الصّدّيقين، لتشارك زوجها أمير المؤمنينﷺ به.

خامسًا: تتمتع الزّهراءﷺ بمقامات الولاية والشفاعة في الآخرة، فلها ما لأمير المؤمنين ﷺ، من الشفاعة للمؤمنين.

سادسًا: إنَّ للسيدة الزّهراءﷺ مقامات رسالية ابتداءً من نبي الله آدم وانتهاءً بالرسول الخاتمﷺ، أثبتتها الرّوايات الواردة من الفريقين.

سابعًا: تُمثّل السّيّدة الزَّهراءﷺ بما لها من مقامات سامية، صلة الوصل بين النّبوّة والإمامة.

ثامنًا: دلّت الروايات على أنَّ الزهراء ﷺ حجة الله على حجج الله وهم الأئمةﷺ، وهو أحد المقامات التي تربط بين النّبوّة والإمامة.

مصادر البحث

القرآن الكريم

* احمد بن حنبل(ت٢٤١هـ): المسند/ دار صادر بيروت .
* الشيخ جعفر النقدي(ت ١٣٧٠هـ): الأنوار العلوية/ ط٢(١٣٨١هـ)/ مطبعة المطبعة الحيدرية النجف الأشرف.
* جواد بن عباس الكربلائي(معاصر): الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة/ تحقيق محسن الأسدي/ ط١(١٤٢٨هـ)/ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
* الجوهري(ت٣٩٣هـ): الصحاح/ تحقيق أحمد عبد الغفور لعطار/ ط٤(١٤٠٧هـ)/ دار العلم للملايين بيروت ٥/ ٢٠٠٢ .
* ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ): شرح نهج البلاغة / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم/ ط١(١٩٥٩م)/ دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه.
* حسن بن سليمان الحلي(ق٩هـ): مختصر بصائر الدرجات / ط١(١٣٧٠هـ)/ منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف.
* الشهيد الأول(ت٧٨٦هـ): غاية المراد في شرح نكت الارشاد/ تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي/ ط١(١٤٢١هـ)/ طبع مكتب الإعلام الإسلامي.
* الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ):الخصال/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط(١٤٠٣هـ)/ نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرف.
* الشيخ الصدوق: محمد بن علي(٣٨١هـ): الأمالي/ ط١(١٤١٧هـ)/ مركز الطبعة والنشر في مؤسسة البعثة.
* الشيخ الصدوق: محمد بن علي(٣٨١هـ): الأمالي/ ط١(١٤١٧هـ)/ مركز الطبعة والنشر في مؤسسة البعثة.
* السيد الطباطبائي: محمد حسين(ت١٤٠٢هـ) : الميزان في تفسير القرآن/ نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المشرفة .
* الطبري: محمد بن جرير(ت٣١٠هـ): دلائل الإمامة / قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم/ / ط١(١٤١٣هـ)/ قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم / نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
* الطوسي: محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ):المبسوط/ تحقيق محمد تقي الكشفي/ المطبعة الحيدرية طهران.
* ابن عربي: محيي الدين(ت٦٣٨هـ): الفتوحات المكية / تحقيق عثمان يحيى / ط٢(١٤٠٥هـ) مصر .
* القندوزي الحنفي(ت١٢٩٤هـ): ينابيع المودة لذوي القربى/ تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني/ ط١(١٤١٦هـ)/ دد دار الأسوة للطباعة والنشر .
* الصدوق: محمد بن علي(ت٣٨١هـ): كمال الدين وتمام النعمة/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط(١٤٠٥هـ)/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
* الطوسي: محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن/ تحقيق أحمد حبيب فصير العاملي/ ط١(١٤٠٩هـ)/ مطبعة طبعة مكتب الإعلام الإسلامي .
* الشيخ علي النمازي الشاهرودي(ت١٤٠٥هـ): مستدرك سفينة البحار/ تحقيق حسن بن علي النمازي/ ط(١٤١٩هـ)/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
* المجلسي: محمد باقر(ت١١١١هـ): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ تحقيق محمد باقر البهبودي/ ط٢(١٤٠٣هـ)/ مؤسسة الوفاء بيروت لبنان.
* محمد علي الحاو(معاصر): موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي ﷺ/ ط١(١٤١٧هـ)/ نشر مؤسسة دارالكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر – قم – ايران.
* محمد الريشهري(معاصر): أهل البيت في الكتاب والسنة / ط٢/ طبع ونشر دار الحديث.
* محمد باقر الكجوري(ت١٢٥٥هـ): الخصائص الفاطمية/ م١/ مطبعة شريعت.
* ٢٣ــ مرتضى جعفر العاملي(معاصر): مختصر مفيد/ ط١(١٤٢٣هـ)/ طبع ونشر المركز الإسلامي للدراسات
* السيد المرعشي(ت١٤١١هـ): شرح احقاق الحق/ ط(١٤٠٦هـ)/ مطبعة الخيام قم.
* المزي: يوسف(ت٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال / تحقيق بشار عواد معروف/ ط١(١٤١٣هـ)/ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.
* مسلم النيسابوري(ت٢٦١هـ): صحيح مسلم/ دار الفكر بيرت لبنان.
* هاشم البحراني(ت١١٠٧هـ): البرهان في تفسير القرآن/ تحقيق سم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة – قم.
* يوسف بن حاتم(ت٦٦٤هـ): الدر النظيم/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

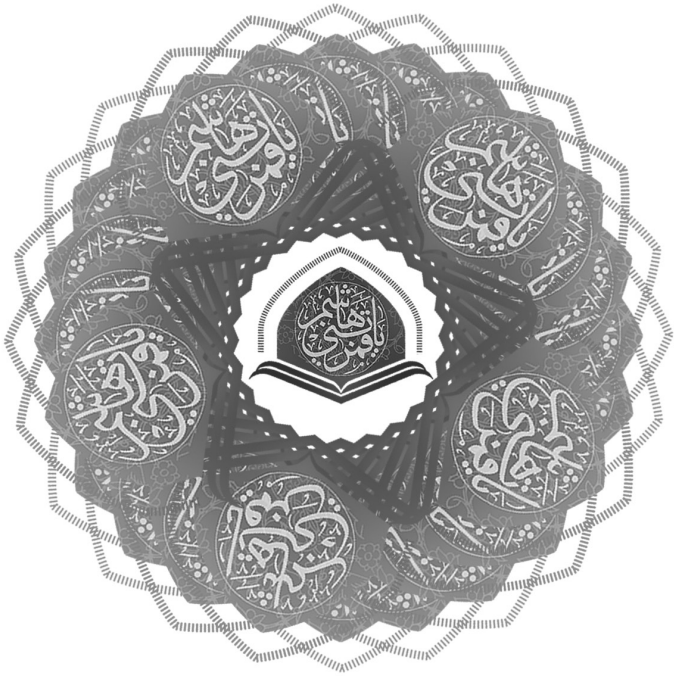

شهر
جمادی الآخرة

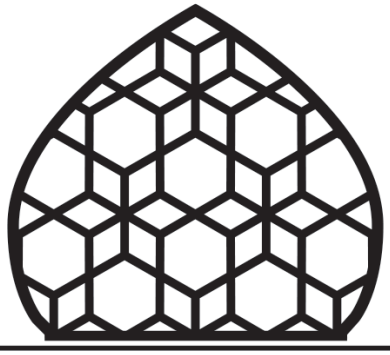

الدور الإعلامي لسيدات البيت النبوي في النَّهضة الحسينية، (أم البنين عليها السلام أنموذجاً)

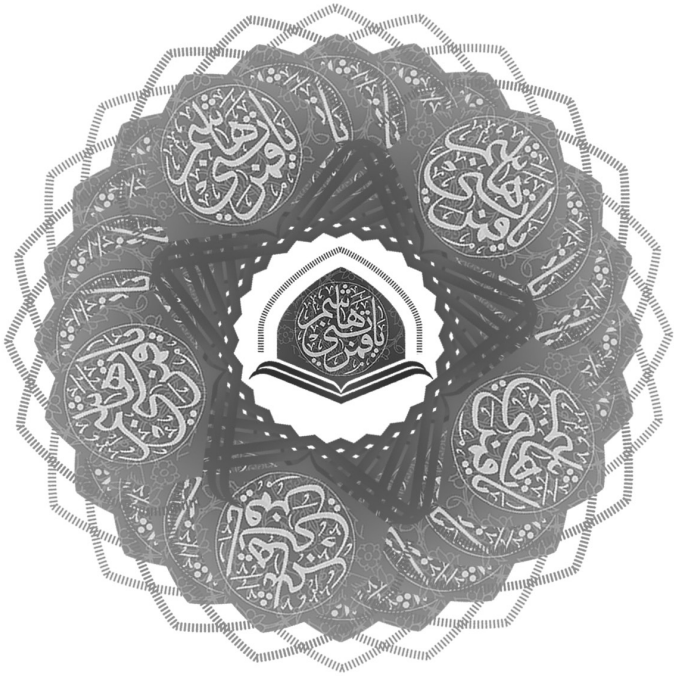

الدَّور الإعلامي لسيّدات البيت النبوي في النَّهضة الحسينية، (أم البنين عليها السلام أنموذجاً)

أ.م. د- حيدر زوين
الباحث: عبد الكريم الربيعي

يجب أن يمارس الإعلام الإسلامي دور المرشد للممارسات الإسلامية الحيّة من خلال مضمون برامجه الإعلامية؛ فهو الذي يشجّع الفرد على إبداء رأيه والدفاع عن حقّه في ذلك، وفضح الممارسات الخاطئة والمنحرفة، وبالآتي يكون مرشداً للجمهور في توظيف الفكر الإسلامي، لأنَّ الإعلام هو أداة التغيير في المستقبل، وهو حجر الأساس في تطوير العديد من الجوانب الحياتية، وأهمّيّة الإعلام الإسلامي وأهمّيّة دور أم البنين الإعلامي في واقعة الطَّف، وقد قُسّم بحثنا الموسوم بـ(دور سيدات البيت العلوي في النهضة الحسينية، أم البنين أنموذجاً) على ثلاثة مباحث سبقت بمقدمة وختمت بخاتمة فضلاً عن قائمتين إحداهما لهوامش البحث والأخرى لمظانه الرّئيسة، وقد تصدّى المبحث الأول لدراسة: الإعلام الإسلامي بين الواقع والطموح، فيما وسم المبحث الثاني: بومضات من حياة أم البنين عليها السلام، ومواقفها. في حين تطرّق المبحث الثالث إلى الدور الإعلامي لأمّ البنين في واقعة الطف.

المبحث الأوّل: الإعلام الإسلامي بين الواقع والطّموح

لا يخفى على لبيب أهمية الإعلام الإسلامي في أي مرحلة كونه ركناً ركيناً من هوية هذه الأمة الإسلامية، وصرح لا يستهان به تثقيفيًّا وتربويًّا وعلميًّا بل وترفيهيّاً ونفسيّاً، خاصة وإن الإعلام عامة صار يستحوذ على وقت شريحة كبيرة من الناس، والإعلام الإسلامي خاصة يتابعه المسلمون بقلوبهم قبل عقولهم، لأنّ التدين مغروس في الفطرة السوية؛ لذلك يقع على عاتق الإعلاميين والإعلام الإسلامي بالخصوص ثقلٌ كبيرٌ ورسالةٌ سامية وأمانة عظيمة تجاه هذه الأمة الموحدة، بكافّة أطيافها وشرائحها بهذا الدين الإسلامي السامي، وقد مارس المسلمون الإعلام قديماً، ويذكر التاريخ بأنّ الفاطميين أوّل من أسّسوا معاهد رسمية للتأهيل المذهبي للدعاية للمذهب الفاطمي وقد تركّزت هذه المؤسسات في القصر الفاطمي والمساجد ودار الحكمة[1].

إنَّ المصدر الرئيس لصياغة منهاج إسلامي للعمل الإعلامي هو القرآن الكريم مصداقًا لقوله

١- ظ: الاعلام له تاريخه ومذاهبه، عبد اللطيف حمزة، منشورات: دار الفكر العربي، ط١ -القاهرة، ١٩٦٥ م، (٦١-٦٣).

تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وسنة رسول الله، ومنهما مرجعية هذا العمل وضوابطه، وهي مرجعية لا تتعدّل ولا تتبدّل، ولا يعتريها التغيير بفعل عوامل الزمان والمكان، لأنّها تستمد نصوصها من الكتاب والسنة، هدفها واضح، وأساليبها محكومة بالقواعد التي تحدّدها الشريعة الإسلامية، فالمدرسة الإسلامية في الإعلام، وإن كانت أصولها تستند على قواعد معينة في العقيدة لا يجوز التغيير والتبديل فيها، مهما تغيّرت الأزمنة وتغيّرت الأمكنة إلّا أنّها صورة متحرّكة غير جامدة، تقبل التطور والتجديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وحاجاته، وحسبما تمليه الحوادث وترسمه الأيام، ذلك أنّ الإسلام قد حارب الجمود الفكري على المألوف، والتقليد الذي يعمي أصحابه عن رؤية الحقيقة ؛لأنَّ الدعوة الإسلامية لا تتوقّف عند بيئة معيّنة أو زمان معيّن، ولكنها تتّسع لتخاطب الناس في كلّ زمان ومكان، انطلاقًا من صلاحية هذه الرسالة لكلّ الأزمنة، وكل الأمكنة، وكل الظّروف والمتغيرات، النّظام الإعلامي في المنظور الإسلامي ليس نظامًا ثيوقراطيًا مقدّسًا، بل هو نظام إنساني يقع فيه الخطأ والصواب، ويسمح فيه بالاجتهاد في الرّأي، وعرض وجهات النّظر المختلفة[2].

ويعدّ الإعلام في الإسلام ركيزة أساسية من ركائز الدّعوة الإسلامية، انطلاقًا مما ورد في كتاب الله الذي يؤكّد فريضة الدّعوة، والالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبلاغ والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، شريطة عدم الإعلام إلا في حدود الفهم الصحيح، والمعرفة المتعمّقة بالمعلومة التي يتم إبلاغها.

إنّ حرّيّة وسائل الإعلام مكفولة، انطلاقًا من كفالة حريّة التفكير والتعبير وحرية الرأي التي أكّدتها الشريعة الإسلامية للإنسان، شريطة عدم المساس بالثوابت وأركان الإسلام الرئيسة التي يجب التسليم بما جاءت به من معطيات[3].

وإذا كان الإسلام قد أسس منهجه على كفالة حرية الرأي، كفالة دافع عنها دفاعًا مستميتا لغرض دفع المخالف حتّى لا يعتدي أحدٌ على دينه، ولا يظلمه أحد؛ بسبب اجتهاده ورأيه، فإنَّ هذا المنهج ينظم هذه الحرية على وفق قواعد معينة تقوم على عدم الخوض في الثوابت من أصول العقيدة، التي أنزلها الحق تبارك وتعالى، كالشهادتين وأركان الدين الخمسة، فضلاً عن عدم الاجتهاد في المعلوم من الدين بالضّرورة من أصول العقيدة، وما أجمع عليه العلماء الثقاة [4].

١- سورة النحل : الآية ١٢٥ .

٢- ينظر :الاتصال بالجماهير والرأي العام، عبد الحليم محي الدين، ٧٥)

٣- ظ: المصدر نفسه :٧٨ .

٤- ظ : المصدر نفسه: ٧٦ .

وقد اتفق عليه جمهور المسلمين من أمور تخص دينهم ودنياهم، كطريقة الصلاة، والمقدار الواجب من الزكاة، وما إلى ذلك.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد تكفّلت للجماهير بحريّة التعبير وحق الاتصال، وفرضت عليهم هذا الواجب، فإنَّها ألزمت السّلطة بالاستماع لكلّ صاحب رأي، كما فرضت على كلّ مسلم ومسلمة الإسهام بفكره وعلمه، وحذّرت من استعمال وسائل القمع أو القهر لتكميم الأفواه، وحرمان الإنسان من استعمال حقّه في القول بالرّأي والاجتهاد به، في الطرق والوسائل المختلفة والمشروعة، خصوصاً وأنَّ الإعلام الإسلامي، يسعى الى تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأيٍ عامّ صائب، في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، إذ يعبّر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقليّة الجماهير واتجاهاتهم وميولهم، ويعني ذلك أنَّ الغاية الوحيدة من الإعلام هي التنوير عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاءات ونحو ذلك[1].

والإعلام الإسلامي الصادق يجب بأن يكون مضمونه الحق والصدق، ويبتعد عن الكذب والرّياء ؛لأنَّ الكذب والرّياء يتنافى والشريعة الإسلامية السّمحاء، وبخاصة أنَّ الجمهور الإسلامي يزدري الكذب، ولديه جاذبيّة شديدة تجاه المصداقية عشقاً وشغفاً، فإذا ما جرب الكذب على شخص أو مؤسسة ومجموعة فإنَّه من الصعوبة جداً استعادة الثّقة، مما يجعل جميع الجهود المبذولة من قبل وسيلة الإعلام الإسلامية تذهب من دون جدوى، كذلك يجب على الإعلام المسلم بأن يبتعد عن كلّ الأغراض المشبوهة وكل ما يخدش الذوق، كما إنّ هذا المنطلق بمصداقيته الفريدة يتماشى مع إسلامنا المحمّدي وفكر آل البيت عليهم السلام[2].

وإنّ الإعلام الإسلامي يؤدّي العملية الإعلامية من منظور إسلامي، فضلاً عن كونه رسالة سامية قبل أن تكون حرفة تدر دخلاً وتحقّق أرباحاً، وهذا من شأنه أن يمزج كافة عناصر العملية الإعلامية بمزيج من التقوى وخشية الله في السّر والعلن، والالتزام بكافة جوانب القيم الدينية النبيلة مع تجنّب كل ما يضر المتلقين والمتابعين، لأنّ إعلامًا يمثّل أنموذجاً للتصور العقدي للأمة، وانبثاقاً حضارياً يعبّر عن وجهتها في الحياة، وضرورة عصريّة آنيّة ومستقبليّة لتغيير واقع الأمة إلى الوضع الأمثل[3].

١- ينظر : الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير جميل راضي ، ٨٢ .

٢- ظ: إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية : محي الدين عبد الحليم، ١١٠ .

٣- ينظر : الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير جميل راضي ، ٨٢ .

ولا يخف على لبيب بأنّ الإعلام الإسلامي يواجه مشكلات خطيرة في طريق عمله الشّاق في توعية العقول، وصياغة الأفكار، وأساليب البناء العقائدي والثقافي والحضاري للأمَّة المسلمة، ويمكن القول بأنَّ هذه الإشكاليات في عموم ألفاظها اللغوية الجائزة ليست عامة على وجه الإطلاق في إعلامنا الإسلامي بل قد تكون هنالك مشاكل لدى بعض الوسائل الإعلامية المتاحة فتختلف هذه المشاكل من وسيلة إعلامية إلى غيرها[1].

لكنّ التحديات التي تواجه الإعلام الإسلامي تحدّيات جسيمة، ليس لكونها موجودة في ساحة إعلامية متواضعة فحسب، بل إنَّ هناك إعلاماً منافسًا وهناك أيضاً إعلامًا استكباريّا معاديًا كبيرًا تقوده الصّهيونية وأمريكا وبعض دول الغرب، من خلال الدّعم الخفي لبعض الكتل والتّيّارات مثل داعش ومن لفّ لفّها والتي تحاول قتل الإسلام بالسلام وترفع شعار القتل والتكفير وإلغاء الآخر، وتحمل شعار الإسلام ظلمًا وبهتانًا[2].

وقد وظّف الأعداء صحافة كبيرة وفضائيّات لا حصر لها تبثّ السّموم والتّكفير؛ لكن وعي الإسلاميين المعاصرين بأهمّيّة الإعلام ودوره وإن جاء متأخّراً إلى حدٍّ ما، قد أدّى الى حدٍّ كبير في فضح أساليب الاستكبار العلمي المعادي للإسلام المحمّدي، ويجب على الإعلام الإسلامي بأن لا يكون إعلاماً وعظياً فقط، بل يجب أن تضاف إليه كافة الجوانب التي تمس حياة المتلقّي، وكلّ ما تحتاجه الأسرة والمجتمع المسلم، كباره وصغاره، رجاله ونسائه، على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم، ويجب أن يقوم على محاور منها ترسيخ الوعي، والتنشئة الاجتماعيّة، والتبليغ والاتصال، والدعاية الإسلاميّة الصحيحة[3].

وكما قال الرسول الأكرم ﷺ، وفي كتابه إلى هرقل: ((أدعوك بدعاية الإسلام))، أي بدعوته، وكلمة دعاية بمعنى الإعلام[4]. وكذلك يواجه الإعلام الإسلامي الذي ينضبط بضوابط الشرع معوقات من أهمّها قيود السلطات الرّسمية الجائرة والتي في الأغلب تتّخذ الدّين سترًا لها في بعض الأقطار الإسلامية، والدّول الشموليّة إذ لا تفرّق بين التعليم والإعلام، وترى بضرورة توظيف الإعلام والتعليم لخدمة النّظام القائم، ومن هذا المنطلق يصبح الإعلامي المعلم رجل دعاية، ولا يعلم الفرد كيف يفكّر وتدخل في ذهنه أفكار وآراء محدّدة وجاهزة سلفاً[5].

١- ينظر: الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير جميل راضي، ٩٣ .

٢- ينظر: الإعلام الإسلامي بين التأكيد والنفي، عمر سليمان الملكاوي، ٣٥ .

٣- ينظر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المختلفة ، ٦٠

٤- عيون الأثر في فنون المغازي والسير، الحافظ ابي فتح محمد بن محمد سيد الناس اليعمري (ت٧٣٤ هـ)، تحقيق: محمد الخطراوي ومحي الدين، ٣/ ٣٣١ .

٥- ظ :الراي العام والدعاية وحرية الصحافة، عبد القادر حسنين، (٨٢-٨٤) .

وكذلك وجود ضعف في التمويل واقتصاره على المؤسّسات الخيرية، وغياب المهنية والخطط والاستراتيجيات المتكاملة التي تتبناها مجموعات مهنية متعدّدة المهام تطرح بدورها الجهود الفردية والرّؤى الأحاديّة.

ويواجه الإعلام الإسلامي ندرة في الطّروحات والبحوث والدراسات المتعلّقة بحيثيّاته، ومشكلة في التنسيق بين العلماء والدّعاة وبين رجال التربية والمثقّفين؛ ليأتي مشروع الإعلام الإسلامي متكاملاً في موضوعه يلبّي احتياجات كلّ الشّرائح المستهدفة ورغباتها دينيًّا وتربويًّا وتثقيفيًّا وترفيهيًّا، وأن تُصاغ الرّسائل الإعلامية في قوالب فنية متنوعة ومشوّقة وجذّابة بدلاً من أن تصب في أنماط جامدة ومكرّرة تفتقر إلى الجاذبية والتّشويق، مع ضرورة مراعاة الضّوابط الشّرعية والاجتماعية العامّة وعدم تجاوزها[1].

وكذلك يواجه الإعلام الإسلامي ضعفاً في المنهج الإسلامي لدى بعض العاملين في المؤسّسات الإعلامية الإسلامية، فهنالك مؤسّسات إعلامية يقوم عليها إسلاميون، جعلوا هدفهم ونصب أعينهم كما يقولون، الانطلاق من ثوابت الإسلام وعقيدته ضيقة، ولكنَّ النَّظرية لا تغني عن التطبيق، والقول لا ينفع من دون الفعل، والكلمة المزخرفة لا تقنع العاقل ما دام أنَّها لم تظهر عبر منهج فعلي سلوكي، فنشاهد مجازفات ومخالفات واضحة في خطّ بعض المؤسّسات الإعلامية الإسلامية، من ظهور شخصيات لا تمت للمنهج الإسلامي بصلة، مع إعطائهم هالة إعلاميَّة لا يستحقّونها، والأنكى من ذلك بأن يطلق عليهم بالمفكرين الإسلاميين، وهم إلى الليبرالية ومنهجها أقرب منهم إلى الإسلام وشرعته، فهم يحاولون بأن يبثّوا سمًّا وفتناً وشبهات في آذان المستمعين[2].

ويرى الدّارسون بأنّ الإعلام الإسلامي اليوم يعيش حالة من التّشرذم والتّنافس وكانت أغلب المؤسسات صغيرة ضعيفة لا تقوى على الصمود طويلاً، في الوقت نفسه كانت المهنية والحرفية في التسويق متواضعة والاخفاقات متتالية، وللوقوف بوجه الخصوم، يجب استغلال أي فرصة سانحة سواء كانت خبراً أم مقالا أو حديثا لوضع خطّة دعائية بأسرع ما يمكن لتحقيق السبق؛ لأنّ الرَّأي العام يتأثّر مباشرة بذكاء ومهارة واضعاً خطّة الدّعاية وأسلوبها[3].

أما في جانب الرّؤية والخطاب الإعلامي فكان الأمر في الأغلب اجتهادات فردية وأحادية في الرأي مع ضعف في تقبّل الرّأي المخالف، وإنّ كثيراً من الإعمال الإعلامية مبنيّة على الاستيعاب للتقنيات الحديثة في فنون الاتصال واقتصار الخطاب على فئة المتدينين وليس جماهير الناس، أيضاً فضلاً عن

١- ظ: المصدر نفسه، ٨٥ .

٢- ظ: الإعلام الإسلامي بين التأكيد والنفي، عمر سليمان الملكاوي، ٣٧.

٣- ظ: الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، محمد عبد القادر حاتم، ٤٧٨.

غلبة الخطاب العاطفي والوعظي على العقلي التحليلي، وغلبة الخطاب المباشر على الرّسائل الإيحائية، وكذلك اعتماد الإعلام على بعض الغيبيّات غير الصحيحة وكثرة المواقع والصحف والفضائيات التي تكيل التهم على الآخر من دون دليل وتحاول إلغاء الآخر وتهميشه[1].

وقسم من وسائل الإعلام المتنوّعة تبث الفتنة والفرقة وتسب الرّموز الإسلامية وتشتمهم من دون مسوغ، متناسين قول الباري عز وجل: ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[2]، بمعنى أن القرآن الكريم يريد لنا أن نتّخذ عدم السّبّ واللعن كمنهج فلا نسب ونلعن أمام الناس، ولا نسب ونلعن في حواراتنا الخاصّة كما يُسمّيها البعض، ولا نسب ونلعن حتّى بيننا وبين أنفسنا... ويقع على عاتق الإعلام الإسلامي اليوم، وأمام هذا الزّخم الإعلامي الهائل، بأن يقف موقف الفاحص، وأن يُراعي شروط العدالة فيمن يتلقّى منه كافّة الوجبات الإعلامية، خاصّة وأنّ التثبّت من الأخبار والأقوال منهج إسلامي فريد لم يوجد في أمّة أخرى، والسّند في المرويات خصيصة فاضلة من خصائص الأمّة المحمدية، وسنّة بالغة من السّنن المؤكّدة، فإذا سلمت هذه الأخبار من العلل القادحة، وقرائن الضّعف والكذب، فأقصى درجاتها أن تفيد الظّنّ من دون اليقين[3].

وليست هذه دعوة إلى تطبيق قواعد المحدثين الدقيقة على هذه الأخبار، خصوصاً ونحن نعيش الآن كابوس قتل الإسلام وتشويهه والإلحاد والإرهاب والقتل والتهميش والإلغاء والعلمانيّة الأمريكيّة الفاسدة، والفساد الخلقي، والظلم والاستبداد السّياسي، والاستغلال الاقتصادي، والتفكك الاجتماعي، إذ تعالتِ صيحات تبحث عن مصدر للأمان والعدالة والحياة الكريمة، فحتما لا يجدون كلّ ذلك إلّا في الإسلام الأصيل[4].

إنَّ البشريّة اليوم بحاجة إلى إسلام متسامح يتعايش مع الآخر وينبذ القتل والإرهاب أيًّا كان وتحت أيّ مسمّى أكثر من أيّ وقت مضى، والمسلمون مطالَبون وفقًا للتوجيه الإسلامي بمخاطبة الناس بلغتهم ووسائلهم بأن يستعملوا وسائل الاتصال والإعلام في سبيل الدّعوة إلى الإسلام، وتوضيحِ صورته النّاصعة، وإبراز محاسنه وثمراته للناس في كلّ مكان[5].

وكذلك يجب أن يقوم دور الإعلام على أساس التّفاعل مع التّحدّيات والتّهديدات الموجهة للأمن

١- ينظر: الإعلام والدعاية نظريات وتجارب: ٤٨٠ وما بعدها.

٢- (سورة الأنعام: الآية ١٠٨).

٣- الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المختلفة، ٦٠

٤- ظ: المصدر نفسه، ٦١.

٥- الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، ٨٥.

الوطني، ومن أجل تأكيد استراتيجية الدّولة في مواجهة هذه التّحدّيات .

إنَّ تبليغ رسالة الإسلام العالمية، وإيصال دعوته إلى البشرية كلّها مبرّرٌ إنساني عظيم للدعوة إلى صياغة الإعلام صياغةً إسلاميةً حتَّى يمكن أن يؤدي هذا الإعلام دوره في الحياة الإنسانية[1].

المبحث الثاني: ومضات من حياة أم البنين ﷺ، ومواقفها:

أ) اسمها ونسبها:

فاطمة بنت حزام أبو المحل بن خالدّ بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب، وأمّها ثمامة بنت سهل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب[2].

ب) ولادتها:

ولدت في السّنة الخامسة للهجرة الشّريفة في الجزيرة العربية على أشهر الرّوايات وأشهر كناها وألقابها ﷺ أُمّ العبّاس، وكنيتها بأمّ البنين على كنية جدتها من قبل آباء الأُمّ [3].

لقّبها الإمام أمير المؤمنين ﷺ بأُم البنين، لمّا التمست منه بأن يلقّبها بلقب يناديها به، ولا يناديها باسمها، لئلا يتذكّر الحسنان ﷺ أُمَّهما فاطمة ﷺ يوم كان يناديها في الدّار، ومما يظهر أنَّ لفظ أُمّ البنين أصبح كنية ولقباً لها ﷺ[4] .وقيل إنَّ سبب تسميتها بأمّ البنين، تشبّهاً وتيمّناً بجدّتها ليلى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، إذ كان لها خمسة أبناء أكبرهم أبو براء مُلاعب الأسنّة، وقد قال لبيد الشّاعر للنعمان ملك الحيرة مفتخراً بنسبه ومشيراً إليها:

نحن بنو أُمّ البنين الأربعة ونحن خيرُ عامر بنِ صعصعه الضّاربونَ الهامَ وسطَ المجمعه[5]

ت) نشأتها

نشأت أمّ البنين الطّفلة في حضانة والِدَين شفيقين حنونين هما حزام بن خالد بن ربيعة، وثمامة بنت سهيل بن عامر، وكانت ثمامة كاملة عاقلة، فأدّبت ابنتها بآداب العرب وعلّمتها بما ينبغي أن تعلّمها من آداب المنزل وتأدية الحقوق الزّوجية وغير ذلك مما تحتاجه في حياتها العامة بل وفي العلم والآداب والأخلاق[6].

١- ظ : الإعلام والاتصال بالجماهير :إبراهيم إمام، ١٢.

٢- أم البنين سيرتها و كرامتها: الشيخ أشرف الزهيري الجعفري، ٤٠.

٣- ظ: المصدر نفسه :٤١ .

٤- ظ: أم البنين ﷺ، تأليف: السيد محمد الشيرازي، ١٥ .

٥- ظ: المصدر نفسه: ١٦ .

٦- ظ :نساء حول أهل البيت ﷺ، الشيخ فوزي ال سيف، ٤٠.

ث) تزويجها من أمير المؤمنين:

كانت موضع اختيار عقيل بن أبي طالب لأخيه أمير المؤمنين ﷺ، وما ذلك إلا لأنَّها كانت تتمتّع بصفات الكمال والآداب الحسنة والأخلاق الكاملة، فضلاً عمّا تحمله من النسب الشريف والحسب المنيف[1].

وقد تميّزت أم البنين بقابلياتها واستعداداتها للتعليم، وقد وهبها الله عز وجل نفساً حرّة عفيفة طاهرة وقلباً سليماً زكياً ورزقها فطنةً وذكاءً، وعقلاً رشيداً أهَّلها لمستقبل سعيد، فلمّا كبرت وبلغت مبلغ النساء كانت مضرب المثل، لا في الحسن والجمال والعفاف فحسب، مما جعل عقيل بن أبي طالب يرى فيها الكفاءة بأن تكون قرينة أخيه أمير المؤمنين ﷺ وشريكة حياته، وأمّاً لأبنائه الأربعة، وكانت كما قال شاعر النّيل حافظ إبراهيم في الأم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق[2].

وقد كان عمرها يوم كربلاء، ستاً وخمسين سنة. وأهلُها هم من سادات العرب وأشرافهم وزعمائهم وأبطالِهم المشهورين، وأبوها أبو المحلّ واسمُه حزام من شجعان العرب تنحدر من أخوال عرفهم التّاريخ وعرّفهم بأنّهم فرسان العرب في الجاهليّة، سطّروا على تلك رمال الصّحراء الأمجاد المعروفة في المغازي فتركوا النّاس يتحدّثون عن بسالتّهم وسؤددهم، حتّى أذعن لهم الملوك، وهمُ الّذين قصدهم عقيلُ بن أبي طالب بقوله: لأخيه الإمام عليّ ﷺ: ((ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس))[3]، كما لا يختلف اثنان في شجاعة قومها وبسالتهم ونجدتهم وإقدامهم في ساحة الحرب والميدان فمنهم مالك بن البراء ملاعب الأسنة ومنهم عامر بن الطّفيل وهو يضمون الكرم والسّخاء إلى النّجدة والفروسية، وإنّ آباءها وأجدادها هم فرسان العرب في الجاهلية ولهم الذكريات المجيدة، والمواقف البطولية في المغازي والأيادي البيضاء في الكرم والجود، حتّى أذعن لهم الملوك[4].

أمّا قصّة خطبتها: ((مضى عقيل بن أبي طالب في مهمته بخطبة أم البنين بأمر أخيه أمير المؤمنين ﷺ حتّى ورد بيت حزام بن خالدّ بن ربيعة ضيفًا على فراش كرامته وكان خارج المدينة، فرحّب به ونحر له النّحائر وأكرم مثواه غاية الإكرام، وكانت عادة العرب لا يسألون الضّيف عن حاجته إلا بعد ثلاثة أيام من الضّيافة، فلمّا انقضت وجاء اليوم الرّابع جاء حزام إلى عقيل بن أبي طالب وجلس إلى جانبه، وخاطبه

١- نساء حول أهل البيت ﷺ، الشيخ فوزي ال سيف، ٤١ .

٢- ظ: المصدر نفسه، ٤٢ .

٣- اعيان الشيعة، السيد محسن الامين (ت١٣١٧هـ)، تحقيق السيد حسن الامين، ٧/ ٤٢٩ .

٤- المصدر نفسه، ٤٣٠ وما بعدها .

بكلّ تأدّب وتبجيل قائلاً هل من حاجة فتقضى أو ملمّة فتمضى من مال أو رجال فنحن رهن إشارتكم، فقال له عقيل: جئتك بالشّرف الشّامخ والمجد الباذخ، فقال حزام وما هو يا بن عم رسول الله ﷺ، قال: جئتك خاطباً قال: لمن ؟ قال: عقيل أخطب ابنتك الحرّة فاطمة أُمّ البنين إلى يعسوب الدّين والحقّ اليقين وقائد الغر المحجّلين، وسيّد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المُطّلب بن هاشم بن عبد مناف، فلمّا سمع حزام هش وبش ثمّ قال: بخ بخ بهذا النّسب الشّريف والحسب المنيف، لنا الشّرف الرّفيع والمجد المنيع بمصاهرة ابن عمّ رسول الله ﷺ، بطل الإسلام وقسيم الجنة والنّار، ولكن يا عقيل أنت جد ببيت سيدي ومولاي، أنّه مهبط الوحي ومعدن الرّسالة ومختلف الملائكة، وأنّ مثل أمير المؤمنين ينبغي أن تكون له امرأة ذات معرفة عن علم وآداب في ثقافة، وعقل مع أخلاق حسنة حتّى تكون صالحة لشأنه العالي ومقامه السّامي، وأن ابنتنا من أهل القرى والبادية وأهل البادية غير أهل المدينة، ولعلّها غير صالحة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقال عقيل: يا حزام إنّ أخي يعلم بكلّ ما قلته وإنّه يرغب في التّزويج بها، فقال حزام : إذاً تمهّل حتّى أسأل عنها أمّها هل تصلح لأمير المؤمنين أم لا، فإنَّ النّساء أعلم ببناتهنَّ من الرّجال في الأخلاق والآداب، ثم قام حزام من مجلسه وجاء ليسأل، فلمّا قرب من المنزل وإذا هو يرى فاطمة جالسة بين يدي أمّها وهي تمشط رأسها، فقال لها حزام: هذا عقيل بن أبي طالب جاء يخطب ابنتك، قالت: لمن؟ قال: لفلال الكتائب ومظهر العجائب وسهم الله الصّائب، وفارس المشارق والمغارب، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قالت فاطمة لأمّها: هل تجدين فيه كفاءة بأن أكون زوجة له فردّت الأم: واعلمي أنَّ بيته بيت الوحي والنّبوة والعلم والآداب والحكمة فإن تجديها أهلاً لأن تكون خادمة في هذا البيت أم لا، فسكتت فقالت أمّها والله قد ربّيتها وأحسنت تربيتها وأرجو الله العلي القدير أن يسعد جدها، وأن تكون صالحة لخدمة سيدي ومولاي أمير المؤمنين فزوّجها فوافق أبوها))[1].

وعند دخولها بيت أمير المؤمنين عليه السلام لأوّل مرّة قالت: ((أنا هنا خادمة عندكم، جئت لخدمتكم فهل تقبلون بهذا الشرط وإلّا فإنّي راجعة إلى داري))[2] فرحّبوا بها وقالو لها: ((أنتِ عزيزة كريمة هذا بيتك))[3] ففرح أبوها وقال لعقيل: ((قد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقال عقيل: لا تقل خادمة بل قل زوجة)) [4]

فلمّا وصل عقيل إلى المدينة وأخبر أخاه أمير المؤمنين عليه السلام بذلك أرسل لهم الصّداق مع الهدايا والتّحف

١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد : الشيخ المفيد (محمد بن محمد)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٢١ .
٢- مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: أحمد صقر، ٨٤ .
٣- المصدر نفسه، ٨٥ .
٤- المصدر نفسه، ٨٦ .

ما غمرهم به، رزقت أم البنين ﷺ من عليّ أمير المؤمنين ﷺ بأربعة من البنين هم:

١- العبّاس بن علي بن أبي طالب[١].
٢- عبد الله بن علي بن أبي طالب[٢].
٣- عثمان بن علي بن أبي طالب [٣].
٤- جعفر بن علي بن أبي طالب [٤] .

ج) عبادتها وتقواها

وأمّا ما ورد في شأن عبادتها وصلاتها وتوجّهها إلى الله وتفويض الأمر إليه فهو شيء جليل مهم في سلوك هذه المرأة الحرّة الشّريفة الكريمة ذات الجذر الكريم، وكانت أقوى جرأة وشجاعة وأصلب المؤمنات على تحمّل الصّعاب، تطلب المجد والكرامة الذين لن ينالا إلا بالمصاعب وركوب المخاطر والتّضحية والاستبسال[٥]. كما كانت القدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي يحتذي في الالتزام الدّيني وطول العبادة، وكانت عنوانًا للثبات والإخلاص والبسالة والتّضحية والفداء والشّرف والعزّة والكرامة في سبيل الحق والعدالة، هذه السيدة المصون ما إنْ بلغها مقتل الحسين ﷺ يوم عاشوراء إلّا وخنقتها العبرة فكانت تبكي بكاء الثّكالى صباح مساء تعبيراً عن مشاعرها وأحزانها، وكانت تردد: فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون وليضجّ الضّاجّون[٦].

١- المولود ٤ شعبان ٢٦هـ إذ كان أول مولود لها وهو سيدنا المعظم أبو الفضل، وحينما بشر الأمام «ع» بهذا المولود المبارك سارع الى الدّار ،وأوسعه تقبيلا وأجرى عليه مراسيم الولادة الشّرعية فأذن في أذنه اليمنى ،وأقام في أذنه اليسرى لقد كان أول صوت قد اخترق سمعه صوت أبيه رائد الإيمان والتّقوى في الأرض. وقد سماه امير المؤمنين «ع» عباس تفاؤلا بشجاعته وصولته في الحروب، فأن العبّاس من أسماء الأسد الغضبان، وألقابه كثيره منها ما كان يلقب به قبل واقعة الطّف، قمر بني هاشم ومنها ماعرف به يوم الطّف السّقاء او ساقي العطاشى، بطل العلقمي، حامل اللواء كبش الكتيبه... واستشهد وله أربع وثلاثون سنة، ظ: السلسلة العلوية : سهل بن عبد الله البخاري، منشورات ومطبعة الشريف الرضي، ط١، قم -١٤١٣هـ، ١٥٦ .

٢- عاش مع أبيه ست سنين، ومع أخيه الحسن ﷺ ست عشرة سنة ،ومع أخيه الحُسين ﷺ خمساً وعشرين سنة، وتلك مدة عمره يوم الطّف ولا عقب له(ظ: السلسلة العلوية : ١٥٧ .

٣- ولد بعد أخيه عبدالله بأربع سنين فعمره يوم الطّف إحدى وعشرون سنة، وقيل كان يوم الطّف ابن ثلاث وعشرين سنة وقد استشهد ولا عقب له، ظ: المصدر نفسه، ١٥٨ .

٤- وهو أصغرهم يوم الطّف ولد بعد أخيه عثمان بنحو سنتين، فعمره يوم الطّف تسع عشرة سنة، وقد استشهد ولا عقب له. والاخوة الاربعة كلهم قتلوا في نصرة الإمام الحسين، ظ:مقاتل الطالبيين : ٩٠ .

٥- ظ: زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة ط١، ابراهيم حسين البغدادي، ٧٣

٦- ظ: المصدر نفسه، ٧٤ .

ح) منزلتها لدى المسلمين

إنَّ في حياة هذه السّيّدة الجليلة مفرحة ومؤسفة جعلتها مثالاً صالحاً وقدوة حسنة في المعارف والصّلاح وإجابة لله وللرسول الكريم، حين أمر الباري بود آل البيت ﷺ وحبّهم وولايتهم، والاتباع لهم والتّمسّك بعروتهم وجدير بكلّ مسلم أنْ يتبع ويتمثّل أمر ربّه وأمر رسوله النّاصح الأمين، وأن لا يعدل عن هذا الأمر قيد أنملة[1]. فاستطاعت بحكمتها وصبرها وبعد نظرها التغلب على كلّ الصعاب، وهذا إنْ دل على شيء فإنَّما يدلّ على حنكتها وجلدها ومعدنها الأصيل، من ضمن إطار الأخلاق العربية والتربية الإسلامية الأصيلة، وتقاليدها في التعامل مع الأهل وفي احترامها لهم[2].

خ) منزلتها لدى أمير المؤمنين ﷺ وآل البيت ﷺ.

وكانت هذه المرأة عظيمة المنزلة عند أمير المؤمنين في العلم والحلم والمعارف والصّلاح، عظيمة المنزلة عند الناس، ويظهر للمتتبع في هذا الحقل أنَّها كانت مخلصةً لأهل البيت متمسّكة بولايتهم عارفة بشأنهم مستبصرةً بأمرهم فكانت هذه المبجّلة قد أضاءت طريق الإصلاح والإصلاح لهم، و ياله من دور مهم في أحداث التاريخ العربي والإسلامي، ويقول أحد الكتّاب بأنَّها انفردت عن بقيّة النساء بإيمانها العميق ومعرفتها الحقّة لمنزلة الإمام الحسن وأخية الحسين ﷺ، وقد خلقت نوعاً من العلاقات بين أمير المؤمنين وبين زوجاته وأولاده وبناته على أطيب ما يمكن، وفي جو من الصفاء والوفاء والعاطفة والمحبّة[3].

وأما منزلتها عند آل البيت ﷺ: فقد كان لهذه السيدة الزّكيّة مكانة متميّزة عند آل البيت ﷺ، فقد أكبروا إخلاصها وولاءها للإمام الحسين ﷺ، وأكبروا تضحيات أبنائها المكرمين في سبيل سيّد الشهداء ﷺ، يقول الشهيد الأول وهو من كبار فقهاء الإمامية: ((فقد كانت أم البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحقّ أهل البيت ﷺ، مخلصة في ولائهم، ممحضة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحلّ الرفيع))[4] وقد زارتها العقيلة زينب بعد وصولها المدينة لتعزّيها بأولادها الأربعة، إنَّ زيارة حفيدة الرسول ﷺ وشريكة الإمام الحسين ﷺ في نهضته زينب الكبرى ﷺ لأم البنين، ومواساتها لها بمصابها الأليم بفقد السّادة الطّيّبين من أبنائها، يدلّ على أهمّيّة أم البنين وسموّ مكانتها عند آل البيت ﷺ[5].

وبلغ من عظمتها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت، أنّها لما دخلت على أمير المؤمنين وكان

١- ظ: السلسلة العلوية، ١١٠ .

٢- ظ: المصدر نفسه، ١١٣ .

٣- ظ: نساء حول الحسين: سعيد رشيد زميزم، ٢١.

٤- المصدر نفسه :٣٣ .

٥- ظ: تنقيح المقال في علم الرجال: محي الدين بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن الماغمغاني، ٩٨ وما بعدها .

الحسنان مريضين، أخذت تلاطف القول معهما وتلقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون، ولا غرابة في ذلك فإنَّها ضجيعة شخص الإيمان قد استضاءت بأنواره، وتربّت في روضة أزهاره وأفادت من معارفه وتأدّبت بآدابه وتخلّقت بأخلاقه، وما لاشكّ فيه أنّ أمّ البنين إذا كانت تحسن السيرة مع الحسنين عليهما السلام وتحنو عليهما، فهذا العمل كذلك تفعله مع زينب وأختها أمّ كلثوم، وهذا أمر لا ريب فيه أنَّها رضوان الله عليها تنظر إلى أولاد أمير المؤمنين عليه السلام بعين الكرامة والمحبّة لهم ولأبيهم عليهم السلام[1]

ومن كانت هكذا تكون بطبيعة الحال محبوبةً معظمةً، وقد حظيت أمّ البنين باحترام واعتزاز كبير من وجوه بني هاشم قاطبة بعد واقعة الطّف، وفي مقدّمة هؤلاء الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد جاء في العديد من الرّوايات بأنَّه عليه السلام، كان يقف إجلالاً وإكراماً لها عندما كانت تدخل بيته، وظلّت موضع احترام الإمام وبقيّة آل أبي طالب إلى أن توفّيت.

وإذا كانت أمّ البنين عند آل البيت عليهم السلام بهذه المنزلة السّامية والمرتبة العالية، إذاً فلا غرابة إذا عظمها محبّو أهل البيت، فإنَّ لها عندهم المنزلة العظيمة في نفوسهم والمحبّة الشَّديدة في قلوبهم من الرّجال والنّساء ويذكرونها بالإكبار والتّبجيل، وبلغ من تعظيمهم لها أنَّهم ينذرون لها بثواب الصّوم والصّلاة وتلاوة القرآن، كما كانوا يفعلون ذلك في تعظيم المعصومين عليهم السلام وتكون نيّة الصّوم والصّلاة وتلاوة القرآن تقرّباً إلى الله تعالى ويهبون ثواب ذلك كلّه للمنذور له[2].

١- ظ: تنقيح المقال في علم الرجال: محي الدين بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن الماغمغاني، ١٠٠ .

٢- ظ: أم البنين سيدة نساء العرب، السيد مهدي السويج البصري، ٨٦

وفاتها:

فبعد عمرٍ طاهر قضته أم البنين ﷺ بين عبادةٍ لله جل وعلا وأحزانٍ طويلةٍ على فقد أولياء الله سبحانه، بعد شهادة زوجها أمير المؤمنين ﷺ في محرابه، وفجائع مذهلة بشهادة أربعة أولادٍ لها في ساعةٍ واحدة مع حبيب الله الحسين ﷺ .بعد ذلك كلّه وخدمتها لسيّد الأوصياء ﷺ وولديه الإمامين ﷺ سبطَي رسول الله ﷺ سيدي شباب أهل الجنة، وخدمتها لعقيلة بني هاشم زينب الكبرى ﷺ أقبل الأجَلُ الذي لابُدَّ منه، وحان موعدُ الحِمام النازل على ابن آدم، وكانت وفاتها في يوم الجمعة الثامن عشر من شهر جمادي الثاني سنة ٦٤ هـ[١]، ((فدخل الفضل بن العباس على الإمام زين العابدين ﷺ وهو باكٍ حزين ، وهو يقول: لقد ماتت جدّتي أم البنين ﷺ))[٢].

ومن يطّلع على تاريخ حياتها عبر الحقب التاريخية، يكتشف بوضوح القيم النبيلة التي سمت بأبنائها وارتفعت بإنسانيتهم، فجعلتهم أعلاماً بارزة شامخة في مدارج العزّ ومراتب الكرامة، وحقّقت بذلك نجاحاً منقطع النَّظير، أولئك هم رسل المحبّة والخير يجسّدون العدل والمساواة، ويدعون إلى نشر العقيدة الإسلامية وترسيخ الإيمان الصادق فكانوا جذوة مشتعلة، بل ورسالة كريمة لانتصار الحق على الباطل في زمن شاع فيه الشر وفشت الرذيلة وساد الطغيان والفساد .

فكانت هذه المرأة المبجّلة قد أضاءت طريق الصّلاح والإصلاح لما لها من دور مهم في أحداث التاريخ العربي والإسلامي المشرق، وتبرز أهمّيّة دورها في الحياة اليومية للأمّة كونها تتسابق لقطف المنزلة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، فقدّمت أولادها الأربعة شهداء في سبيل الحقّ والدين، فسلامٌ على تلك المرأة النجيبة الطاهرة، الوفيّة المخلصة التي واست الزّهراء ﷺ، في فاجعتها بالحسين ﷺ، ونابت عنها في إقامة المآتم عليه، فهنيئاً لها ولكل من اقتدت بها من المؤمنات الصّالحات.[٣]

المبحث الثالث: الدّور الإعلامي لأمّ البنين ﷺ في واقعة الطف: لتسلط الضوء على دور المرأة في قضية الإمام الحسين ﷺ، يمكن أن نوضّح دورها في المجتمع الإنساني، ولاسيما في الحركة السياسية والاجتماعية العامة، فكان لها دور كبير ومهمّ في النّهضة الحسينية لا يقل عن دور الرّجل فيها، ولاسيّما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الخصوصيات التي انماز بها الإمام الحسين ﷺ، كإمام مفترض الطاعة وله مواصفات خاصّة لا يمكن أن يشبهه فيها أحد من الناس.

لقد كان للمرأة وبخاصة أم البنين ﷺ دورٌ رائعٌ بفضل إيمانها بالعقيدة الإلهية التي صاغت منها

١- ظ: أعلام النساء، عمر رضا كحاله، ٣٠ .

٢- ظ: أم البنين سيدة نساء العرب، ٨٧ .

٣- مقتل العباس ﷺ، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، (٧٢ - ٧٣)

وجوداً طاهراً وفعالاً من ضمن أنموذج المرأة التي اشتركت في واقعة الطّف، وما بعدها كانت قد بلغت القمة في ذلك الدّور، وتألّقت في آفاق الإنسانية لتخلّد بخلود الموقف، وأصبحت بعد هذه الملحمة البطولية المثل النسوي الذي جسّد المبادئ الإسلامية، ومن مسؤوليات المرأة بحسب الرؤيا الإسلامية فضلاً عن دورها السياسي الإعلامي، كونها أمًّا مربّية تتبنّى دور الرّعاية والتربية والأبناء[1].

والمعروف بأنَّ دور الرجل يتوزّع على مسؤوليات عديدة مختلفة في الحياة، ودور المرأة لا ينقص شيئاً عن دائرة الرّجل في تعدّد المسؤوليات الشّرعية والإنسانيّة والاقتصادية في الحدود التي يجيزها الشّرع والعقل والعلم، ولكن هناك دور تُفضّل فيه المرأة على الرجل، وهو الأخطر في حياة المجتمع الإسلامي، ألا وهو تنشئة الجيل على وفق الرؤى الإسلامية وإعداده إعدادًا مؤهلاً؛ كي يديم الحياة، ويسهم في تطويره نحو الأحسن، فضلاً عن دورها الإعلامي، لذلك أكّد الرّسول ﷺ على حسن التّبعّل، فقال: ((اختاروا لنطفكم فإنّ العرق دساس))[2]، فكلّ الأنبياء لهم أمّهات طاهرات حملن رجالا تأدّبوا بآدابهنّ فظهرت تلك التربية في شخصيتهم، وقد عدّ الإسلام المرأة نواة المجتمع ولا يكون المجتمع صالحاً إلا بالمرأة الصّالحة وهي حجر الأساس فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع [3].

لقد اقترنت كلمة الجهاد في الأذهان بمهمّة حمل السلاح في المعركة لمنازلة الأعداء، في حين أنَّ الجهاد مفهوم واسع لا يتحدّد بالقتال فقط، فهو مفهوم عام يشمل كلَّ الأعمال التّعبوية التّمهيديّة التي تسبق وقوع المعركة أي معركة بصفحاتها المتعدّدة بالإصلاح العسكري تتطلب جهوداً متنوّعة لا تتشابه بالاختصاص ولكنها تنتظم بمحصلتها النهائية كي تُشكّل فعلاً تراكميّاً باتجاه المواجهة الشّاملة[4].

وهذه الجهود والفعاليات المتنوعة بحسب مراحل المعركة، فمنها ما يتطلّب إنجازه قبل وقوع المعركة، ومنها ما يتطلّب إنجازه في أثنائها، أمّا القسم الثالث فهو يختصّ بالمرحلة التي تلي المعركة، والإسلام لم يفصل بين حمل السلاح مثلا وإعداد الطّعام، أو إسعاف الجريح في أجواء الحرب، بل تندرج كثير من الأفعال في إطار الجهاد ومنها على سبيل المثال الفعل الذي يؤدّي إلى إضعاف معنويات العدو أو ما يصطلح عليه حاضراً بالحرب النّفسيّة، ويبقى الفرق بين مختلف الأعمال في الميزان الإسلامي على ضوء الإسهام الفعّال الذي يفرزه التّوجه الإنساني الخالص الذي يقصد به

١- ظ: المرأة في الإسلام ...مكانة المرأة، العتبة العلوية المقدسة، ٢٤

٢- معجم ابن الاعرابي :٢/ ٥٠١ .

٣- ظ: منهج أسرة، د. وجيه زين العابدين، ١٩

٤- ظ: حياة الإمام السجادع، باقر شريف القريشي ، ٢/ ٢٩٧.

التّقـرّب إلى الله تعـالى، ويترتّـب عـلى الأداء المقـرون بالنّيّـة الخالصـة والأجـر[1].

وهنـاك نسـاء لهـنّ دور في صياغـة مواقـف وقفهـا رجـال وأولاد وأبنـاء غيّروا وجـه التاريـخ، وكانت نسـاء الطّفّ الـلاتي شـاركنَ الحسـين بثورتـه ومـا بعدها، من أرفـع النسـاء وأشرفهنَّ تاريخاً، والنّسـاء اللاتي اشـتركن في كربـلاء قـد بلغـنَ الـذّرى في ذلـك الـدّور، وتألّقـنَ في آفـاق الإنسـانية لتخلّد بخلـود الموقف، أصبحت نسـاء الطَّف بعـد هـذه الملحمـة المثل النسـوي الـذي جسّـد المبـادئ الإسـلامية. فانتصرت المـرأة في كربـلاء أكثر من مـرة.. مـرة للحـقّ باعتبار أنّ موقف الإمام الحسـين ﷺ كان موقفاً عادلاً، ومرّة للإنسـانية؛ لأنَّ رسـالة الحسـين ﷺ كانـت مـن أجـل الإنسـانية، ومـع أنّ المـرأة الثّوريـة مارسـت دوراً رائـداً في واقعـة الطّـف وملحمـة الخلـود كربـلاء ومـا بعدهـا، إلا أنّ التاريـخ لم يظهـر عـلى صفحاتـه ذلـك الـدّور وبحجم واقعـه الحقيقي عـلى الأرض، ولم تلَـق مـن قبـل الباحثين والكتّـاب الاهتـمام الـكافي، وكأنّها عنـصر هامشي في هـذا الموقف الخطـير، وبخاصّة أمّ البنـين موضـوع بحثنـا هـذا، ولقـد قمنَ تلك السـيدات بدور مشرّف بإكـمال نهضة أبي الشّـهداء ﷺ، فأيقظن المجتمـع بعـد سُـباته، ، وفتحـنَ بـاب الثـورة عليـه، ولـولاهـنَّ لم يتمكّـن أحـد مـن أن يتفـوّه بكلمـة واحـدة أمام ذلـك الطغيـان الفاجـر، وقـد أدرك كلّ ذلـك مـن تأمّل في نهضـة الإمـام الحسـين ﷺ، ودرس إبعادها[2] .

إنّ الـدور الإعلامـي الـذي أدّتـه أمّ البنـين ﷺ في واقعـة الطّـفّ الخالـدة يتمثّـل بمواقفهـا الخالـدة وأهـم هـذه المواقـف الإعلاميـة:

١ – موقـف المسـاندة والدّعـم: فقد سطّرت ﷺ مع من واكبـنَ نهضتها أروع مواقف البطولـة والثّبات، التي يعجـز كثـير مـن الرّجـال عـن الاتيـان بمثل موقفهـا الشّـجاع، فقد واكبـت وأكملت المسـيرة مع الإمام الحسـين عليـه السـلام منـذ ولادتـه، وحتَّـى استشـهاده في طفّ كربـلاء بنجـاح لم يكـن لـه نظـير إذ أبهـر العقـول وزلـزل عـروش الطغـاة، فسـلام عـلى تلـك المجاهـدة بالصّـبر لا بالبيض والسّـمر، يوم ولـدت ويوم جاهدت في سـبيل الله ويـوم رحلـت الى دار الخلـود ويـوم تُبعـث حيّة يسـعى نورهـا بـين يديهـا وبيمينهـا وذلـك فضـل الله يؤتيـه مـن يشـاء والله ذو الفضـل العظيم[3].وأهـم الأسـباب التـي ارتفعـت بنفـس أم البنـين ﷺ إلى ذرى المجـد هـي أنَّهـا تعلّمـت وتربّـت في مدرسـة إمـام الواعظـين وسـيّد العارفـين الإمـام عـلي ﷺ ومدينة سـيد المرسـلين حتَّى أصبحـت مـن النسـاء العالمـات، وقـد وصفها الـداودي في كتاب العمـدة بالعالمة كلقـب من أحسـن ألقابها، ولم يلقّـب بهـذا اللقـب مـن النسـاء في ذلـك العـصر بشـكل بارز سـوى عقيلـة بني هاشـم [4].

---

١ – ظ: قمر بني هاشم : عبد الرزاق المقرم، ٨٧ .

٢ – ظ: المصدر نفسه : ٨٨ .

٣– ثمرات الأعواد: السيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي، ١/ ١٣٤ .

٤ – ظ: المصدر نفسه، ١٣٥ .

٢- موقف التّربية الرّسالية:

لقد كانت السّيدة أُمّ البنين تكنّ في نفسها من المودّة والحبّ للحسن والحُسين عليهما السلام ما لا تكنّه لأولادها الذّين كانوا ملء العين في كمالهم وآدابهم، لقد قدّمت أُمّ البنين أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله على أبنائها في الخدمة والرّعاية، ولم يعرف التّاريخ أنّ ضرّة تخلص لأبناء ضرّتها وتقدّمهم على أبنائها سوى هذه السّيّدة الزّكيّة، فقد كانت ترى ذلك واجباً دينياً؛ لأنَّ الله أمر بمودّتهما في كتابه الكريم، وهما وديعة الرسول، وريحانتاه، وقد عرفت أُمّ البنين ذلك فوفّت بحقّهما وقامت بخدمتهما خير قيام، فأمّ البنين عليها السلام هذه الشّخصية التّاريخية الباهرة الفذة الّتي أفنت حياتها كلّها في تربية الحسن والحُسين سيدي شباب أهل الجنة عليهما السّلام، وكذلك أبناؤها ليكونوا اليد الضّاربة للحسين في ثورته؛ لتصنع منهم ثوار يشار لهم بالبنان. إنّ دورها في التربية لا يقلّ عن دور الرجل المحارب مع الإمام الحسين، لذا يعد دور التربية بمثابة إعلام حشدي لواقعة الطّفّ[١]،

ولن ينسَ التاريخ موقفها، والتي كانت أُمّ البنين من أوّل النّاس الذّين خرجوا لاستقبال بشر بن حذلم، وهو ينادي::-

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحُسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضــرّج والرّأس منه على القناة يـدار

وكانت ترثي بنيها الذين استشهدوا في الطَّفّ وتألب الناس ضد بني أميّة إعلاميًّا وحشدياً)

لا تدعوني ويكِ أم البنيــن تذكّريني بليوث العــرين

أربعة مثل نسور الـــربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهــم فكلّهم أمسى صريعًا طعين

يا ليت شعري أكما أخبروا بأنَّ عباسًا قطيـــع اليمين

لقد كان موقفها هذا بحقّ موقفًا إعلاميًّا تربويًّا عظيماً[٢]..

٣- التّضحية والإيثار فسجلت أم البنين في معركة الطَّفّ أدواراً إعلامية ودرسًا متميّزًا في التّضحية والإيثار والدّفاع عن مبادئ الثّورة الحسينية بعد استشهاد أبي الأحرار الحسين عليه السلام، ولما وقع بصرها على النّاعي الذي وصل المدينة من كربلاء لم تسأله عن العباس ولا عن أيّ واحدٍ من أبنائها الّذين قتلوا مع أخيهم الحُسين، وإنَّما سالته عن الحُسين وقالت له: أخبرني عن الحُسين؟ وعلت الدّهشة وجه النَّاعي بشر بن حذلم عندما عرف، أنَّ هذه المرأة هي فاطمة بنت حزام العامرية، وهي أُمّ البنين عليها السلام بالذّات كيف لا تسأله عن أولادها ؟ وظنها لوقع الصّدمة ذهلت عن أبنائها، فراح يعددهم واحداً بعد الآخر، وفي

١- ظ: السيدة أم البنين، ٤٩.

٢- ظ: معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، محمد مهدي المازندراني الحائري، ٣٩٧.

كلّ واحد منهم كان يعزّيها ويقول لها: أعظم الله لك الأجر بولدك جعفر، فتقول: أخبرني عن ولدي الحُسين ﷺ، ولم يلتفت بشر إلى هذا الموقف وراح يخبرها ببقيّة أولادها، إلى أن وصل إلى العباس، فما كاد يخبرها بقوله: يا أُمّ البنين أعظم الله لكِ الأجر بولدك أبي الفضل العبّاس ﷺ حتّى نظر إليها وقد اعتراها اضطراب شديد في تلك اللحظة التّي سمعت فيها نبأ مصرع أبي الفضل العباس، إذ اهتز بدنها ولكنّها تحاملت واستمرّت في إلحاحها عليه وردّدت: بشر أخبرني عن ولدي الحُسين؟ يقول بشر: وحينما أخبرتها بمقتل الحُسين ومصرعه صرخت ونادت: واحسيناه، وا حبيب قلباه... يا ولدي يا حسين.. نور عيني يا حسين.. وقد شاركها الجميع بالبكاء والنّحيب والعويل على الحُسين، ولم تذكر أبناءها إلا بعد أن ذكرت الحُسين وبكت عليه .وهذا موقف آخر وما أكثر مواقفها الإعلامية المشرفة، والتي لا يمكن لبشر على وجه الأرض أن يفقه بأنَّه إيثار وتضحية قلّ نظيرهما[1]..

لقد كان موقف أمّ البنين ﷺ هذا من أنصع الصّفحات وأكثرها إشراقاً في التاريخ الرسالي، وقد جاوزت أم البنين ﷺ في ذلك طبيعتها المعتادة في الحرص على سلامة أبنائها وأبناء الزّينبيّات بعد ملحمة الطّفّ الخالدة، فكانت تسهم وتشارك دفع الغوائل، أولاد الزَّينبيات بكلّ ما أوتيت من صبر وتجلّد، لقد جسّدت أم البنين ﷺ الحالة الأسمى في التّضحية بتربية أبناء البيت الحسيني وكذلك مواساة الأبناء والزّوجات والأزواج وحثّهم على الصّمود والبسالة، والإيمان بالقدر المقدر، فكان هذا الإيثار الذي لا يضاهيه إيثار[2].

إنّ هذا الموقف له صدى أكثر من القلم والسّيف، لقد كان إيثارها إيثاراً إسلاميّاً من زوجة جديدة ومحبّة وراعية تغدقها على أولاد ضرّتها، ولقد بقيت خصلة الإيثار هذه ملازمة لفاطمة أمّ البنين ﷺ طول عمرها، وحتّى بعد استشهاد الإمام علي ﷺ، ومن لا يستذكر بفخر وتأثّر موقفها الجميل الجليل يوم رجوع ركب الحسين ﷺ الى المدينة المنورة بعد واقعة الطّف الأليمة[3].

٤- دور المرأة الرساليّة الثّوريّة: مارست أم البنين ﷺ دوراً إعلاميًّا رائداً في ملحمة الخلود كربلاء، إلا أنَّ التاريخ لم يذكر على صفحاته ذلك الدّور وحجم واقعه الحقيقي؛ وتقصّد الباحثون إلى إهمال الدّور النسائي، وكأنّها عنصر هامشي في هذه المعركة الكبرى.. وبشكلٍ واضحٍ من خلال تربيتنا التي تعلّمناها إن الأدوار للرجال فقط، وهناك مواقف نسائية تفوّقت بها النساء على الرجال.

لقد بقيت أمّ البنين ﷺ تلهج بذكر الإمام الحسين ﷺ وتنوح عليه، وتفضح ممارسات بني أميّة، وكانت

١- ظ: معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، محمد مهدي المازندراني الحائري: ٣٩٨ .

٢- ظ: المرأة في حياة الإمام الحسين بن علي ﷺ، تأليف: الشيخ علي الفتلاوي، ٦١-٦٢ .

٣- ظ: المصدر نفسه: ٦٢ .

صوتاً إعلاميًّا كبيرًا أرعب عروش بني أميّة وأخافهم، فدبّروا مكيدة سمّها في رواية للتخلّص من هذا الصوت الإعلامي الثّوري الهادر الذي أرعبهم وقضّ مضاجعهم[1].

٥- موقف الرّيادة في القيادة: لقد كانت أمّ الأنوار الأربعة السّيّدة الجليلة أمّ البنين ﷺ هذه المرأة المؤمنة الصّابرة المحتسبة، كانت تدرك حقيقة الدّور الرّيادي الذي ينتظرها والذي ينبغي أن تقوم به في رعايتها لأبناء الزّهراء وبنات وأبناء الزّينبيّات وتربيتهم والذود عنهم، وكانت تدرك أن هناك دورًا ينتظر ابنها أبا الفضل العباس ﷺ قبل واقعة الطَّف، لذا اهتمّت به وصقلت شخصيّته وجعلت منه جنديًّا بطلاً يحسب له الأعداء ألف حساب وأعدّته ليوم عاشوراء؛ لذا نجدها كيف قدّمت أبناءها الواحد تلو الآخر في واقعة الطّفّ الأليمة[2] .

بعد واقعة كربلاء الأليمة وبعد أن قتل الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته والخلّص من أصحابه، ولما سمعت باستشهاد الحسين ﷺ مال كتفها وقد كانت تحمل طفلاً لأبي الفضل العباس ﷺ، ولما أجابها الناعي بمقتل الإمام الحسين ﷺ سقط الطّفل من على كتفها ووقعت على الأرض بعد أن أنهدّت قواها باكية، وهذا يكشف عن حقيقة موقفها الرسالي وعظيم مصابها برزيّة الإمام وعن مدى إيمانها ورسوخ اعتقادها وولائها الوثيق وحبّها الذي لا يوصف للحسين ﷺ وإخلاصها لثورته، ولطالما كانت تقول: ليت أولادي جميعاً قتلوا وعاد أبو عبد الله الحسين ﷺ سالماً، فهل يوجد عند أحد هذا الموقف الرسالي، كما أنّها ظلت وأولادها الأربعة وأولهم العباس ﷺ طيلة حياة الإمام الحسن المجتبى ملازمين له كظلّه، قائمين على خدمته ومواسين لأهل بيته بعد استشهاده مسموماً مظلوماً[3]..

٦- الإخلاص للمبادئ: هكذا تعاملت السّيّدة أمّ البنين ﷺ بأمانة وإخلاص مع هذه النّماذج الطّاهرة أبناء الزّهراء وعلي وسبطي رسول الله ﷺ، من الولادة إلى الشهادة من آل بيت النبي ﷺ جميعاً.

وينبغي أن تتعلّم نساؤنا من أم البنين ﷺ الدروس والعبر، فقد كانت هذه المرأة الصوت الناطق الإعلامي، وكانت تردد دومًا، يا حسين يا حسين، لفضح وتعريف بني أميّة، وتعريف الناس بما قام به هذا البيت المعادي للرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين؛ فكانت هي والحوراء زينب قد أخذتا على نفسيهما إكمال رسالة الحسين ونشر مظلوميّته. [4] لقد كان موقفها المبدئي من ثورة الإمام الحسين، موقفًا إعلاميًّا قلّ أن يأتي أحد بمثله، فالإخلاص بالمبادئ هو سيف قاطع،

١- ظ: السيدة أم البنين، ٤٩ .

٢- نساء عصر الإمام الحسن ﷺ : د. بيان عبيد العريض، ١٥٨ .

٣- ظ: المصدر نفسه، ١٥٩.

٤- إبصار العين في أنصار الحسين ﷺ، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، ٤٩ .

وإذاعة كبيرة ناطقة بعرف اليوم..

ومن يطّلع على تاريخ هذه المرأة الجليلة، وحياتها عبر الحقب التاريخية يكتشف بوضوح القيم النبيلة التي سمت بأبنائها وارتفعت بإنسانيتهم، فجعلتهم أعلاماً بارزة شامخة في مدارج العز ومراتب الكرامة، وحقّقت بذلك نجاحًا إعلاميًّا وسياسيًّا وتربويًّا منقطع النّظير. أولئك هنّ رسل المحبّة والخير يُجسّدنَ العدل والمساواة، ويدعونَ إلى نشر العقيدة الإسلامية وترسيخ الإيمان الصادق، فلم يكنّ جذوةً مشتعلةً فحسب بل ورسالة كريمة لانتصار الحق على الباطل، في زمن شاع فيه الشر وفشت فيه الرّذيلة، وساد الطغيان والفساد[1].

فكانت هذه المرأة المبجلة قد أضاءت طريق الصّلاح والإصلاح، لما لها من دور مهمّ في أحداث التاريخ العربي والإسلامي المشرق، وبرز أهمية دورها في الحياة اليومية للأمّة، كونها كانت تتسابق لاقتطاف المنزلة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، فقدّمت ما قدّمت في سبيل الحق والدِّين[2].

لقد كان لسعة اطلاعها في الأمور، وإخلاصها الكريم، وماضيها المجيد مع أهل البيت عليهم السلام، أثر حاسم في تعلّق الناس بها، وثقتهم وحبّهم الذي لا حدود له بشخصها، فاستطاعت بحكمتها وصبرها وبُعد نظرها التّغلّب على كلّ تلك الصّعاب، وهذا إن دلّ على شيء، فإنَّما يدلّ على حنكتها وجلدها ومعدنها الأصيل، من ضمن إطار الأخلاق العربية والتّربية الإسلامية الأصيلة وتقاليدها في التّعامل مع الجمهور واحترامها لهم، وكانت هذه المرأة عظيمة المنزلة عند أمير المؤمنين عليه السلام، وعند أهل البيت كافة، عظيمة المنزلة في العلم والحلم والمعارف والصّلاح، عظيمة المنزلة عند الناس، ويظهر للمتتبع لأخبار أم البنين أنّها كانت مخلصةً لأهل البيت، متمسّكةً بولايتهم، عارفةً بشأنهم، مستبصرةً بأمرهم[3].

إنَّ تخطّي التاريخ الواضح للمرأة وتهميش دورها في صياغة الحدث التاريخي، وإن كان له بعض المصاديق المبعثرة هنا وهناك، فإنَّ تغييب هذا الدّور شكّل ظاهرة غريبة في واقعة الطّفّ، وبالتعبير القائل: إنّ هذا التّخطي ناتج عن نظرة المجتمع الضّيّقة للمرأة بشكلٍ عامّ، فإنَّ هذا التفسير لا يصمد مطلقاً أمام المحاكمة، ولا يقدّم أيّ إجابة علميّة للضياع الواضح الذي اختزل بموجبه التاريخ دور المرأة في ملحمة الطّفّ، بما تضمّنت هذه الملحمة من فصول التحَمَ فيها موقف المرأة بموقف الرجل بصورة لم يعهدها الوضع القائم آنذاك، ولربّما صدمته إلى درجة قد أحسّ فيها أنَّ

١- ظ: إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد بن طاهر السماوي: ٥١ .

٢- ظ: المصدر نفسه : ٥٢.

٣- ظ: المصدر نفسه : ٥٣ .

هـذه الظاهـرة الحضاريـة قـد تشـكّل سـابقة خطـيرة عـلى وضـع السـلطة [1].

ومـن هنـا تبـدأ قصّـة التاريـخ مـع العنـصر النسـوي في واقعـة الطّـف، ومـن هنـا نعـرف بـأنَّ الإسـلام يقـدّر حقّهـا إعلاميًّـا ويُعطـي للمـرأة حقَّهـا واحترامهـا، وقـد عدّهـا أمـراً مقدّسـاً وجعل حبّهـا من خـلال حبِّ الأنبياء لهـا، وقـد قـال الرّسـول الأكـرم صلى الله عليه وآله: ((حبّـب لي من دنياكـم الطّيب والنسـاء وقـرّة عيني الصّـلاة))[2].

إنَّ الإسـلام منـع المـرأة مـن القتـال في حالـة واحـدة فقـط وهـي حالـة الجهـاد الابتدائي، والجهـاد الابتدائي كـما هـو معـروف دعـوة النـاس للدخول في الديـن، فإن رفضـوا فحينئذ يجـب قتالهم، وبهذا نسـتنتج أنَّ الشَّـارع المقّدس قـد أجـاز للمـرأة القتـال في موقـع ومنعهـا في موقـع آخـر في ذات الوقـت الذي سـمح لها أن تشـترك في كافـة الأعـمال الجهاديـة ذات الطَّابـع الإعلامي وغير القتـالي، وختامًا إنَّ لكل واحدة -ممن نـاصرنَ(آل البيت) ووقفـنَ معهـم- دورًا يختلـف عـن الأخـرى، ولكـن يجمعهـنَّ الإيـمان بأرقـى مفاهيمه الإنسـانية والتي جاء بها الإسـلام ولخّصها شـخص الإمام الحسـين عليه السلام[3].

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث فقد توصّل الباحثان إلى النّتائج الآتية:

إنّ الـدّور الإعلامـي الـذي أدّتـه أمّ البنـين عليها السلام في واقعـة الطّـف الخالـدة يتمثّـل بمواقفهـا الخالـدة وأهم هذه المواقـف الإعلامية:

١. موقـف المسـاندة والدّعـم فقـد سـطّرت عليها السلام مـع مـن واكبـن نهضتهـا أروع مواقـف البطولـة والثبـات، التـي يعجـز كثـير مـن الرّجـال عـن الإتيـان بمثـل موقفهـا الشّـجاع، فقـد واكبـت وأكملـت المسـيرة مـع الإمـام الحسـين عليـه السـلام منـذ ولادتـه، وحتَّـى استشـهاده في طـفّ كربـلاء بنجـاحٍ لم يكـن لـه نظـير.

٢. موقفهـا الإعلامـي لـدى اسـتقبالها النّاعـي بـشر بـن حـذلم وهـو ينعـى الحسـين عليه السلام وآل بيتـه وأصحابـه.

٣. موقفهـا التحشـيدي والإعلامـي ضـدّ بنـي أميّـة، وهـي ترثـي أبناءهـا الأربعـة الذيـن استشـهدوا في واقعـة الطَّـف.

٤. التَّضحيـة والإيثـار: فسـجّلت أمّ البنـين في معركـة الطَّـفّ أدواراً إعلاميّـة ودرسًـا متميّـزًا في

١- ظ:مقتل العباس عليه السلام، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم، (٧٢ - ٧٣) .

٢- ظ: نظام حقوق المرأة في الإسلام. الشهيد مرتضى المطهري، ٥ .

٣- ظ: دور المرأة في الثورة الحسينية (زينب أنموذجاً)، د. أمل سهيل الحسيني ، ٣.

التّضحيـة والإيثـار والدّفـاع عـن مبـادئ الثّـورة الحسـينيّة بعـد استشـهاد أبي الأحـرار الحسـين عليه السلام.

٥. دور المـرأة الرسـاليّة الثوريّـة: إذ مارسـت أم البنـين عليها السلام دوراً إعلاميًّـا رائـداً في ملحمـة الخلـود كربـلاء، إلا أنَّ التاريـخ لم يذكـر عـلى صفحاتـه ذلـك الـدّور وحجّـم واقعـه الحقيقـي؛ وتقصّـد الباحثـون إلى إهمـال الـدّور النسـائي، وكأنّهـا عنـصر هامـشي في هـذه المعركـة الكـبرى.. وبشـكل واضـح مـن خـلال تربيتنـا التـي تعلّمناهـا إنّ الأدوار للرجـال فقـط، وهنـاك مواقـف نسـائية تفوّقـت بهـا النّسـاء عـلى الرِّجـال.

٦. لقـد بقيـت أم البنـين عليها السلام تلهـج بذكـر الإمـام الحسـين عليه السلام وتنـوح عليـه، وتفضـح ممارسـات بنـي أميّـة، وكانـت صوتًـا إعلاميًّـا كبـيرًا أرعـب عـروش بنـي أميّـة وأخافهـم، فدبّـروا مكيـدة سـمّها في روايـة للتخلـص مـن هـذا الصـوت الإعلامـي الثّـوري الهـادر الـذي أرعبهـم وقـضّ مضاجعهـم.

٧. موقـف الريـادة القياديّـة : لقـد كانـت أمّ الأنـوار الأربعـة السّـيّدة الجليلـة أمّ البنـين عليها السلام هـذه المـرأة المؤمنـة الصابـرة المحتسـبة كانـت تـدرك حقيقـة الـدّور الرّيـادي الـذي ينتظرهـا والـذي ينبغـي أن تقـوم بـه في رعايتهـا لذريـة الزّهـراء وبنـات وأبنـاء الزّينبيّـات وتربيتهـم والـذّود عنهـم، وكانـت تـدرك أنَّ هنـاك دورًا ينتظـر ابنهـا أبـا الفضـل العبّـاس عليه السلام، قبـل واقعـة الطّـف لـذا اهتمـت بـه وصقلـت شـخصيّته، وجعلـت منـه جنديًّـا بطـلاً يحسـب لـه الأعـداء ألـف حسـاب، وأعدّتـه ليـوم عاشـوراء؛ لـذا نجدهـا كيـف قدّمـت أبناءهـا الواحـد تلـو الآخـر في واقعـة الطّـف الأليمـة .

٨. الإخـلاص للمبـادئ والاتسـام بأمانـة وإخـلاص قـلّ نظيرهمـا مـع هـذه النّـماذج الطّاهـرة أبنـاء الزّهـراء وعـلي وسـبطي رسـول الله صلى الله عليه وآله، مـن الـولادة إلى الشـهادة مـن آل بيـت النبـي عليهم السلام جميعـاً.

مصادر البحث

القرآن الكريم .

* إبصار العين في أنصار الحسين ﷺ، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، تحقيق الشيخ محمد جعفر الكرباسي، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.

* الاتصال بالجماهير والرأي العام، عبد الحليم محي الدين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٩٣م.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد : الشيخ المفيد (محمد بن محمد)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة ط١، ١٤١٣ هـ.

* اشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية: تأليف، محي الدين عبد الحليم، سلسلة: كتب الأمة، العدد: ٦٤، منشورات: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية- قطر، ط١، ١٩٩٨ م.

* الإعلام الإسلامي بين التأكيد والنفي، عمر سليمان الملكاوي، منشورات : مطبعة النهضة، القاهرة، ط١- ١٩٩٩م .

* الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير جميل راضي، منشورات: دار دعوة الحق، ط١، الرياض، ٢٠١٢م .

* الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المختلفة، عبد الله قاسم الواشلي، منشورات: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات: دار البشير، طنطا ودار عمار-صنعاء، ط١-١٤١٤هـ .

* الإعلام له تاريخه ومذاهبه، عبد اللطيف حمزة، منشورات: دار الفكر العربي، ط١ -القاهرة، ١٩٦٥ م.

* الإعلام والاتصال بالجماهير :إبراهيم إمام، ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١، القاهرة، ١٩٧٥ م.

* الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، محمد عبد القادر حاتم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

* أعلام النساء، عمر رضا كحاله، منشورات : مؤسسة الرسالة، ط١٠، بيروت - ١٩٩١م .

* اعيان الشيعة، السيد محسن الامين (ت١٣١٧هـ)، تحقيق السيد حسن الامين، منشورات: دار المعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣

* ام البنين سيدة نساء العرب، السيد مهدي السويج البصري، (ت ١٤٣٣ هـ)، المطبعة الحيدرية النجف، ط١، ١٣٩٥هـ.

* تنقيح المقال في علم الرجال: محي الدين بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن، منشورات: المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ط١، ١٣٥٢ هـ، ٩٨

* ثمرات الأعواد: السيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي . انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الاولى منقحة وممتازة، قم المقدسة - ١٣٧٠هـ.

* حياة الإمام السجاد ﷺ، باقر شريف القريشي، ط١، انتشارات مدرسة الايرواني، قم المقدسة، ١٩٩٢ م، ٢/ ٢٩٧.

* دور المرأة في الثورة الحسينية (زينب أنموذجاً)، د. أمل سهيل الحسيني، بحث مقدم الى جامعة الكوفة كلية الفقه، ٢٠١٧ م.

* الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة، عبد القادر حسنين، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٢م، (٨٢-٨٤) .

* زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة ط١، ابراهيم حسن البغدادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ٢٠١٠ م.

* السلسلة العلوية : سهل بن عبد الله البخاري، منشورات ومطبعة الشريف الرضي، ط١، قم -١٤١٣هـ.

* السيدة أم البنين سيرتها و كرامتها: الشيخ أشرف الزهيري الجعفري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م.

* عيون الأثر في فنون المغازي والسير، الحافظ ابي فتح محمد بن محمد سيد الناس اليعمري (ت٧٣٤ هـ)، تحقيق: محمد الخطراوي ومحي الدين، مكتبة القدسي القاهرة مصر١٣٥٦ هـ.

* قمر بني هاشم، عبد الرزاق الموسوي المقرم، منشورات: المطبعة الحيدرية - النجف، ط١، ١٣٦٩ هـ.

* المرأة في الإسلام ...مكانة المرأة، العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ -٢٠١٤م .

* المرأة في حياة الإمام الحسين بن علي ﷺ، تأليف: الشيخ علي الفتلاوي، منشورات: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١-٢٠٠٨م .

* معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، محمد مهدي المازندراني الحائري، مطبعة صبح الصادق، ، قم المقدسة ايران، ١٤٢٥ هـ.

* مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: أحمد صقر، منشورات :دار المعرفة - بيروت، ط٢ -١٩٨٠م.

* مقتل الحسين ﷺ: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم تحقيق سماحة الشيخ محمد الحسون، مركز الأبحاث العقائديّة، النجف الاشرف، (د.ت)

* مقتل العباس ﷺ: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم تحقيق سماحة الشيخ محمد الحسون، مركز الأبحاث العقائديّة، النجف الاشرف، (د.ت)

* معجم ابن الاعرابي: تأليف، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن الاعرابي، تحقيق: عبد المحسن بن ابراهيم بن أحمد الحسيني، منشورات: دار ابن الجوزي، ط١-القاهرة-(١٤١٨هـ-١٩٧٩م) .

* منهج أسرة، د. وجيه زين العابدين، معمل ومطبعة الجاحظ -بغداد ١٩٨٧ م.

* نساء حول الحسين: سعيد رشيد زميزم، منشورات :دار الجوادين، ط١، بيروت، لبنان-٢٠١١م، ٢١.

* نساء حول أهل البيت ﷺ، الشيخ فوزي ال سيف، مؤسسة الرسول الاعظم، النجف الاشرف، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م،

* نساء عصر الإمام الحسن ﷺ : د. بيان عبيد العريض، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية شعبة الدراسات والتراث، كربلاء المقدسة ٢٠١٥ م.

* نظام حقوق المرأة في الإسلام. الشهيد مرتضى المطهري، إصدار معاونيّة العلاقات الدولية منظمة الاعلام الإسلامي، قم المقدسة، ١٣٩٤م .

القصيدة

إلى سيد الشهداء
الإمام الحسين عليه السلام

نجاح العرسان

لوِّن شفاهك بالترابِ مُقبِّلا *** ها أنت بالوادي المقدِّس كربلا

وبعينِ دمعِكَ لا بعينكَ رَطبِ الجسدَ الذي ظلَّ الثلاثَ مُجندلا

وأنلْ عتابَكَ من تأخِّرِ ماؤهِ *** لما دنا ظامي الزمانُ لينهلا

مازالَ يُهدي الشاربين جداولاً *** وعلى يديهِ دمُ الحسينِ تجدولا

قلْ للفراتِ وقد حَلا لسقاتِه *** لو لم يُدَفْ بدمِ الهواشِمِ ما حلا

عن أيِّ فاجعةٍ أردُّ مدامعي *** أمْ أيِّهنَّ إذا دُعيتُ تجمُّلا

يا ابن المثاني السبع أعني يا بن فاطمةٍ وأشرفَ من تنزَّلَ مُرسلا

جبريلُ هَدْهَدْ مَهْدَهُ، لولا يقولُ الناسُ قد غالى، لَقُلْت مُنَزَّلا

لرضاكَ دمعي وارتجافُ أضالعي *** أرأيتَ منها ما تعذّرَ أو سلا

ورضيعُكَ العطشانُ يبسمُ للدِّما *** إذ ثَغْرُه بدمِ الوريدِ تبلّلا

لم يشهد التاريخ أقذَرَ من يدٍ *** ترمي ولا من نحرِ طفلكَ أنبلا

سهمٌ تريَّش حقدَ هندٍ فيه حقد الأرضِ أوترَ قَوسَه وتَحرمَلا

كيف انتبهتَ وما انتبهتَ لنَصلِهِ *** ما بين كفِكَ والقماطِ تسلّلا

أم كيف رَفْرَفَ كالحمامةِ كفُهُ *** يومي لثغْرِك يا حسين مُقبِلا

فتنازعوا والسهم الَّـــــفَ بينهم *** فأصابَ جدَّكَ إذ أصـــــابكَ أولا

وتركتَ نزفَك صـــاعداً نحـو السما *** فأهـالها عطشُ النزيـفِ وأذهلا

وعيونُ جـــــدِّكِ وهي تجمعُ ما رميـــــتَ حكينَ نزفَـــكَ واتَّبَعْنَك هُمَّلا

وعيونُ أمِّـــــكَ وهي تغسلُ بالدمـــــوعِ نثارَ أشلـــــاءٍ توزَّعَت الفلا

حين احْتَمَلْتَ السهـــــمَ ثم نزعتَهَ *** فأصابَ مـن غيرِ احتمـالِك مَقْتَلا

فَتَمَلْمَلَتْ بأنيـــــــنها لما رأتْ *** مازالَ فيـــــكَ من الأنينِ تململا

يا آيةَ الصبرِ الجميـــلِ،على مَهيـــــضِ جراحِهِ صبـــرُ السيوفِ تفلّلا

لولاكَ لم ينْجُ الوجـــــودُ ولم يكنْ *** ولظلَّ مُلْقىً في الضـــآلة مُهمَلا

حُشِرَتْ..وعُطِّـــلتْ العشارُ وما تَكَـــــوَّرَ في الكتابِ إذ استقـــام تعطَّلا

والثأرُ أحصى قاتليـــــكَ إلى قريـــــبٍ من أمانيِّ الظـــــهورِ تأجُّلا

ياسيدَ الـــــــلاءاتِ والرفضِ المُـــــؤوَّلِ حيثُ يأبـى الرفضُ أن يتـأوَّلا

وعيونُ عرشِ اللهِ والملأ المـــــلائـــــكُ قد صبغـــنَ السبعَ سبعاً ثُكّـــلا

يا أمّةً هي مبتـــــــلاةٌ بابنِ بنـــــتِ نبيها أم أنتَ فيـــها المُبتـــلا

والله ينـــــــظرُ لستُ أدري ما يـــــراهُ وجلَّ عمّـــا لا يُرى أن يُســـألا

الأرضُ ملـكَ حيثُ شئتَ أميـــنةٌ *** لو كنتَ قلتَ: بلا، ولكن قـــلتَ: لا

سبعـــــونَ ألفاً مدبرونَ وقد رأوا *** وجهَ المنيّـــةِ خَلفَ وجهِكَ أقـــبلا

ويتيـمةٌ يسعى وراءَك خـوفُـــها *** أبه قلْ لســاعي الموتِ أن يـتمهَّلا

كي تمسحَ الرأسَ المُعـدَّ لِيُـــتْمِهِ *** فغدا يقـــــولُ لكلِّ قارعـــةٍ: بـلا

وتُريكَ كيفَ على خرائِـــبِ خدِّها *** راحت سواقــي الدمعِ تجري حنظلا

قمرُ العشيــرةِ من تركتَ على الشـــــريعةِ بالجراحِ من الجــراحِ تغسَّلا

لم يلتفتْ لأكفِّه أوعيـــــــــنهِ *** وبصدرهِ اغْتَرفَ الكتـــــائبَ أعزلا

والجودُ ينزفُ مثلَ نزفِ جــراحـهِ *** بدراً على وجــهِ الرمـــــالِ ترجَّلا

متوسِّـلاً بالمـــــــــوتِ دونَ أكُفِّهِ *** والموتُ بين يديـــــــهِ ماتَ توسُّلا

أمُرمَلاً عند الفـــــــراتِ تركتَهُ *** أم أنَّ قلبَكَ من تــركتَ مُـــــرَمَّلا

فأسرَّ قلبَك أن من بـــــالأمسِ ظـــــامي كربلاءَ اليومَ ســـــاقي كربلا

يا عينَ زينـــبَ إذ خلتْ من خدرِها *** لم تَخْلُ باكيـــــةً على خدرٍ خـلا

حطَّتْ وأعشَبَــت المصائبُ فوق هـــــامةِ رأسِها وأراحَ راحتَـــــهُ البـلا

عينٌ على الرأسِ المسمَّـــرِ بالقنا *** عينٌ على الشفةِ المضاءَة بالصَّلا

وعلى اليتامى والسبـــــايا والعلـــــيلِ تَعُدُّ أدمُعَهُ وتحـــفظُ مـا تـلا

عينُ استحـــي ياعين لو أمن القطا *** لغفـى أما لكِ والكـرى أن تـخجلا

اليومَ قد خلتِ الديـــــارُ من الأحبـــــةِ لم تعدْ كالأمسِ تعبـــقُ منزلا

المؤمنـــــــــونَ سنابلٌ والله من *** بَذرَ الهواشمَ للـهدايـــــةِ سنبلا

أكرامةً أن الطليـــــــق وحزبُه *** صاروا لسنبلـــةِ الهدايــة مِنجَلا